البابا شنوده الثالث

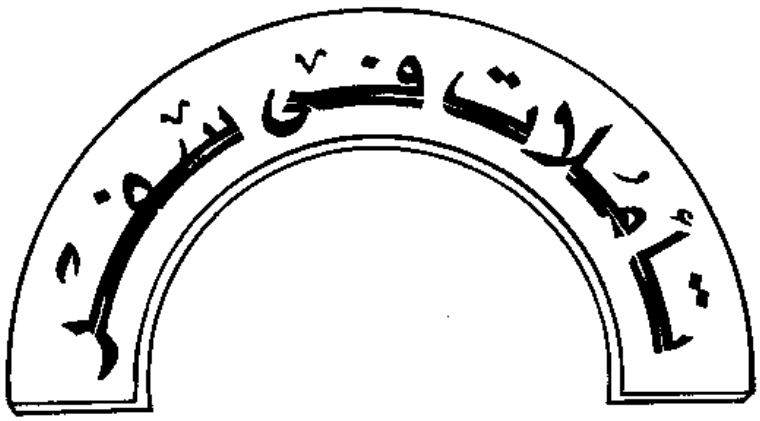

Contemplations on The Song of Songs By H.H. Pope Shenouda III

1st Print
Aug. 2002
Cairo

الطبعة الأولى
أغسطس ٢٠٠٢
القاهرة

مقدمة

ليس هذا الكتاب تفسيراً لسفر نشيد الأناشيد .

إنمـــا هـــو مجـــرد تأملات روحية في بعض آيات منه، سجلناها بدون ترتيب معين. وألقيـــت كمحاضرات في الكاتدرائية المرقسية الكبرى في السبعينات من القرن العشرين. ونشر بعضها في مجلة الكرازة، ثم نشرت جميعها في جريدة وطنى خلال عام ٢٠٠٢ في أكثر من ثلاثين مقالة.

ثم جمعناها لك أخيراً في الكتاب الذى بين يديك .

وكـــان هدفـــنا الأساســـى هو روحانية سفر النشيد، وأنه ليس حديثاً عن حب جسدى وعواطـــف زائلة كما يتهمه غير المتعمقين في معانيه الروحية. إنما هو يمثل المحبة بين الله والنفس البشرية، أو المحبة بين الله والكنيسة...

وقد قسمناه إلى مقدمة عن روحانية السفر. ثم ثلاثة أبواب :

الباب الأول : عن العروس [الكنيسة أو النفس البشرية] .

والباب الثانى : عن العريس [الرب الإله].

والباب الثالث : عن المحبة المتبادلة .

ثم خاتمة : عن ذكريات المحبة.

هـــنا وأود أن أترك كل هذه المقالات بين يديك ، لتدرك ما في هذا السفر من روحانية ومن عمق.

يونيو ٢٠٠٢ **البابا شنوده الثالث**

مقدمة
روحانيّة
سِفر النشيد

روحَانية السفر ورموزه

اســمه نشــيد الأناشــيد، أو أغنــية الأغنيات. ترجمة إسم هذا السفر فى الإنجليزية: The Song of Songs . أى أنــه لــو اعتبرت جميع الأناشيد كلاماً عادياً ، يكون هذا السفر هو نشيدها أو أغنيتها .. كتبه سليمان الحكيم شعراً ..

الروحيون يقرأون هذا السفر ، فيزدادون محبة لله . أما الجسدانيون ، فيحتاجون فى قراءته إلى مرشد، لئلا يسيئوا فهمه ، ويخرجوا عن معناه السامى إلى معانٍ عالمية.

✠ ✠ ✠

هذا السفر هو سفر الحب :

نفهم منه أن الله منذ القدم كان يريد أن تكون العلاقة بيننا وبينه هى علاقة حب. ولعل هذا واضح مما ورد فى سفر التثنية "تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك" (تث٦: ٥). وقد قال السيد المسيح إن وصية الحب هذه، يتعلق بها الناموس كله والأنبياء (مت٢٢: ٢٧- ٢٩) .

ســفر النشــيد يــتحدث عــن المحبة الكائنة بين الله والنفس البشرية، أو بين الله والكنيسة، فى صورة الحب الكائن بين عريس وعروسه .

✠ ✠ ✠

ســفر النشيد يتميز بكثير من الآيات الذهبية الشهيرة التى يستخدمها الوعاظ باستمرار مثــل "اجذبــنى وراءك فنجرى"، "أنا سوداء وجميلة"، خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المفســدة للكــروم" ، "أنا نائمة وقلبى مستيقظ"، "حبيبى لى وأنا له، الراعى بين السوسن"، "حلقــه حــلاوة، وكله مشتهيات"، "المحبة قوية كالموت"، "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة" ...

✠ ✠ ✠

ولكى نفهم سفر النشيد، لابد أن نفهمه بطريقة رمزية، وليس بتفسير حرفى.

إن التفسير الحرفي لسفر النشيد بمفهوم جسدانى هو تفسير منفّر. ولا يتفق مع روح الوحى، ولا مع مدلول الألفاظ .

وهذا السفر لا يصلح إلا للمتعمقين فى الروح، الذين لهم عمق فى التأمل، والذين لا يأخذون الألفاظ بفهم سطحى. إنه ليس للمبتدئين، بل للناضجين. وقديماً لم يكن أحد يقرأه إلا بإذن أو بإشراف أبيه الروحى .

✠ ✠ ✠

هناك آيات فى السفر لا يمكن أن تؤخذ بمعناها الحرفى .

مثال ذلك قوله "من هى المشرقة مثل الصباح، جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كجيش بألوية" (نش٦: ١٠). وأيضاً ذكرت عبارة "مرهبة كجيش بألوية" في (نش٦: ٤).

إن عبارة (مرهبة كجيش بألوية)، لا يمكن أن تقبلها حبيبة على نفسها، فكيف تقبل المرأة أن توصف بأنها تثير الرهبة أو الخوف، بينما النساء من المفروض فيهن أن يتميزن بالرقة؟!

أما إن أخذنا العبارة مشيرة إلى الكنيسة أو إلى النفس البشرية، فإن المعنى يبدو واضحاً في مفهومه الروحى.

لأن الكنيسة يمكن أن تكون مرهبة بالنسبة إلى الشيطان والعالم، مخيفة لقوى الشر مثل جيش بألوية "أى من عدة لواءات".. كانت الكنيسة مرهبة للفلسفة الوثنية، ومرهبة لكهنة وعبدة الأصنام، ومرهبة للانحراف والفساد.. لأنها كانت طاهرة كالشمس.

ونفس الوضع بالنسبة إلى النفس البشرية .

✠ ✠ ✠

وعبارة "جميلة كالقمر"، لا يمكن أن تتمشى مع عبارة "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم" (نش١: ٥) .

فكيف تكون سوداء "كخيام قيدار"، وفى نفس الوقت جميلة كالقمر؟!، والقمر فى جماله ليس فيه سواد.

ولكن السوداء – في المفهوم الرمزى – هى كنيسة الأمم.

الـــتى لم تكن تنتمى إلى الآباء والأنبياء، وكانت غريبة عن رعوية الله، وعن العهود والمواعـــيد والشريعة. وبلا رجاء (أف٢: ١٢). ولكنها صارت جميلة كالقمر، بالبر الذى نالـــته فـــى المسيح، وصار جمالها كاملاً ببهائه الذى جعله عليها (حز١٦: ١٤) ، وبدمه الذى محا خطاياها .

فهـــى تخاطـــب مؤمنى العهد القديم "بنات أورشليم"، وتقول لهن "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم" .. سوداء فى أصلى وماضىّ، وجميلة فى حاضرى .

✠ ✠ ✠

وعبارة "جميلة كالقمر" تحمل معنى روحياً وعلمياً فى منتهى العمق والجمال .

فالمعـــروف عـــن القمر أنه كوكب مظلم يستمد نوره من الشمس. فطالما تلقى الشمس عليه نورها، يصير جميلاً.. فهذه الشعوب السوداء التى كانت بلا إيمان، وليس لها جمال فـــى ذاتها: عندما ألقى الله عليها نوره، صارت جميلة كالقمر الذى ليس له جمال فى ذاته وإنما يستمد نوره وجماله من الشمس .

التشـــبيه إذن واضـــح ، فى السواد وفى الجمال . فى السواد الذى تتصف به طبيعتنا الخاطئة، والجمال الذى يهبه لنا الرب فى فدائه العجيب وفى الطبيعة الجديدة التى نولد بها فى المعمودية .

✠ ✠ ✠

وعبارة "عيناك حمامتان" (نش١: ٥)، تحمل نفس المعنى الروحى الجميل .

وقد تكررت عبارة "عيناك حمامتان" في (نش٤: ١).

العين تمثل البصيرة . والحمام يرمز أحياناً إلى الروح القدس، كما يظهر هذا فى قصة العماد (مت٣: ١٦)... وأحياناً يمثل المحرقة التى يقدمها الفقير إلى الله (لا١: ١٤).

★فعندما تكون العينان بالمعنى الأول ، فمعنى ذلك أن الإنسان يتميز ببصيرة روحية، أو بفهـــم روحـــى. كأن عينه هى الحمامة التى ترمز إلى الروح القدس. فنظرته إلى كل الأمور هى نظرة روحية مقدسة، غير نظرة أهل العالم .

★وعندما تكون العين حمامة بمعنى ذبيحة الفقير المسكين، إنما تعنى انسحاق النفس، أى مســـكنة الروح (مت٥: ٣) . كإنسان يقدم ذاته ذبيحة مرضية لله، حسبما أمر الرسول (رو١٢: ١)، فى إنكسار قلب ، يطيع حتى الموت .

★وعندما تكون العينان حمامتين، فإنهما تمثلان المعنيين معاً .

✠ ✠ ✠

وبنفس المعنى الأخير يمكننا أن نفهم قول الرب :

حوّلى عينيك عنى، فإنهما قد غلبتانى (نش٦: ٥) .

فالنفس البشرية التى لها عينان منسحقتان مملوءتان بالدموع، يظهر فيهما انسحاق القلب ، هى النفس التى تجاهد مع الله وتغلب . ويقول لها الرب "حوّلى عينيك عنى، فإنهما قد غلبتانى" . إنها مثل يعقوب المنكسر الضعيف، الذى جاهد مع الله وغلب، قائلاً للرب "لا أتركك حتى تباركنى" (تك٣٢: ٢٦، ٢٨).. ونال البركة هناك .

لأن الذبيحة لله روح منسحق. القلب المتخشع والمتواضع، لا يرذله الله (مز٥١: ١٧).

حقاً إن النفس الباكية، التى ترفع عينيها إلى الله مملوءتين بالدموع، هى التى قال لها "حوّلى عينيك عنى" .

✠ ✠ ✠

وتشبيه العين بالحمامة يحمل معنىً روحياً آخر .

فالحمام رمز للبساطة والنقاوة . ولذلك يقول الرب : "كونوا بسطاء كالحمام" (مت١٠: ١٦). فالعين التى تشبه بالحمامة، إنما تتصف أيضاً بالبساطة . وقد قال الرب عن ذلك "إن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيّراً" (مت٦: ٢٢) .

فالعين التى تشبه بالحمامة ، ترمز للنظرة البسيطة إلى كافة الأمور .. إلى الحياة البريئة الطاهرة البعيدة عن التعقيد .. كان آدم فى بدء حياته بسيطاً لا يعرف سوى الخير، قبل أن تتعقد حياته وتصبح خليطاً مركباً من خير وشر، بعد أن أكل من شجرة معرفة الخير والشر ...

✠ ✠ ✠

وهكذا فى سفر النشيد نجد العروس تقول عن العريس الذى هو المسيح :

"عيناه كالحمام على مجارى المياه" (نش٥: ١٢) .

أى أن بصيرته بالروح القدس . لأنه إن كان المؤمن العادى "تفيض من بطنه أنهار ماء حى"، أى الروح القدس (يو٧: ٣٨، ٣٩)، فكم يكون بالأولى السيد المسيح الذى الروح القدس ثابت فيه أقنومياً ...

ولذلـــك حســـناً قيل "كالحمام على مجارى المياه". فبهذا شبّه الرجل البار فى المزمور الأول بأنه "مثل الشجرة المغروسة على مجارى المياه" (مز١: ٣) .

✠ ✠ ✠

إن هدفـــنا فـــى هذه المقالات الأولى من تأملاتنا فى سفر نشيد الأناشيد، أن ندخل إلى روح الســـفر، ونفهـــم مدلولاتـــه ورموزه، حتى يساعد هذا الأمر على التفسير الصحيح، المرتب المتناسق ...

إن ســـفر النشـــيد ليس غزلاً كما يتهمه بعض الناقدين، وإنما هو تعبير عن المحبة المتبادلة بين الله والنفس البشرية، أو بين الله والكنيسة .

كما أنه يشرح صفات الله، وصفات النفس التى تحبه .

فـــالله لا يريد أن تكون علاقتنا به علاقة رسميات، أو علاقة خوف ورعب من لاهوته وجلاله. إنما يريد أن نكون أحباء له، لأنه محب للبشر . وهو الذى قال : "لا أعود أسميكم عبيداً.. بل أحباء" (يو١٥: ١٥) .

✠ ✠ ✠

كـــل ما فى الله من صفات جميلة، يدعونا إلى أن نحبه: كل حنوه وعطفه ولطفه . من أجل هذا، قيل فى سفر النشيد :

"لذلك أحبتك العذارى" (نش١: ٣) .

والمقصود بالعذارى النفوس التى لا تهب ذاتها لآخر. أى النفوس المتفرغة لله وحده، المخصصة له.. كما قال الشاعر عن أمانيه وآماله التى لم تخطر بقلب آخر :

أمانٍ عذارى لم يجلن بخاطرٍ وبعض أمانى القوم شمطاء ثيبُ

أى أنـــه تحبك يارب النفس العذراء التى لم تهب ذاتها للعالم ولا لشهواته . ولم يمتلك قلـــبها حـــب إنسان ما. وفى ذلك قال القديس بولس الرسول "خطبتكم لرجل واحد، لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كو١١: ٢) .

ومـــن أجل هذا أيضاً ، شبّه الرب النفوس التى تطلبه وتنتظر ملكوته السمائى "بخمس عـــذارى حكيمات". والمقصود بهن كل المؤمنين الصالحين، رجالاً ونساءً ، متزوجين أو بتوليين. ماداموا لم يهبوا أنفسهم للعالم .

✠ ✠ ✠

أيضاً عبارة (أحبتك العذارى) لا تدل على أن السفر هو أغنية غزلية من محبوبة إلى حبيبها . فالتى تحب شخصاً حباً جسدياً لا تحتمل غيرتها أن تحبه عذارى، غيرها ...

ولا تجاهر بحب العذارى له فى افتخار . بل يقال مثل هذا عن المحبة الإلهية. فالنفس التى تحب الله، تريد أن جميع الناس يحبونه، وتفرح بهذا .

فكيف تقبل محبوبة أن يقول حبيبها بالأكثر "هن ستون ملكة، وثمانون سرية، وعذارى بلا عدد" (نش٦: ٨) حتى إن كانت هى الفضلى بينهن!!

✠ ✠ ✠

وبهذا الحب الإلهى، فإن عذراء النشيد تشرك كثيرات معها فى محبتها . ولهذا أمثلة كثيرة .

★فهـــى تقول "أجذبنى وراءك فنجرى" (نش١: ٤) . فهى تريد الكل أن يجروا وراءه بدلاً من قولها "فأجرى" .

وهى أيضاً تقول بأسلوب الجمع "نبتهج ونفرح بك. نذكر حبك أكثر من الخمر. بالحق يحبونك" (نش١: ٤) .

★وهى تشرك بنات أورشليم فى علاقتها مع حبيبها .

فـــتقول "أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول، ألا تيقظن أو تنبهن الحبيب حـــتى يشاء" (نش٢: ٧) . وتكرر نفس العبارة مرة أخرى فى (نش٣: ٥). ومرة ثالثة فى (نـــش٨: ٣) . وهـــى أيضـــاً تقول لهن "أحلفكن يا بنات أورشليم، إن وجدتن حبيبى، أن تخبرنه بأننى مريضة حباً" (نش٥: ٨) .

إنما يجوز مثل هذه الصلة إن كانت كنيسة الأمم تتخاطب مع كنيسة أورشليم، بالطريقة الرمزية لفهم السفر .

✠ ✠ ✠

كذلك كثير من التشبيهات فى السفر ، لا يمكن أن تؤخذ حرفياً بين حبيب وحبيبته فى غزل عالمى :

★مـــثل عبارة "شبهتك يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون" (نش١: ٩) . هل توجد فـــتاة تقبل تشبيهها بفرس فى مركبات فرعون، أم أنها تقبل على العكس التشبيه الذى يدل على الرقة والأنوثة ..

★عبارة "فرس فى مركبات فرعون" تذكرنا بعبارة "مرهبة كجيش بألوية"(نش٦: ١٠)

★وأيضـــاً مـــن هي الحبيبة التي تقبل أن يُقال في مديحها "عيناك مثل برك حشبون. أنفك كبرج لبنان الناظر تجاه دمشق" (نش٧: ٤).

✠ ✠ ✠

★كذلك من التي تقبل أن حبيبها يصف جمالها فيقول :

"شعرك كقطيع ماعز رابض على جبل جلعاد" (نش٤: ١) .

وأيضاً "أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل" (نش٤: ٢) . وكذلك "عنقك كبرج داود المبنى للأسلحة. ألف مجن عُلق عليه، كلها أتراس الجبابرة" (نش٤: ٤) .

إن الكنيســـة إذا وصـــفت بالقوة: بالفرس، بجيش ذى ألوية، أو ببرج أسلحة داود، يكـــون هـــذا معقـــولاً .. وبـــنفس الوضـــع توصف نفس المؤمن التي تحارب الشهوات والشياطين.

أما الغزل بين حبيبين ، فلا يمكن أن يكون بهذا الوصف .

✠ ✠ ✠

هناك كلمة أخرى، قد يتحرج منها القارئ الجديد لسفر النشيد:

وهى كلمة الثدى، أو الثديين .

★الثديان هما مصدر الرضاعة، ويرمزان إلى مصدر التعليم في الكنيسة.

ويـــدل على هذا قول النشيد "ليتك كأخ لى الراضع ثديى أمى" (نش٨: ١). وعن ذلك صـــرخت امرأة قائلة للسيد المسيح "طوبى للبطن التي حملتك، وللثديين اللذين رضعتهما" (لـــو١١: ٢٧). وعـــن هذيـــن قال أبونا يعقوب في مباركته لإبنه يوسف "بركات الثديين والرحم" (تك٤٩: ٢٥) أى بركات الولادة والرضاعة.

✠ ✠ ✠

★وكما أن الثديين هما مصدر الرضاعة، هما أيضاً مصدر الشبع.

وهكـــذا قـــيل فـــي ســـفر اشعياء النبى عن أورشليم "لكى ترضعوا وتشبعوا من ثدى تعزياتها" (أش٦٦: ١١). أما منع الطفل عن ثديى أمه، فهو شأن الظالمين الذى قيل عنهم في سفر أيوب الصديق "يخطفون اليتيم عن الثدى" (أى٢٤: ٩).

✠ ✠ ✠

★والـــثديان – مصـــدر التغذية والشبع – هما في الكنيسة العهدان القديم والحديث (الكتاب المقدس). أو هما "الناموس والنعمة" (يو١: ١٧). أما بالنسبة لسفر النشيد (في العهد القديم)، فهو الناموس والأنبياء.

بهمـــا يرضع الإنسان التعليم الصحيح من مصدر إلهى، فتشبع نفسه، وينمو في القامة الروحية.

ولأنهما معاً، لذلك قيل عنهما إنهما "كخشفتين توأمي ظبية" (نش٧: ٣) (نش٤: ٥).

✠ ✠ ✠

منهما يرضع المؤمن، وبتعليمها يطمئن .

كمـــا قـــيل فـــي المـــزمور "أنت جذبتنى من البطن. جعلتنى مطمئناً على ثديى أمى" (مز٢٢: ٩). والأم هى الكنيسة التى ترضعه الإيمان.

وهـــذه الأم – الكنيسة – تقول عن كل ابن من أبنائها "بين ثديىّ يبيت" (نش١: ٣) أى يبيـــت يرضـــع من التعليم السليم، من العهدين القديم والجديد، من الناموس والأنبياء، من الناموس والنعمة...

✠ ✠ ✠

★ولأن تعاليم الكنيسة عالية وسامية، شُبهت الكنيسة بالنخلة، وأثداؤها بالعناقيد.

كمـــا قيل في المزمور "الصديق كالنخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو" (مز٩٢: ١٢). وبـــنفس الوصـــف قـــيل عـــن الكنيسة في سفر النشيد "قامتك هذه شبيهة بالنخلة، وثدياك بالعناقيد" (نش٧: ٧).

فالمؤمـــن الذى يريد أن ينمو في قامته الروحية، عليه أن يصعد في مستواها، ليمسك بـــثديى أمه الكنيسة، ويرضع منها التعليم الروحى واللاهوتى ويقول مع سفر النشيد "قلت إنى أصعد إلى النخلة وأمسك بعنقودها" (نش٧: ٨).

✠ ✠ ✠

ويتنبأ سفر النشيد عن كنيسة الأمم الناشئة، ويسميها "أخت صغيرة" (نش٨: ٨).

هذه التى منها المرأة الكوشية التى تزوجها موسى النبى (عد١٢: ١)، وملكة سبأ التى أتـــت مـــن أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان (مت١٢: ٤٢). وكذلك أهل نينوى الذين تابوا بمناداة يونان. وقبل هؤلاء راحاب التى من أريحا، وراعوث التى من موآب (مت١:

٥). وفى العهد الجديد كرنيليوس الذى عمده بطرس الرسول.

كل أولئك وأمثالهم، يذكرهم سفر النشيد فيقول:

"لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان. فماذا نصنع لأختنا في يوم تُخطب" (نش٨: ٨).. نعم ليس لها ناموس ولا انبياء.

ماذا نقول لهذه الأممية، حينما يقول القديس بولس الرسول "لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كو١١: ٢).

ترضعها الكنيسة الأم من ثدييها، حتى ينبت لها ثديان.

تطعمها الزيتونة الأصلية من دسمها، مادامت قد صارت شريكة في أصل الزيتونة ودسمها" (رو١١: ١٧).

✠ ✠ ✠

وعن كل مؤمن جديد، تقول له عذراء النشيد :

"ليتك كأخ لى، الراضع ثدى أمى. فأجدك في الخارج، وأقبلك ولا يخزوننى" (نش٨: ١)..

أجدك بالافتقاد، وبالكرازة، والرعاية، وأنت "في الخارج" من الأمم، أو من خارج الكنيسة. فأقبلك، كما قبل بطرس كرنيليوس الأممى. ولم يخزه أحد لقبول هذا الأممى وأسرته، بعد أن "رأى السماء مفتوحة"، وقيل له "ما طهّره الله، لا تدنسه أنت" (أع١٠: ١١، ١٥).

نعم إن السماء مفتوحة، لترضع الأمم من ثدييها .

✠ ✠ ✠

بهذا نفهم سفر النشيد، في معناه الرمزى.

ليس في هذه الكلمات فقط، بل في كل تعبيرات السفر.

وإلى اللقاء في بعض موضوعاته...

لنفهم السفر إذن بمعناه الرمزى ، إن أحبت نعمة الرب وعشنا .

الباب الأول

العروس

النفس البشرية

أو الكنيسة

١

كمْ رائحَة أدهانك أطيبَ من كل الأطيَاب !

(نش ٤ : ١٠)

عبارة الطيب تتكرر كثيراً فى سفر النشيد: فهى فى أوله، وفى آخره، وخلال إصحاحاته الثمانية:

ففى أوله "رائحة أدهانك الطيبة" "اسمك طيب مسكوب" (١: ٣).

وفى آخره "أهرب يا حبيبى. وكن كالظبى.. على جبال الأطياب" (٨: ١٤) .

وفى داخله "كم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب" (٤: ١٠). وأيضاً "حبيبى نزل إلى جنته إلى خمائل الطيب، ليرعى فى الجنات" (٦: ٢) "قطفت مرّى مع طيبى" (٥: ١).

يضاف إلى هذا، ذكر كثير من مركّبات الطيب :

وأخصها (المرّ) وهو عطر سائل، طعمه مرّ ، ورائحته زكية جداً.. مثال ذلك "اذهب إلى جبل المرّ، وإلى تل اللبان" (٤: ٧) "يداى تقطران مراً" (٥: ٥) . ومجموعة كبيرة من مركبات الطيب فى (نش٤: ١٤): "ناردين وكركم، قصب الذريرة وقرفة، مع كل عود اللبان. مرّ وعود، مع كل أنفس الأطياب" (٤: ١٤) .

فى العهد القديم :

هذا الطيب يذكرنا بالدهن الذى للمسحة المقدسة فى العهد القديم .

هذه المسحة التى كان يتم بها مسح الملوك والكهنة والأنبياء فى العهد القديم، فيحل عليهم الروح القدس بمواهبه .

كما كان يمسح بها بيت الله ومذابحه وكل أوانيه، فتصير مقدسة للرب.. حقاً إننا ننظر إلـــى هذا الدهن المقدس وفاعليته، ونقول لكنيسة العهد القديم "رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب" .

عـــن هذا الدهن قال الرب لموسى النبى "وأنت تأخذ لك أفخر الأطياب: مراً قاطراً.. وقرفة عطرة.. وقصب الذريرة.. وسليخة.. وزيت الزيتون. وتصنعه دهناً مقدساً للمسحة. عطـــر عطـــارة، صـــنعة العطار. دهناً مقدساً للمسحة يكون. وتمسح به خيمة الاجتماع، وتـــابوت الشـــهادة، والمـــائدة وكـــل آنيتها، والمنارة وكل آنيتها، ومذبح البخور، ومذبح المحرقة وكل آنيته، والمرحضة وقاعدتها" . **"وتقدسها فتكون قدس أقداس. كل ما مسّها يكون مقدساً"**. "وتمسح هرون وبنيه، وتقدسهم ليكهنوا لى. وتكلم بنى إسرائيل قائلاً: يكون هـــذا لى دهناً مقدساً للمسحة فى أجيالكم" (خر٣٠: ٢٢- ٣١) "مقدس هو، ويكون مقدساً عندكم" (خر٣٠: ٣٢) .

حقـــاً، ما أعجب أدهانك أيتها الكنيسة، التى هى قدس أقداس، وكل ما مسّها سيكون مقدساً! إنها "أطيب من كل الأطياب"

وفعـــل موسى حسب كل ما أمره الرب، هكذا فعل" (خر٤٠: ١٦). "اخذ موسى دهن المســـحة، ومسح المسكن وكل ما فيه وقدّسه. ونضح منه على المذبح سبع مرات، ومسح المذبـــح وجمـــيع آنيته.." "وصب من دهن المسحة على رأس هارون ومسحه لتقديسه.." (لا٨: ١٠- ١٢) .

إنه دهن ، طيب عَطِر، مقدس، كان الروح القدس يعمل من خلاله، للتقديس ...

ونسمع بعد ذلك أن صموئيل النبى "أخذ قنينة الدهن، وصب على رأس شاول ومسحه" (١صـــم١٠: ١). فكانت النتيجة "أن الله أعطاه قلباً آخر" "وحلّ عليه روح الله فتنبأ" حتى قـــال الشعب "أشاول أيضاً بين الأنبياء" (١صم١٠: ٩- ١١) . وصار شاول بهذه المسحة ملكاً ...

كذلـــك مسح صموئيل الفتى داود بهذا الدهن المقدس "فحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً" (١صم١٦: ١٣) .

حقاً ، إن "رائحة أدهانك أفخر من كل الأطياب" .

والدهـــن المقدس فى العهد القديم كان يمسح به الأنبياء أيضاً، كما مسح ايليا اليشع نبياً عوضاً عنه (١مل١٩: ١٦) .

فى العهد الجديد :

★أول طيب نذكره هو اسم الله، وبه ننال المعمودية .

يقـول ســفر النشيد – حسب الترجمة البيروتية – "اسمك دهن مهراق" (نش١: ٣) . ولكـــن أفضل من هذه الترجمة، الترجمة التى نستخدمها فى طقسنا القبطى "طيب مسكوب هو اسمك (القدوس)" .

اسم الله هو طيب عطر، نستخدمه فى كل صلواتنا. وبهذا الاسم نتعمد. كما قال الرب لتلاميـــذه القديسين "وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨: ١٩). وكما قال القديس بطرس الرسول لليهود فى يوم البندكستى "توبوا، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا.." (أع٢: ٣٨) .

وهكذا فى المعمودية ، أخذنا طيب التبرير والميلاد الثانى (تى٣: ٥) وغفران الخطايا (أع٢: ٣٨) .

إن اسم الرب الذى دُعى علينا، نأخذ البنوة له فى المعمودية. وبه نبدأ كل عمل، وكل صـــلاة. وباســـمه نبدأ كل يوم من أيام حياتنا. ونذكر قول المرتل فى المزمور (مز٦٣: ٤، ٥) .

"باسمك ارفع يدىّ، فتشبع نفسى كما من شحم ودسم" .

حقـــاً إن "اســـم الرب برج حصين، يركض إليه الصديق ويتمنع" (أم١٨: ١٠) . وما أجمل ما نقوله للرب فى التسبحة "اسمك حلو ومبارك: فى أفواه قديسيك" .

✠ ✠ ✠

★الطيب المقدس الذى نأخذه بعد ذلك، هو دهن الميرون المقدس.

ونلاحـــظ أنـــه يشـــتمل على الأطياب التى وردت فى مركبات مسحة العهد القديم فى (خر٣٠) وأيضاً ما ورد فى أطياب سفر النشيد (نش٤: ١٤) .

وبهذا الدهن المقدس ننال التقديس وسكنى الروح القدس فينا.

نصـــبح هيكلاً للروح القدس، والروح القدس يسكن فينا (١كو٣: ١٦) (١كو٦: ١٩). ويعمـــل فينا روح الله، وندخل في شركة الروح القدس . ألا يليق بنا، ونحن نرى هذا، أن نقول للكنيسة المقدسة "رائحة أدهانك افخر من كل الأطياب"..

ذلك لأن الأب الكاهن، فيما يرشم المعمد بهذا الدهن المقدس (زيت الميرون) يقول هذه الصلوات :

مسحة الروح القدس، آمين.. مسحة عربون ملكوت السموات، آمين ... مسحة مقدسة للمسيح إلهنا، وخاتم لا ينحل، آمين .

كمال نعمة الروح القدس، ودرع الإيمان والحق آمين .

وبهـــذا الدهـــن المقدس ، يقدس كل أطراف المعمد، ومفاصله وفتحات جسمه. ويبدأ الروح يعمل فيه ، بقوته، ومواهبه، وارشاده.

حقاً: رائحة أدهانك – أيتها الكنيسة – أفخر من كل الأطياب .

✠ ✠ ✠

★الطيب الرابع الذى نأخذه من الكنيسة ، هو عمل الكهنوت .

وكان عمل الكهنوت .. في العهد القديم – يبدأ بسكب الطيب المقدس على رأس رئيس الكهـــنة، كما يقول المزمور "..كالطيب الكائن على الرأس، الذى ينزل على اللحية، لحية هرون النازلة على جيب قميصه" (مز١٣٢ [١٣٣]) .

لاشك أن الكهنوت هو طيب فى الكنيسة، ننال به كل نعم الأسرار المقدسة، وننال به الرعاية والعناية.

نـــنال بـــه مغفـــرة الخطايا، حسب قول الرب لتلاميذه "من غفرتم خطاياه، غُفرت له" (يـــو٢٠: ٢٣) "ما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السماء" (مت١٨: ١٨). وننال بالكهنوت نعمة العماد (مت٢٨: ١٩)، "والميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس" (تى٣: ٥). والمسحة التى لنا من القدوس (١يو٢: ٢٠)، والتناول من جسد الرب ودمه (١كو١١) .

وبالكهـــنوت نـــنال التعلـــيم الصحيح (تى٢: ١)، حيث من فم الكاهن تطلب الشريعة (ملا٢: ٧) وهو يفصل كلمة الحق باستقامة (٢تى٢: ١٥).

أيتها الكنيسة المقدسة، هذه هى "رائحة أدهانك الطيبة" (نش١: ٣) .

بـــل مـــن الكهنوت أيضاً ، نأخذ البركة فى ختام كل اجتماع، بل البركة فى كل وقت. كمـــا علّم الرب موسى "هكذا تباركون.. قائلين لهم: يباركك الرب ويحرسك. يضئ الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً" (عد٦: ٢٣- ٢٦) .

وطيـــب الكهـــنوت لا يشمل فقط الأسرار والتعليم والبركة، وإنما يشمل أيضاً العمل الروحى كله .

ومنه خدمة المصالحة ، كما قال القديس بولس الرسول "..وأعطانا خدمة المصالحة.. إذن نســـعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨، ٢٠) .

وفى هذه الخدمة كل ما يتعلق بالرابطة الروحية بين الله والناس. كل ما يتعلق "بتكميل القديسين، وعمل الخدمة، وبنيان جسد المسيح" (أف٤: ١١، ١٢) .

حقاً يا كنيستنا المقدسة، "رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب".

✠ ✠ ✠

★طيب آخر تقدمه لنا الكنيسة المقدسة، وهو رائحة المسيح الزكية فى حياتنا :

وهكـــذا تكون الكنيسة مصدراً للطيب، لرائحة الحياة الطيبة، كما يقول الرسول "شكراً لله الـــذى يقودنا فى موكب نصرته.. ويُظهر بنا رائحة معرفته فى كل مكان" "لأننا رائحة المسيح الزكية لله" (٢كو٢: ١٤، ١٥) . "رائحة حياة لحياة" (٢كو٢: ١٦) .

رائحة الحياة الطيبة ، هى طيب تقدمه الكنيسة إلى العالم .

وهـــى – فى قداستها وطهرها – "معطرة بالمر واللبان وكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦). يرى الناس أعمالها الحسنة، فيمجدون الآب الذى فى السموات (مت٥: ١٦) .

إن اســـتير الملكة، كانت مثالاً، حينما بدأت حياتها كملكة، بأن وضعوها فى العطور والأطياب مدة ستة أشهر (إس٢: ١٢) .

ورقم ستة فى الكتاب المقدس يرمز إلى كمال العمل. كما خلق الله العالم فى ستة أيام، وقام بعمل الفداء فى اليوم السادس وفى الساعة السادسة ...

وكانـــت الملكـــة أيضاً – كما فى حياة استير، توضع أيضاً فى زيت المر ستة أشهر. والمرّ عطر، له رائحته الطيبة وطعمه المر، يرمز إلى طيب الكنيسة فى آلامها .

وعن طيب الحياة ، قيل عن الكنيسة فى قدسية حياتها :

"المر والميعة والسليخة من ثيابك" (مز ٤٥).

يعطيـــنا هذا مثلاً عن ثوب البر الذى ينبغى أن نلبسه أمام الله، أو الثياب البيضاء التى نظهر بها هنا، وكان يظهر بها الملائكة كما فى ظهوراتهم فى قصة القيامة (يو ٢٠: ١٢). وكما يخدم الآباء الكهنة فى الهيكل بثياب بيض ...

ثـــياب القديســـين "غير المدنسة من الجسد" (يه٢٣) كانت طيباً أمام الله ، وكانت بركة أمـــام الـــناس. ونذكر فى هذا المجال أنه قيل عن القديس بولس الرسول "كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى، فتزول عنهم الأمراض، وتخرج الأرواح الشريرة" (أع١٩: ١٢) .

إنها معطرة روحياً أمام الله .

✠ ✠ ✠

وقد أشاد الله بالعطر ورائحته فى كتابه المقدس :

فقد أمر الرب موسى النبى من جهة البخور الذى يجب إعداده لتقديمه للرب إنه يكون "بخوراً عطراً صنعة العطار" (خر٣٠: ٢٥). كما يرمز الطيب إلى الحياة الطيبة .

إن الكنيســـة بالطيـــب الذى تظهر به فى حياتها الطيبة، تبدو كما قيل فى سفر الرؤيا "كعروس مزينة لعريسها" (رؤ٢١: ٢) .

ولعـــل هـــذا يذكرنا بقول أبينا اسحق أبى الآباء فى مباركة ابنه يعقوب: "رائحة ابنى كرائحة حقل باركه الرب" (تك٢٧: ٢٧) .

حقاً إن الرب يحب الرائحة العطرة ويريدها :

والطيب أيضاً يظهر فى التقدمات والذبائح التى تقدمها الكنيسة للرب .

وقـــد قيل عن أبينا نوح بعد رسو الفلك: إنه "أصعد محرقات على المذبح. فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب فى قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً بسبب الإنسان.." (تك٨: ٢٠، ٢١) .

✠ ✠ ✠

آخر طيب فى حياتنا هو الطيب الخاص بتكفين الإنسان بعد موته :

إن المـــرأة التى سكبت على السيد زجاجة طيب من ناردين غالى الثمن، ولامها بعض التلاميـــذ قائلين "لماذا هذا الإتلاف؟! لأنه يمكن أن يُباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء" فقال لهم الرب "لماذا تزعجون المرأة. فإنها قد عملت بى عملاً حسناً.. فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدى، إنما فعلت ذلك لأجل تكفينى" (مت٢٦: ٨- ١٢) .

وحـــدث هـــذا فعلاً فى تكفين السيد المسيح أن أتى نيقوديموس "وهو حامل مزيج مرّ وعـــود نحو مئة منّا" فأخذ هو ويوسف الرامى جسد السيد "ولفاه بأكفان مع الأطياب كما للـــيهود عـــادة أن يكفنّوا" (يو١٩: ٣٩، ٤٠). كذلك فى فجر الأحد جاء إلى القبر النسوة "حاملات الحنوط الذى أعددنه" (لو٢٤: ١) .

أجســـاد القديسين الطاهرة التى عاشوا بها على الأرض كانت طيباً صاعداً إلى السماء اســـتقبلتها الملائكـــة قائلين "من هذه الطالعة من البرية، كأعمدة من دخان، معطرة بالمر واللبان وكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦) .

أجســـاد كانت طيباً يعطر الكنيسة ، ولما تنيح أصحابها، صعدت أرواحهم إلى السماء كطيب عطر، وبقينا نضمخ رفاتهم بالطيب .

المقصود أن الإنسان كما تكون حياته على الأرض طيباً، فإن الطيب يفوح من جسده أيضاً عند تكفينه ودفنه .

وهكـــذا نفعـــل مع رفات القديسين، إذ يضمخ الرفات بالأطياب والحنوط حتى تصبح رائحة رفات القديس عطرة باستمرار ...

٢

أنا سَوداء وجَميلة

(نش ١ : ٥)

هذه العبارة تقولها كنيسة الأمم .

التى تعتبر سوداء ، لأنها كانت غريبة عن رعوية شعب الله، بلا ناموس، بلا آباء ولا أنبياء، بلا وعود من الله، وبلا عهود معه، وبلا معرفة إيمانية به (أف٢: ١٢) . فهى من هذه الناحية سوداء فى نظر اليهود. ولكنها تخاطبهم قائلة "أنا سوداء يا بنات أورشليم"، من وجهة نظركم أنتم. ولكننى جميلة في عينى الرب ...

✠ ✠ ✠

النفس البشرية الخاطئة ، هى أيضاً سوداء .

سوداء من جهة ضعفها وسقوطها. ولكنها جميلة بدم المسيح الذى يطهرها من كل خطية (١يو١: ٧). فهى تقول أنا سوداء فى حالة الخطية، ولكن جميلة فى حالة التوبة. سوداء فى حاضرى وماضىّ. ولكنى جميلة فى المستقبل، بالرجاء.. أنا سوداء وأنا بعيدة عن الله. ولكنى أؤمن بقوة الله الذى سوف ينتشلنى مما أنا فيه...هو الذى سوف يتوبنى فأتوب" (أر٣١: ١٨) وأصبح جميلة. لأن الجمال هو طبيعتى التى خلقت بهاء، كصورة الله، على شبهه ومثاله (تك١) باعتبارى نفخة خرجت من فم الله، واستقرت فى ترابى (تك٢).

✠ ✠ ✠

أنا جميلة – كصورة الله – أما الخطية فهى دخيلة على طبعى .

هذه الخطية زحفت إلىّ من سبب خارجى "لأن الشمس قد لوحتنى" . ولكننى جميلة

باعتبارى أن نعمة الله لابد ستفتقدنى فى يوم ما، وسيعمل فىّ روحه القدوس، ولن يتركنى إلى سوادى .

✠ ✠ ✠

لقد كنت سوداء بخطيتى الجدية الموروثة . ثم تجددت فى المعمودية .

دخلت جرن المعمودية، حيث صُلب إنسانى العتيق (رو٦: ٦) "ليبطل جسد الخطية" . وخرجت من جرن المعمودية بيضاء وجميلة .

ثـم أسـودّت بشرتى، لأن الشمس قد لوحتنى. ولكنى واثقة أننى سأدخل جرن التوبة، حيث يغسلنى الرب فأبيض أكثر من الثلج (مز٥٠) وأصبح جميلة .

الله الحنون سوف ينضح علىّ بزوفاه فأطهر. سيخلق فىّ قلباً نقياً . وأيضاً سوف يجدد روحاً مستقيماً فى أحشائى (مز٥٠). وبنعمته سوف يردنى إلى رتبتى الأولى، الجميلة.

✠ ✠ ✠

أنا سوداء لأنى فى مرحلة من التخلى "طلبته فما وجدته" .

ولكـنى واثقة بالرجاء أنى لابد سأجده ولو بعد حين. وحينئذ سيلقى علىّ بره، فأصبح جميلة مرة أخرى .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء يا بنات أورشليم البيض الجميلات .. ولكن أحذركن :

لا تشمتن بى ، ولا تهزأن بسوادى كأنه عار .

فالرسـول يمنعكـن إذ يقول "أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم . واذكروا المذلين كـأنكم أنتم أيضاً فى الجسد" (عب١٣: ٣) . كما يقول : "من هو قائم ، فلينظر لئلا يسقط" (رو١١). كلكم معرضون أن تلوّحكم الشمس مثلى ...

✠ ✠ ✠

لقد كانت لى أخت سوداء وصارت جميلة . إنها الأرض !

قيل فى اليوم الأول إن الأرض "كانت خربة وخاوية، وعلى وجه الغمر ظلمة" (تك١: ٢). تلـك الظلمـة تعنى أنها كانت سوداء.. "ثم قال الله: ليكن نور، فكان نور". وصارت الأرض الخربة جميلة، وامتلأت بالثمار والأزهار "ورأى الله ذلك أنه حسن" .

وأنا أيضاً أنتظر اليوم الذى يقول فيه الرب : ليكن نور .

فيكون نور . ويرى الله النور أنه حسن . وأصير جميلة .

إننى أعيش برجاء ذلك اليوم . لست أعيش فى ظلمتى الحاضرة، وإلا خنقنى اليأس!.. إنــنى بالرجاء أنتظر النور الآتى . أنتظر أن يغسلنى الرب ، فأبيض أكثر من الثلج. إن عبارة "أبيض أكثر من الثلج" عبارة معزية مملوءة بالرجاء. سأعيش فيها.

✠ ✠ ✠

إن كنيســة الأمــم عندما قالت أنا سوداء وجميلة، كانت فى عمق الإيمان بالخلاص الآتى.

كانت مؤمنة بمجئ من يحمل خطايا العالم كله .

وعــندما قالت "أنا جميلة" إنما ذكرتنى بقول المرتل فى المزمور : "ارحمنى فإنى بار" (مــز٨٦). وفى قولــه هذا، لم يتكلم عن برّه الذاتى، وإنما عن البر الآتى بالدم المسفوك. الذى سيطهره فيبيض أكثر من الثلج. "متبرراً مجاناً بالنعمة" (رو٣: ٢٤). وبنفس الوضع تقــول عــذراء النشــيد عن نفسها إنها جميلة. فالرسول يقول "لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح" (غل٣: ٢٧) أى لبستم البر الذى له .

✠ ✠ ✠

لــى أخت أخرى كانت سوداء وجميلة . هل تعرفنها يا بنات أورشليم؟ إنها أورشليم نفسها كما وصفها سفر حزقيال .

قــال لهــا الرب وهى مطروحة بنجاساتها على الأرض "مررت بك، ووجدتك مدوسة بدمــك . فقلــت لك بدمك عيشى" (حز١٦). هكذا كانت حالتها وهى سوداء.. ثم يقول لها الرب بعد ذلك "فمررت بك ورأيتك. وإذا زمنك زمن الحب. فبسطت ذيلى عليك، وسترت عورتــك.. ودخلــت معك فى عهد، فصرت لى. فحممتك بماء (أى بالمعمودية) وغسلت عــنك دماءك (بمغفرة خطاياك)، ومسحتك بالزيت (أى بزيت الميرون فى سر المسحة). وألبســتك مطــرزة ، وكسوتك بزاً أى حريراً (بسر التوبة) وحليتك بالحلى (بالفضائل).. فتحليــت، وجملــت جــداً. وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك، لأنه كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك" (حز١٦).

هذه هى قصة السوداء التى صارت جميلة، إذ افتقدها الرب .

وكــان ذلك فى "زمن الحب" أى الزمن الذى رآه الرب مناسباً لإظهار حبه. وما أدق عــبارة "جمالك كان كاملاً ببهائى الذى جعلته عليك". إنه جمال من الله ، وليس جمال تلك

الـــنفس. إنـــه بـــرّ المسيح، وليس برها الذاتى. إنه منحة الله للنفس، وليس عمل النزاع البشرى.

✠ ✠ ✠

نفوس كثيرة كانت سوداء ، وصارت جميلة .

مـــثل نفـــوس التائبين جميعاً . مثل موسى الأسود، وأوغسطينوس، وبيلاجية، ومريم القبطية، وأريانوس والى أنصنا، واللص اليمين...

ولكن هذه النفس لا تقول "أنا سوداء وصرت جميلة"، وإنما تقول "أنا سوداء وجميلة". لأنها تعيش بالرجاء. فترى المستقبل كأنه قائم أمامها. إنها نفس واثقة أنها غالية عند الرب مهما سقطت!

✠ ✠ ✠

هناك نفوس أخرى ، ترونها أنتم أنها سوداء، ويراها الرب جميلة !

مثال ذلك شاول الطرسوسى المضطهد للكنيسة. كم كان أشد سواد هذه النفس فى نظر المؤمنين، حينما كان يهجم ويقتاد رجالاً ونساء إلى السجن. أما الرب فنظر إلى نفس شاول السوداء، بل التى كانت جميلة فى غيرتها، وإن كانت غيرة ليست حسب المعرفة. وقال له "صـــعب علـــيك أن ترفس مناخس" (أع٩).. إننى أغسلك ، وأنت ترفس الصابون والماء والليف! ومع ذلك سأظل أغسلك إلى أن تبيض أكثر من الثلج فيما تغسل خطاياك (أع٢٢: ١٦). وبعـــد أن تبـــيض، ســـأريك كم ينبغى أن تتألم من أجلى. سيرجمونك، ويضربونك بالسياط، ويسيل الدم على نفسك البيضاء. وأغنى لك أنشودتى "حبيبى أبيض وأحمر" .

✠ ✠ ✠

أنا نفسى سوداء . قد أكون مائتة مثل الابن الضال !

حسبما قيل عنه "إبنى هذا كان ميتاً فعاش" (لو١٥: ٢٤).

أو قد يُقال عنى "قد أنتن" مثل لعازر (يو١١: ٣٩).

أنا واثقة من أننى سأخرج من القبر، وسأرجع إلى بيت عنيا. وهناك سيزورنى الرب ومعى مريم ومرثا ...

✠ ✠ ✠

أنا نفسى ساقطة ، ولكننى لست ضائعة ...

سيمسك واحد من السارافيم جمرة من على المذبح ، ويمسح بها شفتى، قائلاً: قد طهرت. قد كفّر عن خطيئتك. لن تموت.. وسيأتى الرب بلقّان، ويأتنى بمئزر ويغسل قدمىّ، لكى أصير طاهراً كلى، كباقى التلاميذ، أو كباقى النفوس التى هى مثلى سوداء. ويقول ها أنتم الآن طاهرون" (يو١٣: ١٠) .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء وجميلة. الخطية تلطخنى من الخارج فقط. أما قلبى فهو فى داخلى يحب الله!

مثل بطرس الذى أنكر سيده ثلاث مرات، وسب ولعن وقال لا أعرف الرجل (مت٢٦ : ٧٢). ومع ذلك قال للرب بعد القيامة : أنت يارب تعرف كل شئ . أنت تعلم أنى أحبك (يو٢١: ١٧) .

✠ ✠ ✠

الخطية غريبة عنى ، وأنا غريب عنها . إنها سقطة ضعف وليست خيانة !

إرادتى فى الخارج سوداء ، أما نفسى من الداخل فهى بيضاء . كل ما كان منى من إنكار هو نفسى الخارجية الضعيفة السوداء. أما الحب الذى فى قلبى ، فهو نفسى الحقيقية الجميلة. نفسى الخارجية يلطمها الشيطان فتسوّد . أما قلبى من الداخل فجميل . وهذا السواد الخارجى سوف أخلعه حتماً . سأخلعه الآن . وسأخلعه عندما ألبس جسماً نورانياً روحانياً لا يخطئ (١كو١٥: ٤٤، ٤٩) . جسماً لا يتصل بالمادة بعد .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء وجميلة كخيام قيدار، كشقق سليمان. وكأنه قيل عنى :

كنت خلال ذلك، أكافح نفسى وأجاهد، حتى كأننى إثنان فى واحد . هذا يدفعنى ، وذلك يمنعنى .

هذه النفوس المجاهدة التى تحارب حروب الرب. فتسقط حيناً، وتقوم حيناً آخر. وقد يجرحها الشيطان وقد يشوّه بعض أعضائها، هى على الرغم من سقوطها، سوداء وجميلة.. مهما جُرحت فى الحرب، هى جميلة ، لأنها لم تلقِ سلاحها، ولم تستسلم نهائياً للعدو.

ولم تفقد إخلاصها الداخلى للرب، مهما جُرحت .

✠ ✠ ✠

كلما عاش الإنسان فى حياة الإتضاع ، يجد نفسه سوداء، وفى نفس الوقت جميلة !

مـــثل نفـــس العشار الذى لم يجرؤ أن ينظر إلى فوق ... وإنما بإنكسار قلب وبخجل، قـــال: أرحمنى يارب فإنى خاطئ (لو١٨: ١٣) . حقاً إنه نفس سوداء وجميلة. ما أعظم وأعمق هذه المقابلة:

العشار نفسه سوداء وجميلة. والفريسى لم يكن جميلاً وهو أبيض .

نفـــس أخـــرى كانت سوداء وجميلة هى نفس اللص اليمين على الصليب! كان لصاً، ومازلـــنا نســـميه بـــاللص. وهى كلمة ترمز إلى سواده. وكلمة اليمين ترمز إلى بره فى المسيح.

راحاب الزانية – كذلك اللص – كانت سوداء وجميلة .

كانت إمرأة مشهورة فى المدينة إنها خاطئة. ولكن الحبل القرمزى كان يقول إنها أكثر جمالاً من كل سكان أريحا (يش٦) .

✠ ✠ ✠

كل نفس سوداء أو جميلة تناديكم : لا تحكموا حسب الظاهر .

إن الظاهـــر لا يقـــدم الحقيقة مطلقاً . لما رأى صموئيل النبى الابن البكر ليسىّ، قال "هـــوذا أمـــام الرب مسيحه، بينما قال الرب "أنا قد رفضته" . وقال لصموئيل : لا تحكم حســـب الظاهـــر . بينما أختار الرب داود الذى كان يقول : "صغيراً كنت فى بيت أبى، ومحتقراً عند بنى أمى" . هذا الصغير هو الذى صار مسيحاً للرب، وحل عليه روح الرب (١صم١٦) .

✠ ✠ ✠

عبارة "أنا سوداء وجميلة" يمكن أن يقولها كل ضعيف أختاره الرب .

فالرب قد أختار تلك النفوس السوداء الجميلة "أختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء. وأخـــتار الله ضـــعفاء العـــالم لـــيخزى الحكمـــاء. وأختار أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجـــود.." (١كـــو١: ٢٧، ٢٨). أختار مجموعة من الصيادين ليكونوا رسله. وأختار

موســـى الأغلف الشفتين ليكون كليمه، وأختار الفتى ارميا الصغير ليكون نبياً للشعوب.. وأخـــتار العشار متى بين الاثنى عشر، وتوما الشكاك أيضاً بينهم. إنها نفوس كانت تبدو للكثيرين سوداء فى ضعف مكانتها، ولكنها كانت فى نظر الله جميلة. نعم إنه الله الذى قيل عنه :

الساكن فى الأعالى ، والناظر إلى المتواضعات .

"المقيم المسكين من التراب، والرافع البائس من المزبلة، لكى يجلس مع رؤساء شعبه. الذى يجعل العاقر ساكنة فى بيت ، أم أولاد فرحة" (مز١١٣) . نعم، هذه النفس الخارجة من التراب ومن المزبلة، تصلى إليه قائلة فى شكر : أنا سوداء وجميلة .

✠ ✠ ✠

أنا ضعيفة أعمل بقوة الله ، وجاهلة أتكلم بحكمة الله .

أنا المزدرى وغير الموجود ، ولكن الله منحنى وجوداً ...

فـــى إحـــدى المرات أختار الله حفنة من التراب مدوسة فى الأرض، ونفخ فيها نسمة حـــياة، فصـــارت نفساً حية" (تك٢)، وجعلها الله على صورته ومثاله. وإذ صارت كذلك، إنطبقت عليها عبارة : "أنا سوداء وجميلة" .

ألســـت تـــرى معـــى أيها القارئ العزيز أن هذا الموضوع له بقية طويلة ؟ نعم ، إنه لكذلك ...

٣

أنا سَوداء وجَميلة "ب"

يمكــن أن تستخدم عبارة "أنا سوداء وجميلة" للدلالة على الإنسان الذى هو فى حالة ضعيفة أو محتقرة أمام البشر .

مثل الآباء الرسل الذين كانوا صيادين من جهال العالم، حيث قيل عن بطرس ويوحنا إنهمــا "إنســانان عديما العلم وعاميان" (أع٤: ١٢). وكما كانت القديسة العذراء فى نظر الناس إنسانة فقيرة خطيبة رجل نجار، ومع ذلك جعلها الله أسمى من الشاروبيم وأعلى من السارافيم، وقبل رؤساء الملائكة !

✠ ✠ ✠

ويمكن لعبارة "أنا سوداء وجميلة" أن تكون وصفاً لغير الإنسان:

كقرية بيت لحم التى كانت تعتبر أنها "الصغرى بين رؤساء يهوذا" ولكنها صارت من أعظــم المــدن إذ "خرج منها مدبر يرعى شعب إسرائيل" (مت٢: ٦) هو المسيح الرب. وكذلك يمكن أن يُوصف بنفس العبارة "مزود البقر" الذى وُلد فيه رب المجد. أماكن سوداء ولكنها جميلة. ومثل مدينة الناصرة التى قيل عنها فى تعجب "أمن الناصرة يمكن أن يكون شــئ صالح؟!" (يو١: ٤٦) . ومع ذلك كل تلك الأماكن مواضع مقدسة: سوداء كما كانت فى نظر ذلك الزمان. ولكنها صارت جميلة .

مزود البقر الذى تعافه النفس، أتى إليه أباطرة وملوك لكى يتباركوا منه ويسجدوا فيه. وكل حبة تراب من أرضه تغنى قائلة : أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم .

✠ ✠ ✠

عبارة "سوداء وجميلة" تستخدم أيضاً فى مجال الفضائل والمثاليات .

فكثـير مـن الفضائل تبدو للإنسان سوداء ، بينما هى جميلة . ومن أمثلة ذلك الباب الضيـق والطـريق الكرب (مت٧: ١٤) . وهكذا الصليب الذى ينبغى أن يحمله كل من يسير وراء الرب (مت١٠: ٣٨) .

وقـد تبدو سوداء ، الأمور التى يتعب فيها الإنسان نفسه، أو تضغط على إرادته: مثل تقديـم الخد الأخر لمن يلطمه اللطمة الأولى (مت٥: ٣٩). وكأن يبارك لاعنيه، ويحسن إلى مبغضيه (مت٥: ٤٤) . ويقبل الظلم فى صمت. "كشاه تساق إلى الذبح، ولا يفتح فاه" (أش٥٣: ٧).. كـل هـذه تبدو أمامه أموراً ضاغطة. ولكنها تهمس فى أذنيه "أنا سوداء وجميلة".

✠ ✠ ✠

هكذا كل أنواع التعب التى يتحملها الإنسان من أجل الخير :

ليس فى الروحيات فقط، وإنما حتى فى جميع الواجبات كتلميذ يسهر الليل، ولا يخرج لاهياً مع أصحابه. إنما يحبس نفسه فى بيته، ويذاكر لكى ينجح. وأيضاً رب الأسرة الذى يكدح ليلاً ونهاراً لأجل الحصول على قوت أسرته. أمثلة كلها تعب، ولكنها جميلة.

الجلجثة عموماً تبدو فى نظر الناس سوداء، وكذلك الصليب.

سـواء كان ذلك لأجل الفضيلة، أو فى محيط الخدمة. أنظروا ماذا يقول القديس بولس الرسول عن خدمته وخدمة معاونيه: مكتئبين فى كل شئ، ولكن غير متضايقين. متحيرين ولكن غير يائسين. مضطهدين لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين.. نُسلم دائماً للموت لأجل يسوع، لكى تظهر حياة يسوع أيضاً فى جسدنا المائت" (٢كو٤: ٨- ١١).

وهـا عبارات : مكتئبين، متحيرين، مضطهدين، نُسلَم دائماً للموت، إلا عبارات تبدو سوداء، وهى جميلة.

كذلـك يقـول بنفس المعنى عن الخدمة "كمضلين ونحن صادقون. كمجهولين ونحن معـروفون. كمائتيـن وها نحن نحيا.. كحزانى ونحن دائماً فرحون. كفقراء ونحن نغنى كثيرين.." (٢كو٦: ٨- ١٠) .

ونحـن نلقى إلى عبارات: مضلين، ومجهولين، ومائتين، وحزانى، وفقراء.. فتهمس

في آذاننا "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم" .

✠ ✠ ✠

وعبارة "بنات أورشليم"، إنما ترمز إلى أولاد الله السائرين في طريقه. الذين ينتمون إلى أورشليم "مدينة الملك العظيم" (مت٥: ٣٥).

إن أورشليم ترمز كثيراً إلى الكنيسة المقدسة. والأبرار سوف يسكنون في أورشليم السمائية، النازلة من السماء كعروس مزينة لعريسها (رؤ٢١: ٢). وبنات أورشليم هن النفوس المنتمية إليها التي تتحدث إليها عذراء النشيد . "أنا سوداء". أنا الباب الضيق الذي يوصل إلى الملكوت . أنا الوصايا الصعبة التي تبدو ضاغطة على "الأنا" ، على الذاتية، على الكرامة البشرية، على الإرادة التي يناديها الرسول بقوله "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم" (١يو٢: ١٥) ، بينما هي لم تتخلص بعد من محبة العالم ...

✠ ✠ ✠

إننا مدعوون جميعاً لأن نمشي في طريق الجلجثة حاملين الصليب .

ولا يوجد طريق إلى القيامة سوى الجلجثة. وإن لم نتألم مع المسيح، فلن نتمجد معه (رو٨: ١٧). آلام الزمان الحاضر قد تبدو سوداء. ولكنها جميلة لأنها تؤدي إلى المجد العتيد الذي سيستعلن فينا (رو٨: ١٨) .

وجميع صلبان الحياة الروحية تصيح قائلة: أنا سوداء وجميلة.

هذه الصلبان (السوداء!) خاف من سوادها بطرس الرسول، فقال للرب "حاشاك يارب أن يكون لك هذا" (مت١٦: ٢١، ٢٢) . وظن بطرس أن الجمال يكون على جبل التجلي فقال للرب "ياسيدي ، جيد أن نكون ههنا" (مر٩: ٥) ... كلا، أيها الرسول العظيم. إن المسامير والجلدات والأشواك، كلها سوداء، ولكنها جميلة، لأنها تعبر عن الحب، وفيها البذل والفداء .

✠ ✠ ✠

أيضاً فضيلة الزهد والموت عن العالم ، هي سوداء وجميلة .

قد يبدو صعباً ومتعباً، أن يحرم الإنسان نفسه من كل ملاذ العالم، حتى الحلال منها، ويحيا في الوحدة والصوم، وفي العوز والفقر، متجرداً من كل الرغبات والشهوات.. ولكنها حياة جميلة .

صـــدقوني ، إن الحـــياة الروحـــية كلها ، يمكن أن تندمج تحت هذه العبارة : "سوداء وجميلة" . إنها تذكرنا بقول الرب :

"من وجد حياته، يضيعها. ومن أضاع حياته من أجلي، يجدها" (مت١٠: ٣٩) .

مـــن ذا الذى يقبل أن يضيع نفسه؟! فى نظره هذه العبارة سوداء. ولكنها جميلة، لأنها الطريق الوحيد الموصل إلى الله. ولهذا ذكرها الله كبداية للسير وراءه، فقال "إن أراد أحد أن يـــأتى ورائى ، فلينكر نفسه، ويحمل صليبه ويتبعنى" (مت١٦: ٢٤) ... نعم ، لابد أن تختفى ذاته، لكى يظهر الله فى حياته .. تموت ذاته، لكى يحيا الله فيه ...

✠ ✠ ✠

إن الحياة مع الله تبدأ بالموت . فنموت لكى نحيا .

ندفـــن معه فى المعمودية ، لكى نقوم فى جدة الحياة . يموت إنساننا العتيق، لكى يولد إنسان جديد على صورة الله (رو٦: ٣- ٨) .

وهكـــذا يصرخ الطفل حينما نغطسه فى الماء . ولكننا نلبسه بعد ذلك ملابس بيضاء، رمـــزاً للحياة الطاهرة الجديدة التى يحياها. ونهنئ أهله على أن ابنهم قد مات مع المسيح. ماتت طبيعته القديمة . وكل شئ صار جديداً .

✠ ✠ ✠

التجارب والضيقات هى أيضاً - فى المفهوم الروحى - سوداء وجميلة .

أنظـــروا إلى تجربة أيوب كمثال . كانت تبدو سوداء للغاية، إذ قد تم تجريده من كل شـــئ: مـــن الأولاد والمال وكل غناه ، ومن صحته ومن راحته. حتى من اصحابه الذين عـــيروه ظلماً. حتى مَنْ كرمته أيضاً، إذ يقول أيوب "أقاربى قد خذلونى، والذين عرفونى نسونى. نزلاء بيتى وإمائى يحسبوننى أجنبياً. صرت فى أعينهم غريباً. عبدى دعوت فلم يجـــب، بفمـــى تضرعت إليه. نكهتى مكروهة عند إمرأتى، وخممت عند أبناء أحشائى.. كرهنى كل رجالى، والذين أحببتهم انقلبوا علىّ" (أى١٩) .

ولكـــن ما كانت تجربة أيوب سوداء، إلا أنها كانت جميلة . إذ قال فيها لله : بسمع الأذن سمعت عنك. والآن رآتك عينى" (أى٤٢: ٥) .

دخل فى التجربة السوداء . فخرج أبيض أكثر من الثلج. خرج منها بخيرات مضاعفة (أى٣٢: ١٠، ١٢)، وبخـبرات روحـية عميقة (أى٤٠: ٤) (أى٤٢: ٢- ٦). كما كانت تجربة جميلة، كقدوة للآخرين ومثال (يع٥: ١٠، ١١) .

✠ ✠ ✠

إنـنا نصلى إلى الله قائلين "لا تدخلنا فى تجربة" (مت٦: ١٣) . ولكن جمال التجارب التى نخافها ، يظهر فى قول يعقوب الرسول :

"أحسبوه كل فرح يا أخوتى، حينما تقعون فى تجارب متنوعة" (يع١: ٢) .

خـذوا تجربة ثانية هى تجربة أبينا ابراهيم: كم كانت شديدة وحساسة جداً، إذ قال له الرب "خذ أبنك ، وحيدك، الذى تحبه نفسك، اسحق.. وأصعده لى محرقة على أحد الجبال الـذى أريـك إياه" (تك٢٢: ٢) . أمر صعب، ويبدو فوق الاحتمال. وأخبار تبدو سوداء. حـتى أن ابراهـيم لـم يسـتطع أن يقولهـا لزوجته سارة، خوفاً من أن تسقط ميتة عند سـماعها..! ومـع ذلك كانت هذه التجربة جميلة، فى أنها أثبتت إيمان ابراهيم وطاعته، وجعلـته مـثلاً فـى الطاعة. كما كان من نتيجتها قول الرب له "من أجل أنك فعلت هذا الأمـر، ولم تمسك ابنك وحيدك عنى، أباركك مباركة، وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء، وكالرمل الذى على شاطئ البحر.." (تك٢٢: ١٦، ١٧) .

مـع أن تجـربة ابراهيم فى ذبح ابنه كانت تبدو سوداء، إلا أنها كانت جميلة، كمثال للفداء، وللطاعة ، وللإيمان . صورة رائعة ...

✠ ✠ ✠

بـالفهم البشـرى كل تجربة تبدو سوداء. ومن الناحية الأخرى لابد أن وراءها خيراً. أول معرفة ابرام بالله، كانت تبدو تجربة ، حيث قال له "اذهب من أرضك ومن عشيرتك وبيت أبيك، إلى الأرض التى أريك" (تك١٢: ١).. حرمان من الأهل ومن الأقارب والوطن، ومع ذلك كانت تلك التجربة جميلة ، إذ قال له الرب فيها : "فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك، وتكون بركة.. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض" (تك١٢: ٢، ٣).

إن سـواد التجربة يكمن فى الفهم البشرى الخاطئ لها . أما جمالها فهو فى القصد الإلهى منها، والفهم الروحى لها .

✠ ✠ ✠

الطاعة أيضاً قد تبدو سوداء أحياناً، عندما تضغط على الإرادة :

صعب أن يتخلى الإنسان عن مشيئته ورغبته، وربما عن فكره الخاص، وينفذ مشيئة غيره.. كالطفل الذى يحرمه أبوه من ألعابه وأصحابه، ليجلس إلى دروسه... ولكن الطاعة جميلة، لأن فيها الخير. وبها تتدرب نفوسنا وتكبر. وما أخطر أن يسلك الإنسان حسب هواه ، كما يفعل الابن الضال! وكما يفعل الوجوديون الملحدون الذين يطيعون هواهم ليتمتعوا بوجودهم!!

✠ ✠ ✠

أيضاً من الأشياء التى تبدو سوداء وجميلة: التوبيخ والتأديبات :

صعب على الإنسان المهتم بكرامته، أن يسمع كلمة توبيخ أو كلمة انتهار، أو أن توقع عليه عقوبة..! بينما نرى النفس التى تسعى إلى خلاصها، ترحب بكلمة التوبيخ وتفرح بها، لأنها تكشف لها أخطاءها، لكى تعالجها فتخلص ...

إن التأديبات جميلة "لأن الذى يحبه الرب يؤدبه" (عب١٢: ٦) .

ولكنها سوداء فى نظر الذين لا يحتملونها . إذ تخدش "الذات" التى يحرصون عليها ، وتحرمهم من المديح الذى يحبونه!

عندما قال الرب لبطرس "اذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى ، لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس" (مت١٦: ٢٣) ... لم يغضب بطرس، بل سمع عبارة التوبيخ فى محبة لخلاص نفسه .

إن الله يعلمنا الحياة: بكلمات الحب حيناً ، وبكلمات التوبيخ حيناً آخر. بالبشارة المفرحة حيناً، وبالصليب حيناً آخر.. بالخيرات التى تنسكب من السماء حتى نقول كفانا كفانا، وأيضاً بالتجارب والضيقات ...

✠ ✠ ✠

أيضاً فضيلة التعب من أجل الرب ، هى كذلك سوداء وجميلة ...

سواء التعب فى السهر والصوم والنسك والمطانيات وضبط النفس.. ما أسهل أن يستريح الإنسان، ويسترخى تحت فراشه الدفئ.. ولكن الجميل هو أن يقوم ويصلى صلاة

نصـــف الليل، فيجد التعزيات الجميلة . كذلك الذين يمارسون المطانيات لا يشعرون فيها بتعـــب إنمـــا بلذة روحية. والصوم أيضاً ليس حرماناً للجسد بل هو نشوة للروح. كما أنه مفيد للجسد من نواح متعددة ...

✠ ✠ ✠

نفس الكلام نقوله عن العشور والبكور ، والعطاء عن احتياج .

ما أصعب ممارسة البعض لهذه الوصية ، مع شعورهم باحتياجهم لكل قرش يدفعونه! ولكـــن مـــا أجملها فى البركة وفى البذل ، وفى المحبة التى نظهرها نحو الفقراء ، وفى إطاعة الوصية ...

✠ ✠ ✠

إن الفضـــيلة قـــد تكـــون صعبة وسوداء بالنسبة إلى المبتدئين ، الذين يشتهى فيهم الجسد ضد الروح . أما عند القديسين فهى جميلة ومحبوبة .

إن الكامليـــن الذين ذاقوا حلاوة الحياة الروحية ولذة العشرة مع الله، لا يرون الفضيلة ســـوداء مهمـــا بدت صعبة! بل هى فى نظرهم جميلة يشتهونها بكل قلوبهم . وهكذا يقول القديس يوحنا الحبيب "ووصاياه ليست ثقيلة" (١يو٤: ٣). ويتغنى داود كثيراً بوصية الرب فـــيقول إنهـــا "مضيئة تنير العينين" (مز١٩). وإنها أحلى من العسل فى فمه، وأغلى من الجوهر (مز١١٩) .

✠ ✠ ✠

إن الـــنفس التى تعبت من أجل الرب ، وعاشت فى العالم كسوداء، "لا صورة لها ولا جمـــال" (أش٥٣: ٢)، فى مذلة الاتضاع والاحتمال، لا متعة لها بالعالم وكل ما فيه، ولا غنى فيه ولا جاه، "خسرت كل الأشياء وهى تحسبها نفاية لكى تربح المسيح" (فى٣: ٨)، واضاعت نفسها لكى تجدها .

هـــذه النفس عندما تصعد إلى فوق، ستقول لنفوس الأبرار فى الفردوس "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم" .

٤

أنا سـودَاء وجَميلة "ج"

(نش ١ : ٥)

"أنـــا ســـوداء يـــا بنات أورشليم، كخيام قيدار، كشقق سليمان. لا تنظرن إليّ لكوني سوداء، لأن الشمس قد لوحتني" (نش١: ٥، ٦) .

"أنا سوداء" عبارة جميلة، تقولها النفس المتواضعة المعترفة بأخطائها. لا تجد حرجاً من ذكر نقائصها .

كلمـــا تعـــترف هذه النفس بشئ من سوادها، يمحوه الله بدمه، ولا يعود يحسبه عليها. يغسله الرب، فيبيضّ أكثر من الثلج ...

* * *

"أنا سوداء" . تقول ذلك أمام الله والناس، وأمام ذاتها .

أمـــام الله : حيـــنما تقول "إليك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت" (مز ٥١). وأمام الناس: إذ لا تتفاخر ولا تتباهى. وأمام ذاتها : إذ هى نفس منسحقة فى الداخل، ليست بارة فى عينى نفسها..

فالنفس البارة فى عينى نفسها، لا يمكن أن تقول "أنا سوداء"! أمنا حواء لم تستطع أن تقول هذه العبارة، ولا أبونا آدم استطاع .

* * *

أنا سوداء بإرادتى وحريتى ، وجميلة بمحبة الله التى تطهرنى .

أنا سوداء ، لأن الشمس قد لوحتنى .

الشمس هى شمس البر، أى الله تبارك إسمه. وكلما تقترب النفس من الله الكلى القداسة الكلـــى الـــبر، تشعر بأخطائها، وترى أنها لا شئ .. حتى إن كان لها برّ، فهو إلى جوار كمال الله يبدو كخرقة الطامث (حز٣٦: ١٧) . فتصرخ هذه النفس قائلة:

"أنا سوداء.. لأن الشمس قد لوحتنى". بهاء الله أشعرنى بسوادى..

حقـــاً إنـــه أمام الله ، يتضاءل الكل "السموات ليست طاهرة أمامه وإلى ملائكته ينسب حماقة" (أى٤: ١٨).. فكم بالأكثر بسكان الأذلاء !!

إنـــنا إن تأملنا برّ القديسين أو الرسل أو الملائكة، نجد أننا لسنا شيئاً. فكم بالأولى إن تأملنا كمال الله وقداسته..

هـــذا الكمال الإلهى غير المحدود، قد لوّحنى، فأصبحت أرى نفسى فى الموازين إلى فـــوق (مـــز٦٢: ٩).. ولكـــنى على الرغم من هذا جميلة. لأن الرب سوف يلبسنى ثوباً أبـــيض، ويهبـــنى إكلـــيل البر، ويمنحنى التجلى الذى أعطاه لتلاميذه، ويعيد إلىّ الصورة الإلهية التى خُلقت بها وفقدتها ...

✠ ✠ ✠

"أنا سوداء وجميلة" عبارة تصوّر حالة القديسين الذين – إمعاناً فى الإتضاع – كانوا يتظاهرون بالجهل والتهاون والخبل !!

مـــثل القديســـة العظـــيمة التى كشف سرّها القديس الأنبا دانيال ، التى كانوا يدعونها (الهبـــيلة). وكانـــت تلقـــى بذاتها فى تراخ وكسل خارج الكنيسة، ولا تحضر الصلاة مع الراهـــبات، ولا تقوم أمامهن بأى عمل من أعمال العبادة. فإذا نمن كلهن، قامت فى ظلام اللـــيل، وأنتصبت أمام الله فى صلوات عميقة طول الليل. حتى إذا ما أستيقظت الراهبات، تتراجع إلى صورة التراخى، وتتعرض للاحتقار والإهانة .

كانـــت فـــى نظـــر الناس سوداء، لأنها أخفت برّها عنهم. ولكنها كانت فى حقيقتها جميلة، وأجمل من الكل .

✠ ✠ ✠

القديس الأنبا رويس ، كان – فى أيامه – يبدو أمام الناس رجلاً حافياً، يسير وراء جمله، بلا لقب ولا وظيفة ولا كهنوت. يزفّه الأطفال قائلين : المجنون المجنون!!" صورته سوداء، ولكنها جميلة .

ويعوزنى الوقت ، إن سردت قصص القديسين الذين ساروا فى هذا الطريق.. كأولئك الذين قالت لهم القديسة سارة :

"بالحقيقة إنكم اسقيطيون . لأن ما عندكم من الفضائل تخفونه ! وما ليس فيكم من النقائص تنسبونه إلى أنفسكم!

✠ ✠ ✠

صورة تبدو أمام الناس سوداء . وهى فى حقيقتها جميلة ...

صورة الذين باستمرار يأخذون المتكأ الأخير ، محتقرين ومرذولين من الناس. وقد ملئت نفوسهم عن المجد الباطل ومحبة المديح .

العشار وهو واقف من بعيد فى مذلة الخطاة، لا يجرؤ أن يرفع نظره إلى فوق، كانت نفسه فى نظر الفريسى سوداء، وهى جميلة !

كذلك الخاطئة التى بللت قدمى المسيح بدموعها (لو٧). كانت فى نظر سمعان الفريسى سوداء! وفى نظر المسيح كانت جميلة .

إنها النفس المنسحقة التى تدين ذاتها، وهى غارقة فى دموعها. التى يقول لها الرب: حوّلى عينيك عنى، فإنهما غلبتانى.

✠ ✠ ✠

يمكن أن عبارة (سوداء) تطلق على حياة الحرمان والتجرد، التى يحياها النساك وأشباههم من أجل الرب ...

إن لعازر المسكين الذى كان يشتهى الفتات الساقط من مائدة الغنى، وكانت الكلاب تلحس قروحه (لو١٦)، قطعاً كانت نفسيته تبدو سوداء فى نظر الغنى وأهل بيته. ولكنها كانت نفساً جميلة حملتها الملائكة إلى حضن ابراهيم (لو١٦: ٢٢).

فبإن كان من أحتمل حرماناً وقع عليه بغير إرادته ، قد حسب أهلاً لهذا المجد، فكم بالأكثر من يتجرد بإرادته ..!

أولئك الذين باعوا أملاكهم لتُعطى للفقراء، وعاشوا فى جوع وعطش. وقد خسروا كل الأشـــياء، وهـــم يحســـبونها نفاية لأجل معرفة المسيح (فى٣: ٨). ووضعوا أمامهم قول الرســـول "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم" (١يو٢: ١٥).. لاشك أن حياة أولئك وهـــى خالـــية من كل مباهج الدنيا، كانت تبدو لغيرهم سوداء! ولكنها كانت حياة روحية جميلة..

* * *

هكـــذا الفتاة التى ترفض الملابس الخليعة ، وما يناسب تلك الملابس من زينة، تبدو هذه الفتاة فى نظر الأخريات فلاحة ومتأخرة! ولكنها جميلة ...

إن الـــنفس البارة التى لا تتشبه بأهل العالم "ولا تتشاكل أهل هذا الدهر" (رو١٢: ٢).. تســـتطيع أن تقـــول لنظائرها "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم" . أنا لا أتمتع بشئ من مباهج الدنيا، ولكننى لا أشعر بحرمان! إنما يشعر بالحرمان، الشخص الذى يشتهى الشئ ولا يـــناله. أما الذى لا يشتهيه ، فهو لا يشعر بحرمان . بل هو سعيد بما فيه. حياته فى تجرده جميلة فى عينيه ...

* * *

فضيلة التجرد فى نظر الناس سوداء، وكذلك إخلاء الذات .

السيد المسيح أخلى ذاته، وأخذ شكل العبد (فى٢: ٧). وُلد فى مزود بقر، وعاش فى بيت رجل نجار فقير ، ومن أم يتيمة وفقيرة، ومن قرية صغيرة. ودُعى ناصرياً نسبة إلى الناصـــرة التى كانوا يتعجبون أن يخرج منها شيئاً صالح (يو١: ٤٦). وهرب فى طفولته إلـــى مصر. ثم عاش لا يجد أين يسند رأسه (مت٨: ٢٠). وكان "رجل أوجاع، ومختبر الحـــزن" (أش٥٣: ٤). وأخيراً حكم عليه بالموت، واستهزأوا به وصلبوه كفاعل إثم بين لصين ...

صـــورة تـــبدو سوداء. وربما فى نظر الناس تمثل المهانة والضعف ! ولكنها كانت جميلة، تمثل الحب والبذل والفداء وأخلاء الذات .

* * *

المحبة وهى صاعدة على الصليب ، تقول للناس : لا تنظروا إلىّ لكون صورتى على الصليب تبدو سوداء فى نظركم . لأن الشمس قد لوّحتنى. عملية الإخلاء صيرتنى سوداء.

وكذلـك البذل والفداء جعلني "كشاه تساق إلى الذبح، كنعجة صامتة أمام جازيها" (أش٥٣: ٧). إنها صورة سوداء وجميلة .

صـدقوني إن قصة التجسد والفداء ، في هذه العبارة العميقة "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم" .

هذه الصورة التي حاول البعض أن يتبرأ منها : "ملعون من عُلّق على خشبة" (غل٣: ١٣).. صـارت أبهى وأجمل صورة في الوجود، يمجدها ويقبّلها الجميع . وتزين الناس والأماكن. ولا ينظرون إليها لكونها سوداء. فإن الشمس قد لوّحتها .. وكيف لوّحتها؟

✠ ✠ ✠

لقـد غـيّر السيد المسيح موازين العالم. غير الإيديولوجيات التي يؤمن بها الناس. وجعل هذه السوداء تبدو جميلة .

وهكذا كثير من الفضائل تبدو سوداء وهي جميلة .

ربمـا تبدو أمامك صورة سوداء، أن تحوّل الخد الأخر، وتمشي الميل الثاني. وتكون دائماً مراضياً لخصمك مادمت في الطريق (مت٥: ٢٥). ولكنها صورة جميلة ، تدل على نقاوة القلب من الداخل، وخلوه من الحقد ومن الرغبة في الانتقام .

إن التسامح أكبر وأقوى من الإهانة التي تصدر من أشخاص مغلوبين من أعصابهم..! ولذلك فإن الرسول يطلب من الأقوياء أن يحتملوا ضعف الضعفاء (رو١٥: ١) .

قوة الاحتمال تبدو كأنها ضعف، وكأنها سوداء وهي جميلة !

مثل مياه النيل المحملة بالطمي، هي أيضاً سوداء وجميلة .

كذلـك فضـيلة الصـبر ، فضيلة تبدو سوداء ومُرة . ولكن ما أجمل الصبر . يقول الكتاب "من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (مت٢٤: ١٣) .

✠ ✠ ✠

عـبارة (سوداء وجميلة) تنطبق أيضاً على أولئك المظلومين، الذين لا يدافعون عن أنفسهم، ويظهرون كأنهم مذنبون، وهم أبرياء !

صورة أمام الناس سوداء، وهي جميلة . وليست فقط جميلة لأنهم أبرياء ، بل بالأكثر

لأنهم لم يدافعوا عن أنفسهم، ولم يهتموا أن يظهروا أمام الناس أبرياء .

مـــثال ذلـــك يوسف الصديق الذى كان فى نظر الناس عبداً ، وقبل الأمر فى صمت. وعلـــى الرغم من إخلاصه الشديد لسيده، أتهمته المرأة ظلماً، وألقى فى السجن كفاجر.. بصورة سوداء ، ولكنها فى أعماقها أجمل الصور روحياً .

لو دافع يوسف عن نفسه وقت بيعه، لأحرج أخوته الذين كانوا يبيعونه . ولو دافع عن نفســـه فـــى تهمة الزنا ، لأحرج أمرأة فوطيفار . وهكذا فضّل ألا يحرج أحداً، وليكن هو الضحية وكبش الفداء .

صورة جميلة لنفسٍ نبيلة ، على الرغم مما فيها من العبودية والظلم .

* * *

عكـــس الصـــورة الـــتى تـــبدو سوداء وجميلة ، الصورة التى تبدو جميلة وهى فى حقيقتها سوداء .

مثل القبور المبيضة من الخارج ، وفى الداخل عظام نتنه (مت٢٣: ٢٧) .

أما أولاد الله ، فلا يهمهم الخارج ماذا يكون "ليكن أسود فى نظر الناس، إنما المهم هو القلب من الداخل كما يراه الله الذى قال "يا ابنى أعطنى قلبك" (أم٢٣: ٢٦) .

إنهم يهتمون بالداخل الذى يراه الله ، وليس بالخارج الذى يراه الناس . وهكذا يخفون صومهم وصلاتهم وصدقتهم، كما أمر الرب . وأبوهم الذى يرى فى الخفاء ، هو يجازيهم علانية (مت٦) .

أنا سوداء وجميلة "د"

كنيسة الأمم :

إنها عبارة تتوجه بها كنيسة الأمم إلى بنات أورشليم، أى إلى كنيسة اليهود الذين يحتقرون الأمم، ولا يعترفون بهم شعباً لله ...

يرون أن جماعة الأمم سوداء، لأنها قد حُرمت من أصل الآباء، ومن الناموس والأنبياء، بلا شريعة إلهية، بلا تقاليد ، بلا عهد مع الله ، وبلا وعود إلهية ، بلا تاريخ، بلا نسب إلى أب الآباء ابراهيم .

لذلك فإن كنيسة الأمم تقول لهم إننى وإن كنت سوداء، إلا أننى جميلة فى المسيح يسوع والإنتساب إليه ...

إن كنت سوداء ، ليس لى إبراهيم أباً، فأنا جميلة لأن لى أباً فى السماء. وأمى هى أورشليم العلوية التى وُلدت فيها من الروح القدس والماء .

إن كنت سوداء لم أتعلم فى مدرسة الناموس والأنبياء ، فإننى جميلة إذ تدربت فى مدرسة النعمة . لم أدرك الحرف ، لكننى أدركت الروح "جعلنا الله كفاةً لأن نكون خدّام عهد جديد لا بالحرف بل بالروح . لأن الحرف يقتل ، ولكن الروح يحيى" (٢كو٣: ٦).

أنا لم أدرك الوصايا العشر ، لكنى أدركت العظة على الجبل وتعليم الإنجيل وسفر الأعمال وكتابات الرسل القديسين.

✠ ✠ ✠

أنا سوداء فى نظر بعض البشر ، لكننى جميلة كما يرانى الرب .

سوداء فى حكم قسوتكم كبشر . لكننى جميلة بحنان الرب ورحمته . إن الرب قد بسط علىّ جماله (حز١٦: ١٤) . وساوانى بكم على غير استحقاق .

مـــاذا أقـــول للرب الذى أعطانى ديناراً ، كالذين جاءوا إليه من أول النهار، أنا الذى أتيت فى الساعة الحادية عشرة (مت٢٠: ٩- ١٥) .

"بمـــاذا أكافـــئ الرب عن كل ما أعطانيه؟! كأس الخلاص آخذ، وباسم الرب أدعو.." (مز١١٦: ١٢، ١٣) .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء لأننى زيتونة برية ...

ولكننى جميلة لأننى طُعّمت فى الزيتونة الأصلية ، فصرت شريكة فى أصل الزيتونة ودســـمها" (رو١١: ١٧). هـــى قُطعـــت من أجل عدم الإيمان وأنا بالإيمان ثبتّ وأصبح الأصل يحملنى. ولن افتخر على الأصل (رو١١: ١٨) .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء بالنسبة إلى حياتى الماضية ، ولكننى جميلة وأنا مغسولة بدم الذى أحبنا وغسلنا من خطايانا بدمه (رؤ١: ٥) .

وهكذا صرت بيضاء كالثلج .. سوداء بطبيعتى الترابية المادية. وجميلة بحلول الروح القدوس فى هيكلى (١كو٣: ١٦). فأناره وقدّسه ودشّنه .

ســـوداء كخـــيام قـــيدار (حفيد اسماعيل) التى لها شعر الماعز الأسود . ولكنى جميلة كشقق سليمان ، كستائر الهيكل التى من أسمانجونى وقرمز وأرجوان.. من الداخل. "وكل مجد إبنة الملك من داخل" (مز٤٥) .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء كالعشار فى نظر الفريسى (لو١٨: ١١) .

وكالمرأة الخاطئة فى نظر فريسى آخر هو سمعان (لو٧: ٣٩). وكالمرأة السامرية فى نظر التلاميذ الذين تعجبوا من أن الرب كان يتكلم معها (يو٤: ٢٧). نعم سوداء، كالمولود أعمـــى الـــذى شـــتمه اليهود قائلين له : أنت تلميذ ذاك (أى المسيح).. فى الخطايا وُلدتَ بجملتك" (يو٩: ٢٨، ٣٤) ...

ولكننى جميلة فى نظر الرب الذى بررنى كل أولئك..

✠ ✠ ✠

أنا سوداء كالمرأة الكوشية التى أتخذها موسى النبى امرأة له (عد١٢: ١).

ولكـنها صارت باتحادها بهذا النبى، حسب تعليم الرب (١كو٧: ١٤) . وعلى الرغم مـن أن مريم وهارون قد تكلما على موسى بسبب تلك الكوشية ، إلا أن الرب لم يوافقهما على ذلك، بل وبخهما وامتدح موسى .

وقد كانت تلك المرأة الكوشية رمزاً لى، أنا كنيسة الأمم .

وكالمرأة الكوشية ، كانت ملكة سبأ ، كلتاهما سوداء وجميلة .

وكل منهما كانت رمزاً . ومع أن ملكة سبأ (ملكة التيمن) كانت سوداء، إلا أنها كانت جمـيلة. لأنها أتت من أقاصى الأرض لتسمع حكمة سليمان . وقد طوّبها الرب وقال إنها ستقوم فى يوم الدين مع ذلك الجيل وتدينه" (مت١٢: ١٢) .

✠ ✠ ✠

كذلك مدينة نينوى كانت رمزاً لى أيضاً : سوداء وجميلة .

كانت سوداء فى خطيتها ، التى بسببها أرسل الله يونان النبى لكى ينادى عليها بالهلاك (يـونان١: ١، ٢). وكانت أممية أيضاً مثلى. ولكنها كانت جميلة فى توبتها وصومها. حتى أن الله لما رأى أن أهلها قد "رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله على الشرّ الذى تكلم أن يصـنعه بهـم، فلـم يصنعه" (يون٣: ١٠) . بل قال ليونان "..أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة؟!" (يون٤: ١١) .

ولأكثر مـن هـذا أن الرب قدمها كمثال يوبخ بها اليهود، فقال لهم : "رجال نينوى سيقومون فى يوم الدين مع هذا الجيل ويدينونه، لأنهم تابوا بمناداة يونان. وهوذا أعظم من يونان ههنا" (مت١٢: ١١) .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء وجميلة ، معترفة بحالتى . لست أنكر أصلى ولا شكلى . ولكننى جميلة فى عطية الرجاء التى قدمها لنا الرب .

لـى رجاء فى الله الذى قبل إليه الابن الضال ، قائلاً إنه كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوُجد" (لو١٥: ٢٤). ولم يكتفِ بهذا، بل ذبح له العجل المسمّن، وقال كان ينبغى أن نفرح ونُسرّ" (لو١٥: ٣٢) .

حياة ذلك الابن الضال كانت سوداء فى سقطتها، وجميلة فى توبتها.

بـل إن قصة هذا الابن الضال، كانت أيضاً رمزاً لكنيسة الأمم، التى بعدت أولاً عن

الـــرب ثم عادت إليه، وفرح الله بعودتها، بينما الابن الأكبر كان يرمز إلى كنيسة اليهود التى أفتخرت بخدمتها له، ولم تفرح برجوع الأمم إليه (لو١٥: ١٥- ٣٠) .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء ، ولكن لى رجاء فى الله الحنون الطيب .

الـــذى لا يشـــاء موت الخاطئ مثلما يرجع ويحيا (حز١٨: ٢٣) . الله "الذى لم يصنع معـــنا حسب خطايانا، ولم يجازنا بحسب آثامنا. وإنما مثل ارتفاع السموات على الأرض، قويـــت رحمته على خائفيه . كبعد المشرق عن المغرب، أبعد عنا معاصينا.. لأنه يعرف جبلتنا ، يذكر أننا تراب نحن" (مز١٠٣: ١٠- ١٤) .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء فى اعترافى بخطاياى . وجميلة بما آخذه من غفران وحلّ .

كذبـــيحة الخطـــية تُحرق خارج المحلة لأنها حاملة خطايا (عب١٣: ١١) . ومع ذلك فهى جميلة لأنها قدس أقداس للرب (لا٦: ٣٤).. وكذبيحة المحرقة التى تأكلها النار كلها حـــتى تـــتحول إلـــى رماد (لا٦: ١٠) . ولكنها مع ذلك فهى جميلة، لأنها "رائحة سرور للرب" (لا١: ٩، ١٣، ١٧) .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء كفحمة فى المجمرة، جميلة كلما أشتعلت بالنار .

تتوهج كلما أتقدت النار فيها، ولا نعود نبصر سوادها. وتتحول من فحمة إلى جمرة . وكـــل مـــن يـــراها لا يقول عنها إنها فحمة. وإنما يقول: هذه نار، نار طاهرة.. صارت جميلة..

أنا سوداء كسحب الدخان، التى ترتفع من بخور عطر يحترق .

سوداء فى لونها ، ولكنها جميلة فى رائحتها الزكية ، وفى رموزها، وفى ارتفاعها إلى فوق، كصلوات القديسين .. كالمرّ غير المقبول فى مذاقه، ولكنه جميل فى رائحته الزكية، وفى رمزه لآلام المسيح .

✠ ✠ ✠

أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم ، هكذا تقول كنيسة الأمم .

ولكنها فى بعض الأوقات كانت أكثر جمالاً من بنات أورشليم .

كان ذلك حينما قبلت الإيمان، فى الوقت الذى رفضته فيه أورشليم التى أحبت الظلمة

أكـثر من النور (يو٣: ١٩). وهكذا قال الرب لبولس الرسول "اذهب فإني سأرسلك بعيداً إلى الأمم" (أع٢٢: ٢١) .

بل قبل ذلك حينما قال الرب مطوّباً إيمان قائد المائة :

"الحق أقول لكم : لم أجد ولا فى أورشليم إيماناً بمقدار هذا" (مت٨: ١٠) .

وأضاف "وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب، ويتكئون مع إبراهيم واسـحق ويعقـوب فـي ملكـوت السـموات. وأما بنو الملكوت فيطرحون فى الظلمة الخارجـية.." (مت٨: ١١، ١٢) . ومن هم أولئك الذين أتوا من المشارق والمغارب، إلا أبناء تلك السوداء الجميلة .

✠ ✠ ✠

يذكرنى هذا بسوداء جميلة أخرى هى المرأة الكنعانية .

كانـت سـوداء لأنها تنتمى إلى شعب قد لُعن من قبل (تك٩: ٥). ولكنها كانت جميلة حيـنما لجـأت إلى السيد . وكانت جميلة بالأكثر حينما قالت له فى أنسحاق قلب "وأيضاً الكلاب تأكل من الفتات الساقط من مائدة أسيادها". وقد طوّب الرب جمال نفسيتها قائلاً لها "عظيم هو إيمانك" (مت١٥: ٢٧، ٢٨) .

✠ ✠ ✠

أخيراً فإن هذه السوداء الجميلة فى سفر النشيد ، تقول :

أنا سوداء ، ولكنى لن أبقى سوداء إلى الأبد .

أنا سوداء فى هذا الجسد المادى، ولكننى سأصير جميلة فى الجسد النورانى الروحانى الـذى سآخذه عندما يلبس الفاسد عدم فساد، ويلبس المائت عدم موت، فيقوم فى مجد وفى قوة (١كو١٥: ٤٣- ٢٤) .

سأصـير جمـيلة ، وأنا آكل من شجرة الحياة ، وأطعم المن المخفى (رؤ٢: ٧، ١٦) ويعطينى الرب اسماً جديداً ، ويلبسنى ثياباً بيضاء (رؤ٢: ١٦) (رؤ٣: ٥) .

أختى العروس جنة مغلقة

(نش ٤ : ١٢)

افتحى لى يا أختى، ياحبيبتى، ياحمامتى، ياكاملتى

(نش٥ : ٢)

أختى العروس :

إنـــه تواضع من الرب أن يقول عن النفس البشرية "أختى" بينما ترد النفس قائلة "هوذا أنا أمة الرب" (لو١: ٣٨) أى عبدته وخادمته.

لقد دعانا الرب أخوته حينما "أخلى ذاته، وأخذ شكل العبد، وصار فى الهيئة كإنسان" (فى٢: ٧) .

"لذلـــك لا يستحى أن يدعوهم أخوة" "إذ قد تشارك معهم فى اللحم والدم" (عب٢: ١١، ١٤)، عندما تجسد وتأنس .

✠ ✠ ✠

والنفس البشرية هى أيضاً عروس للرب ، وكذلك الكنيسة .

كمـــا شـــرح الرســـول فـــى الإصحاح الخامس من الرسالة إلى أفسس. وهناك أتحاد روحى، وليس اتحاداً جسدياً كما فى الزواج .

وفى هذا يقول الرسول "وأما من التصق بالرب، فهو روح واحد" (١كو٦: ١٧) . أما كيف يصير هكذا مع الله. فهذا ما قال عنه الكتاب "هذا السر عظيم" (أف٥: ٣٢). وفى روحانية هذا الارتباط، يقول الكتاب "أختى العروس" .

✠ ✠ ✠

جنة مغلقة

يقول "أختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" (نش٤: ١٢). فهى جنة ، من يوست فيها كل ثمار الروح (غل٥: ٢٢، ٢٣). وفيها "كل شجرة تعطى ثمراً جيداً" (تك٢: ٩). وتقدم ثلاثين وستين ومائة" (مت١٣: ٢٣) . فى عمل الرب .

ولكنها جنة مغلقة. لم تفتح بابها لكل طارق ، وليست سائبة بلا سور ...

ولذلك قال لها المرنم فى المزمور "سبحى الرب يا أورشليم.. لأنه قوّى مغاليق أبوابك، وبارك بنيك فيك" (مز١٤٧: ١٣، ١٤) .

إنها جنة مغلقة لم يدخلها حيوان ردئ . لم يدنسها بأقدامه ، ولم يطأ زهورها الجميلة ، ولم يعبث بأثمارها الحلوة . إنها جنة . فردوس من الفضائل. ولكنها مغلقة ، محصنة . والله فى داخلها، ولم تفتح أبوابها لعدو خارجى .

✠ ✠ ✠

وهى أيضاً عين مقفلة ، وينبوع مختوم .

هى عين ماء ، ينبوع من المياه . فيها الماء الحى الذى قال الرب عنه "من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذى أعطيه ، يصير فيه ينبوع حياة ينبع إلى حياة أبدية" (يو٤: ١٤) .

إنها عين ماء ، من النوع الذى قال عنه الرب "من آمن بى – كما قال الكتاب – تجرى فى بطنه أنهار ماء حى". قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه" (يو٧: ٣٨، ٣٩) .

✠ ✠ ✠

الكنيسة إذن ينبوع ماء حى، وهكذا النفس البشرية .

كما قال المزمور "سواقى الله مملوءة ماء" (مز٦٥: ٩). والماء رمز للحياة. إذن هى مرتوية ، وتستطيع أن تروى . ولكنها ينبوع مختوم وعين مقفلة. ليست مفتوحة للتلوث

ولا للحشرات. لكنها ينبوع نقى مختوم. هى عين ماء حلو، ولكنها عين مقفلة .

غير أنها ليست مقفولة على كل أحد، بل تنفتح حين تعطى الحياة .

ومفـــتاحها فى يد الله "الذى يفتح ولا أحد يغلق. ويغلق ولا أحد يفتح" (رؤ٣: ٧). كما يقـــول "افـــتح يـــارب شفتىّ، لينطق فمى بتسبحتك" (مز٥١: ١٥) . ولكنها حينما يحسن الصـــمت تـــراها ينـــبوعاً مختوماً. تفتح فمها بحكمة، وتفتح آذانها بحكمة، وتفتح حواسها بحكمة. وفى غير ذلك هى عين مقفلة ...

تحـــترس من خطايا اللسان، فتغلق هذا الفم. بل تقول للرب فى توسّل .. "ضع يارب حارساً لفمى، باباً حصيناً لشفتى!" (مز١٤١: ٣). وأمام حكمة الله التى فوق الفحص، تقول هذه النفس "وضعت يدى على فمى وسكتّ، لأنك أنت فعلت"..

* * *

أختى العروس ينبوع مختوم ، لكنه ينفتح للفائدة الروحية.

ينفتح فيروى الغير بالمعرفة ، وبكلمة منفعة أو كلمة تعزية أو كلمة نصح. وينفتح أمام الله بالصلاة والتسبيح . أقول هذا عن اللسان وعن القلب أيضاً الذى ينفتح بالحب والعطف والإشـــفاق لكـــل الناس. وينفتح بالدعاء للناس وبالصلاة لله.. أما أمام الأخطاء ، فالنفس مغلقة ومختومة ومقفلة .

يـــا أخى الحبيب ، عندما تنظر إلى نفسك، فتجد أن كل كلمة تسمعها، تدخل إلى قلبك وفكرك بلا ضابط . فتشغلك ، وتنفعل بها أحاسيسك ومشاعرك ، وقد تطيش فيها أفكارك حتى أثناء الصلاة .. وهكذا كل نظرة تنظرها، وكل لمسة تلمسها.. أعرف إذن أنك لست جنة مغلقة. بل أنت مدينة غير محصنة. مفتوحة لكل عدو خارجى بلا رقيب! جنتك يمكن أن تدخلهـــا الثعالـــب المفسدة للكروم! (نش٢: ١٥). وحينئذ لا تكون أنت المقصود بكلمة الرب: أختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم" .

* * *

أيضاً هذه العبارة يمكن أن تُقال عن بتولية النفس ، التى وهبت ذاتها للرب، وصارت عذراء مخطوبة له .

أما إن كانت النفس تغلق أبوابها ، فلا تفتح حتى للرب نفسه، تكون خائنة لحبه، وناكرة لجميله، بل إنه لا يتركها لأخطائها، وإنما يقول لها :

"إفتحى لى يا أختى، يا حبيبتى، يا حمامتى، يا كاملتى" (نش٥: ٢) .

والواقـــع إنـــه فى هذه الصفات الأربع التى تُوصف بها العروس من الرب، تكمن كل أحـــداث قصـــة خلاص البشرية كلها : سواء ما عمله الله لأجل خلاصنا، أو ما ينبغى أن نعمله نحن .

إفتحى لى :

افـــتحى لـــى قلـــبك من الداخل ، لأنى لا أريد مجرد إيمان شكلى ظاهرى، ولا مجرد ممارسات خارجية، أو طاعة حرفية .

إنمـــا أريـــد القلب – يقول الرب – وهكذا أمرت كل واحد منكم قائلاً "يا ابنى اعطنى قلبك" (أم٢٣: ٢٦) .

وهذا القلب يريد منك الله أن تفتحه بكامل إرادتك، برغبتك ومحبتك، غير مضطر ولا مضـــغوط عليك. يريدك أنت تريده، وليس غير . وهكذا يقف على بابك ويقول "أنا واقف علـــى الباب وأقرع . إن سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل وأتعشى معه ، وهو معى" (رؤ٣: ٢٠).

أفتحى قلبك لى . فإن انفتح القلب ، ستنفتح معه الأفكار والمشاعر ، بل سينفتح باب الإرادة أيضاً ، وينفتح باب الحياة كلها ، لتحيا مع الله .

إفتحى لى يا أختى :

إن كلمة (أختى) ترمز إلى التجسد .

لأننا لم نصر أخوة له إلا بتجسده، حينما اتحد بطبيعتنا البشرية .

"وهكـــذا صـــار بكـــراً وسط أخوة كثيرين" (رو٨: ٢٩). حتى أنه عندما أرسل مريم المجدلـــية لتبشير تلاميذه بالقيامة ، قال لها "اذهبى وقولى لأخوتى أن يمضوا إلى الجليل، هناك يروننى" (مت٢٨: ١٠) .

إنـــه يقول للنفس البشرية "افتحى لى يا أختى" مذكراً إياها أنه فى هذه الأخوة قد أخلى ذاتـــه من أجل خلاصها. وصار ابناً للإنسان، لكى يصير الإنسان إبناً لله. وكما صار هو أخـــاً لـــنا بالتجسد ، ينبغى علينا أن نحتفظ ببنوتنا لله بطاعتنا له . وكما صار هو أخاً لنا حينما شاركنا فى طبيعتنا ، يجب علينا أن نشابهه فى مشيئته. وهكذا قال "من يفعل مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى" (مت١٢: ٥٠) .

إذن إن كانت كلمة (أختى) تشير إلى التجسد ، فإلى أى شئ تشير كلمة (يا حبيبتى)؟

يا حبيبتى :

إن قصة الخلاص بدأت بالتجسد، ولكنها كملت فى الفداء ، حينما "أظهر الله محبته لنا، لأننا ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا" (رو٥: ٨) . وحينما بذل المسيح حياته ليفدينا بها على الصليب، تحقق حينئذ قوله :

"ليس حب أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥: ١٣) .

فكان الرب على الصليب ذبيحة حب. وبهذا الحب حمل خطايا البشر بدلاً منهم ومحاها بدمه. فكان "مجروحاً لأجل معاصينا، مسحوقاً لأجل آثامنا.. كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه. والرب وضع عليه إثم جميعنا" (أش٥٣: ٥، ٦) .

فعندما يقول الرب للنفس البشرية (يا حبيبتى) ، إنما يقصد حبه لها، الذى ظهر واضحاً فى موته عنها .

✠ ✠ ✠

هذه النفس التى كان محكوماً عليها بالموت، فافتداها ومات بدلاً منها ...

وكلمة (يا حبيبتى) تذكرنا بعلاقة الحب التى ينبغى أن تربطنا بالله، الحب المتبادل الذى فيه نحب الله كما أحبنا. كما قال القديس يوحنا الحبيب "فى هذا هى المحبة. ليس أننا أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة لخطايانا" (١يو٤: ١٠) .

إذن ، إن كانت قصة الخلاص قد بدأت بالتجسد الذى أشارت إليه كلمة (يا أختى) . ثم الفداء الذى أشارت إليه عبارة (يا حبيبتى) .. فإلى أى شئ تشير عبارة (يا حمامتى)؟

يا حمامتى :

الحمامة تذكرنا بعمل الروح القدس ، الذى ظهر فى يوم عماد المخلص على هيئة حمامة (مت٤: ١٦). حينما يقول الرب للكنيسة يا حمامتى، فكأنما يقول لها : أنت التى يعمل الروح القدس فيك، بعد عمادك باستسلام كامل منك. فأرى الروح الذى فيك ، وكأنك حمامة مثل التى رأيتها يوم العماد .

والحمامة هى التى بشرت نوح بالخلاص من الطوفان .

وذلك بغصن زيتون فى فمها، أتت به من الأرض التى أنقشعت مياه الطوفان عن

أشـــجارها. والـــرب حيـــنما يقول للكنيسة (يا حمامتى) إنما يقول لها : أرى فيك بشرى الخلاص للأرض من طوفان العالم .

✠ ✠ ✠

والحمامة تتميز بالبساطة كما قال "كونوا بسطاء كالحمام" (مت١٠: ١٦) .

وحيـــنما يقـــول الرب للنفس البشرية (يا حمامتى)، فهو يقول لها : أرى فيك البساطة التى كانت للإنسان الأول، وهو فى صورته الإلهية، قبل أن يدخل فى ثنائية الخير والشر. وأنـــا قـــد جئـــت بتجســـدى لأعـــيد إليه الصورة الأولى فى بساطتها ونقاوتها كالحمامة (يا حمامتى) .

هـــذا النداء هو رسالة لنا لنرجع إلى البساطة الأولى، وأن نخلى ذواتنا ليظهر عمل الروح فينا، ولنتذكر باستمرار قصة الطوفان والحمامة .

فماذا إذن تعنى عبارة (يا كاملتى) .

يا كاملتى :

هذا الخلاص الذى قام به الله بالتجسد والفداء ، ونلناه بالميلاد من الماء والروح (يو٣: ٥) (تى٣: ٥) .. يقول لنا الرسول عنه "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" (فى٢: ١٢) .

وكيف نتممه ؟ بالسلوك بالروح ، والسعى إلى الكمال، لأنه يقول :

"كونوا كاملين كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل" (مت٥: ٤٨) .

وهـــذه الـــنفس ، وهذه الكنيسة ، التى تسعى إلى الكمال بعمل الروح فيها ، هى التى يناديها الرب بعبارتى (يا حمامتى) (يا كاملتى) .

ما دمتِ بهذه الصفات المفروضة فيك ، إذن افتحى لى .

✠ ✠ ✠

هذه هى قصة الخلاص ، يتمثل فيها دور الله ، واستجابة الإنسان .

وبهذا نفهم سفر النشيد فى معانيه السامية الرمزية ، بعيداً عن الحرفية وعن السطحية، وعن المستوى الجسدانى فى التفسير .

٧

شبهتك ياحَبيبتى بفَرَس فى مركبات فرعون مرهبة كجيش بألوية

(نش٦: ١٠) (نش١: ٩)

يشـــرح سفر النشيد قوة الكنيسة وقوة النفس المؤمنة، فى عديد من الآيات ، منها: الجـــبابرة الذيـــن حول تخت سليمان (٣: ٨) . أو فى تشبيهها بفرس فى مركبات فرعون (١: ٩) أو فى قوله عنها إنها مرهبة كجيش بألوية" (٦: ١٠).

وكـــل هذه العبارات لا تدل أن الكلام موجّه من شاب إلى عروسه! فمن من العرائس تقبل أو توصف بهذه الأوصاف أو ما يشابهها؟! إنما هى موجهة من الرب إلى كنيسته، أو إلى النفس البشرية التى يريدها أن تكون دائماً قوية فى إرادتها.

* * *

فعـــبارة "جـــيش بألويـــة"، تعنى جيشاً مكوناً من عدة لواءات. وكل لواء يشمل جملة آلايـــات. وكـــل آلاى يتكون من عدة كتائب . وكل كتيبة تشمل أكثر من سرية، والسرية أكـــثر من فصيلة.. وهكذا يكون الجيش بألويته جيشاً منظماً مرهباً قوياً. وبخاصة لو كان رجاله جبابرة متعلمين الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هولِ الليل (نش٣: ٨) .

هكذا تكون الكنيسة أو النفس فى قوتها ومحاربتها لعدو الخير .

* * *

قـــد يفهـــم الـــبعض الوداعـــة والإتضاع فهماً خاطئاً يقود إلى الضعف! أما المؤمن الحقيقى فهو إنسان قوى، يحارب ضد الخطيئة وينتصر .

إن المؤمنين يكونون جيش الله الذى يقف ضد مملكة الشيطان وكل جنوده. لذلك فعندما أمر الرب بإحصاء الشعب فى سفر العدد، طلب منهم أن يحصوا "كل ذكر ابن عشرين سنة فصاعداً، كل خارج للحرب" (عد١: ٢، ٣). وتكرر هذا الوصف بالنسبة إلى المنتخبين من كل سبط. وهكذا كان المختارون المعدودون هم فقط جماعة الأقوياء القادرين على القتال، من كل خارج للحرب (عد١) .

✠ ✠ ✠

لذلك لم يسمح السيد المسيح لتلاميذه أن يبدأوا عملهم الكرازى، إلا بعد أن يلبسوا قوة من الأعالى (لو٢٤: ٤٩). وبعد ذلك يخدمون .

وهكذا قال لهم "ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم. وحينئذ تكونون لى شهوداً.." (أع١: ٨). وبهذه القوة التى أخذوها من الروح القدس، رأينا سفر أعمال الرسل سفراً للقوة، يشرح كيف أن ملكوت الله كان قد أتى بقوة (مر٩: ١). "وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم" (أع٤: ٣٣). "وكانت كلمة الرب تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً فى أورشليم.." (أع٦: ٧) .

ونسمع أن ثلاثة مجامع تحاورت مع أسطفانوس الشماس "ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به" (أع٦: ١٠) .

✠ ✠ ✠

إنها صورة للكنيسة المرهبة كجيش بألوية .

صورة أولاد الله الغالبين المنتصرين، أو على الأقل المقاتلين .

أو على أقل الأقل: هم المستعدون للحرب الروحية. هم الجبابرة الخارجون للحرب، الذين لا يخافون ابليس ولا جنوده، بل أن كل واحد منهم سيفه على فخذه من هول الليل (نش٣: ٨). هؤلاء الذين يقودهم الرب فى موكب نصرته (٢كو٢: ١٤).. هؤلاء هم الساهرون المستعدون : أحقاؤهم ممنطقة ، ومصابيحهم موقدة وينتظرون الرب (لو١٢: ٣٥).

كل أسلحتهم روحية (أف٦: ١١). والله هو الذى يعلمهم القتال .

وفى ذلك يقول داود النبى "مبارك الرب .. الذى يعلّم يدىّ القتال وأصابعى الحرب" (مز١٤٤: ١). وهكذا لا تكون أسلحته بشرية، بل إلهية. هؤلاء هم القديسون الغالبون باستمرار، الذين ينشد لهم الرب أغنيته المحبوبة "من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة

الحـياة" (رؤ٢: ٧) "من يغلب، فذلك سيلبس ثياباً بيضاً، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة، وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته" (رؤ٣: ٥) "من يغلب فسأعطيه أن يجلس معي في عرشي، كما غلبت أنا أيضاً وجلست مع أبي في عرشه" (رؤ٣: ٢١).

❋ ❋ ❋

فترة وجودنا في العالم هي فترة حرب وجهاد. كل من يغلب، سينال المواعيد. والذين غلبوا نسميهم الكنيسة المنتصرة .

نحـن نحـارب. وعدونا المقاتل لنا - أي أبليس - مثل أسد يزأر، يجول ملتمساً من يبـتلعه هو" (١بط٥: ٨). لذلك يشجعنا القديس بطرس الرسول قائلاً "فقاوموه راسخين في الإيمان" (١بط٥: ٩). كما يقول القديس يعقوب الرسول أيضاً "قاوموا إبليس فيهرب منكم" (يـع٤: ٧).. لاشـك أنـه يهرب بسبب القوة التي أخذناها من الله، والتي نستطيع بها أن ندوس الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو١٠: ١٩) .

حقاً إن الحرب للرب (١صم١٧: ٤٧). والرب يحارب معنا وبنا .

❋ ❋ ❋

والفرس - مثل السيف - قوة تُستخدم في الحرب .

وقـد قـال سليمان الملك في أمثاله "الفرس معدّ ليوم الحرب. أما النصرة فمن الرب" (أم٢١: ٣١). ولـيس كـل فرس، بل الفرس المدرّب المعدّ ليوم الحرب. وكانت لسليمان "مـدن للفرسـان" (١مل٩: ١٩) . ولعل أقوى الأفراس كانت تلك التي أهداها له فرعون حينما تزوج ابنته، تلك التي كانت تقود مركبات فرعون .

كل فرس منها كان قوياً، ومدرباً على القتال، وطيّعاً في يد الفارس، ويخوض الحرب بلا خوف وسط سيوف العدو، وينتصر ...

وهكذا تشبهت الكنيسة في سفر النشيد بفرس في مركبات فرعون .. ليس فرساً عادياً، بـل الفرس المحارب المعدّ ليوم الحرب، الذي يقوده الرب في يوم نصرته. إنه لا يتحرك في ساحة الحرب من ذاته، بل الله الذي يوجهه، ويكون الفرس مطواعاً في يديه.

❋ ❋ ❋

إن الكنيسة تشبه الفرس، وأعنتها في يد الله .

والمؤمن يحارب حروب الرب، والله هو الذي يقوده .

إنه لا يحارب وحده ، بل الله يحارب به ، ويمنحه القوة .

وهكـــذا قـــال الرب لأرميا النبى "هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة، وعمود حديد، وأسوار نحاس على كل الأرض .. فيحاربونك ، ولا يقدرون عليك. لأنى أنا معك – يقول الرب – لأنقذك" (أر١: ١٨).

إن المؤمنين أشخاص مسلحون بسلاح الله الكامل. لهم قوة من الله ونصرة "أخضع كل شـــئ تحـــت أقدامهم" (مز٨). منذ أن خلق الله الإنسان، منحه سلطاناً. نجد هذه القوة فى أنشودة داود الحلوة :

"إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى" .

"وإن قام علىّ قتال ، ففى هذا أنا مطمئن" (مز٢٧: ٣) .

أنـــا مطمئـــن: الحصاة والمقلاع فى يدى، وجليات تحت قدمى" . الله أعطانى سلطان علـــيه .. "هؤلاء بمركبات ، وهؤلاء بخيل، ونحن باسم الرب ننمو. هم عثروا وسقطوا، ونحن قمنا واستقمنا" (مز٢٠: ٧، ٨) .

✠ ✠ ✠

نحن مثل "جيش بألوية" . كل فرد منا كأنه "فرس فى مركبات فرعون".

إن النفس القوية ، المرهبة كجيش بألوية ، يفتخر بها الرب .

وهكـــذا قال الرب للشيطان "هل جعلت قلبك على عبدك أيوب؟ فإنه ليس مثله: رجل كـــامل ومستقيم" (أع١: ٨). أتستطيع أن تقوى عليه؟! .. فحاربه الشيطان بأنواع حروب عنـــيفة جداً. ولكنه وجده طاهراً كالشمس، مرهباً كجيش بألوية، قوياً كفرس فى مركبات فرعون .

أين هذا من النفوس الضعيفة ، التى تقول : ينبغى تعبت تعقدت !!

تلـــك الـــنفوس الـــتى لأتفه الأسباب ترتبك وتضطرب وتحتار ..! ليست هذه صفات الجـــابرة المتعلميـــن الحـــرب، ولا هـــذا كـــلام الأقوياء الذين يلبسون سلاح الله الكامل ويصارعون أجناد الشر الروحية (أف٦) .

✠ ✠ ✠

إن القديسين كانت تخافهم الشياطين ، وترتعب أمامهم وتصرخ !

نذكر أنه عندما ذهب القديس آبامقار الكبير إلى جزيرة فيلا، أن الشياطين فزعت منه وصـــرخت قائلة "ويلاه منك يا مقاره، أما يكفيك أننا تركنا لك البرية ، حتى جئت إلى هنا لتزعجنا؟!"

نذكـــر أيضاً قصة ذلك القديس الذى جاءت الشياطين لتحاربه، فربطهم خارج القلاية، فظلـــوا يصرخون: لا يستطيعون دخول قلايته، ولا أن يتحركوا من مواضعهم. فقال لهم أمضوا واخزوا، وصرفهم .

إن الله يـــنظر إلى هذه النفس التى ربطت الشياطين ثم صرفتهم، ويقول لها "شبهتك يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون" ...

✠ ✠ ✠

أيضاً النفس القوية ، تكون قوية فى كل شئ ..

ليست فى حياتها الروحية فقط ، بل فى خدمتها أيضاً :

كـــل كلمة تخرج من الفم، تكون قوية وفعّالة (عب٤: ١٢)، فيها قوة الروح "لا ترجع فارغـــة، بل تعمل ما يسرّ الرب به" (أش٥٥: ١١). وهكذا يتشبه المتكلم بالسيد المسيح، الذى كان يتكلم كمن له سلطان (مت٧: ٢٩) .

القديـــس بولـــس الرسول كان أسيراً. وكان يتحدث عن الإيمان بالمسيح. أمام فيلكس الوالـــى. "وبيـــنما كان يتكلم عن البر والتعفف والديونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيلكس الوالى" (أع٢٤: ٢٥).

هنا أمير يرتعب أمام أسيره ، بسبب قوة هذا الأسير وتأثيره .

ومـــن الناحية الأخرى ، هناك إنسان تشعر أنه قوى، يقدر أن يحملك ويحمل متاعبك وضـــعفاتك ومشـــاكلك. وإنســـان آخر تجده يتعثر فى الطريق، ويحتاج أن تحمله طول الطريق على كتفيك.

✠ ✠ ✠

خذوا قوة من الروح القدس، قوة فى الصلاة، قوة فى الخدمة قوة فى السلوك. قوة فى التواضع الذى يغلب الشياطين، وتصبح به النفس مرهبة كجيش بألوية.

ليست القوة قوة عالمية كما فى جليات، قوة سلاح وجسم. إنما هى قوة فى الروح. **هى قوة الله العاملة فى الإنسان**، كما تغنى بها داود النبى فقال: "أحاطوا بى مثل النحل حول الشهد، والتهبوا كنار فى شوك، وباسم الرب أنتقمت منهم.. يمين الرب صنعت قوة، يمين الرب رفعتنى. فلن أموت بعد بل أحيا" (مز١١٨). هذه أغنية فرس فى مركبات فرعون. تغنى داود أيضاً فقال "قوتى هى الرب" .

✠ ✠ ✠

إن كانت قوتك هي الرب، فحلول روحه فيك يعني حلول القوة .

كـــان الشـــهداء يقدمون لألوان من التعذيب، ويتعرضون للتهديد وللإغراء، ولم يفقدوا قوتهم قط. بل كانوا أقوياء في تحملهم .

فاطلب من الرب قوة: القوة التي تقيم المسكين من التراب، والبائس من المزبلة ليجلس مـــع رؤساء شعبه (مز١١٣: ٧، ٨).. قل له: ارفعني يارب من التراب، والبسني سلاحك الكامل، واعطني قوة ...

أنا لا شئ قدامك . ولكنني بك استطيع كل شئ (في٤: ١٣) .

* * *

إن أولاد الله لهم قوة ، حتى في علاقتهم مع الله نفسه :

إنهـــا قوة الدالة. الدالة التي بها يعقوب أبو الآباء جاهد مع الله وغلب. وجرؤ أن يقول لله "لا أتركك" .. "لا أتركك حتى تباركني".. وفعلاً أخذ البركة، وأخذ إسماً جديداً (تك٣٢: ٢٤- ٢٨) .

نفـــس الصـــراع والدالـــة كانا بين موسى النبي ورب المجد نفسه بعد أن عبد الشعب العجـــل الذهب وقال الرب لموسى "أتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم، فأصيرك شعباً عظيماً" وبعد حوار بينهما قال موسى للرب "والآن إن غفرت (لهذا الشعب) خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت" (خر٣٢: ١، ٣٢) .

وكمـــا تشفع موسى في الشعب، تشفع أبونا ابراهيم في أهل سادوم، وعاتب الرب في قوة قائلا "أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟! حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأثيم فيكون البار كالأثيم" (تك١٨: ٢٥).

هـــذه أمثلة من أشخاص كانت لهم قوة في الحوار مع الله. يدخلون في محاجة مع الله، ويجادلونه في دالة.. ويكون الله فرحاً بذلك، لأنه يجد راحته فيهم.

* * *

إن المؤمنيـــن يصيرون جيشاً بألوية، حينما يتحولون إلى صورة الله ويكونون ابناء حقيقيين له. فكل ابن حقيقي لله له قوته .

عيشـــوا إذن فـــي حياة النصرة الروحية. ولا يكن لكم روح الفشل ولا روح الخوف واليأس.. إنك تخاف حقاً، إذا ما ارتفع قلبك، وظننت أنك قوى بذاتك..!! حينئذ تخاف..

قل : أنا أضعف الناس .. لكن الله سيعطيني قوته .

وحينما يعطيني قوته، أصير فرساً في مركبات فرعون .

أنا لا أملك سلاحاً . ولكنني بسلاح الله الكامل سوف أنتصر .

✠ ✠ ✠

إن الذين عاشوا مع الرب ، تركوا قوتهم، وأخذوا من قوته .

مثل موسى الذى ترك قوته كأمير، ورفض أن يدعى ابن ابنة فرعون .. (عب١١: ٢٤) وقال "أنا لست صاحب كلام منذ أمس، ولا أول من أمس.. أنا ثقيل الفم واللسان" (خر٤: ١٠). "وأغلف الشفتين" (خر٦: ٣). حينئذ أخذ قوة من الرب. وصار كليم الله. وأعطاه الرب فماً وحكمة (لو٢١: ١٥) .

✠ ✠ ✠

كن قوياً إذن : بالمعنى السليم، وليس بالمعنى العلمانى .

لأن هناك من يظن أنه قوى بالذكاء والحيلة والسياسة والعمل البشرى. ولكن هذه ليست قوة حقيقية. إنها عملة زائفة..! لا تستطيع بها أن تشترى ذهباً مصفى بالنار (رؤ٣: ١٨).

فلتكن لك قوة الإنسحاق أمام الله، وقوة الجهاد ضد الشياطين ...

ليست القوة أن تبرر ذاتك ، وإنما القوة في اعترافك بخطئك .

ليس القوى من يهزم عدوه . إنما القوى من يحول العدو إلى صديق .

ليست القوة فى أن ترد الكلمة بكلمتين، إنما القوة هى أن تحول الخد الآخر، وأن تمشى الميل الثانى (مت٥: ٣٩، ٤١)، وأن تحتمل كل شئ (١كو١٣: ٧) وأن تغفر الإساءة وأن تنسى. وكما قال الرسول "يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء، ولا نرضى أنفسنا" (رو١٥: ١) .

بهذا تصير كفرس فى مركبات فرعون، يصل فى قوة إلى هدفه، دون أن يتعثر فى الطريق.

مَن هذه الطالعة من البرية

(نش ٨ : ٥) (نش ٣ : ٦)

موضـــوع تأملـــنا اليوم فى سفر النشيد ، هو عبارة قالها الرب عن كنيسته ، وردت مرتين فى السفر فى (نش٣: ٦) (نش٨: ٥) :

★"مـــن هذه الطالعة من البرية ، كأعمدة من دخان، معطرة بالمرّ واللبان، وكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦) .

★"من هذه الطالعة من البرية، مستندة على حبيبها" (نش٨: ٥) .

إنه تأمل فى جمال الكنيسة، أو فى جمال النفس البشرية المحبة لله . وكيف أنها طالعة مـــن الـــبرية ، وطالعة فى جمال ، معطرة بالمرّ واللبان وبكل أذرة التاجر، كأعمدة من دخان صاعدة من المجمرة .

وسوف نتناول هذا الوصف : كأغنية تُنشد لكنيسة العهد القديم، أو كأغنية تُنشد للكنيسة المنتصرة، أو كأغنية تُنشد لقديسى البرية .

* * *

١- أغنية تُنشد لكنيسة العهد القديم :

يمكـــن أن تؤخـــذ عبارة "الطالعة من البرية" على كنيسة العهد القديم، التى طلعت من برية سيناء ، واتجهت إلى كنعان ، مستندة على ذراع حبيبها.

مســـيرة الكنيسة فى البرية ، كانت مسيرة عجيبة حقاً ، إذ خرج الشعب بلا طعام ولا شـــراب، ولا ملابـــس كافية لتلك الرحلة الطويلة، ولا باقى الاحتياجات اللازمة.. مجرد خروج على اسم الله، بالإيمان وليس أكثر .

وضـــعوا أرجلهم فى البحر ، مستندين على ذراع حبيبهم ، الذى سندهم فى عبورهم. ســـند المياه من هنا، وسندها من هناك . ومشت الكنيسة فى البحر ، مستندة على حبيبها ، وعاشت فى البرية .

✠ ✠ ✠

عاشت بالإيمان ، الذى يرى ما لا يُرَى ...

وفى قلب كل واحد رنّ قول الرب "وتتذكر كل الطريق التى فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة فى القفر . واطعمك المن الذى لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك" "ثيابك لم تـــبلَ عليك ، ورجلك لم تتورم هذه الأربعين سنة" "لكى يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (تث٨: ٢- ٤) .

✠ ✠ ✠

حقـــاً إن الإنســـان الـــذى يحيا فى الإيمان ، مستنداً على الله حبيبه، يمكن أن يختبر عجائب فى عمل الله معه ...

يمكـــن أن يفجّر له الله ماء من الصخرة (خر١٧: ٦)، ويمكن أن يحوّل له الماء المرّ إلـــى ماء حلو (خر١٥: ٢٣ - ٢٥). ويمكن أن يشّق له فى البحر طريقاً (خر١٤: ٢١، ٢٢). ويمكن لهذا المؤمن أن يختبر محبة الله له : يظلله السحاب بالنهار، ويضئ له عمود النار بالليل (خر١٣: ٢١، ٢٢) . ويمكن أن يحميه الرب من جميع أعدائه .

وهـــذا كلـــه حـــدث لتلك الطالعة من البرية . وانهزم أمامها سيحون ملك الأموريين (عـــد٢١: ٢٣- ٢٦) ، كما انهزم أمامهم عوج ملك باشان (عدد ٢١: ٣٣- ٣٥) .. حتى لكـــأن شـــعوب الأرض يتأملون كل هذا ويقولون فى عجب: "من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها؟!

✠ ✠ ✠

أيضـــاً الـــنفس المســـتندة إلى حبيبها ، يسقط عن يسارها ألوف، وعن يمينها ربوات، وبعينـــيها تنظر وتتأمل مجازاة الأشرار (مز٩١: ٧، ٨) . الرب يظلل على يدها اليمنى ، فلا تضربه الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل (مز١٢١: ٥، ٦) .

مشـــكلتنا فـــى الحياة أننا لا نستند على حبيبنا!! قد نستند على مواهبنا، على قوتنا وذكائـــنا، علـــى غنانا! أو نستند على ذراع بشرى، أو على حكمة بشرية! وربما نستند على الشيطان وكل حيله !!

وقد ننجح نجاحاً مؤقتاً، الهزيمة أفضل منه ! وقد نفشل ..

✠ ✠ ✠

أما الذى يستند على الله الذى يحبه، فيمكنه – كالثلاثة فتية – أن يمشى فى أتون النار ولا يحـــترق .. كانـــت الـــنار تحيط بهم ، "ولم تكن لها قوة على أجسامهم، وشعرة من رؤوســـهم لم تحترق". حدث ذلك لأنهم كانوا مستندين على حبيبهم، الذى كان ماشياً معهم فى وسط النار، وكان شبيهاً بابن الآلهة" (دا٣: ٢٥، ٢٧) .

لعـــل الملائكـــة فى ذلك الوقت كانوا ينظرون إلى نفوس هؤلاء الفتية فى النار، وهم يغـــنون "مـــن هـــذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها؟! لقد طلعوا من النار، وكأنهم خارجون من أحد البساتين أو إحدى الفراديس!

✠ ✠ ✠

داود النبى جرّب الاستناد على ذراع حبيبه .

حينما قال "الرب نورى وخلاصى ممن أخاف؟!.. إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قـــام علـــىّ قتال، ففى هذا أنا مطمئن" (مز٢٧: ٣) . وحينما قال "الرب يرعانى فلا يعوزنـــى شئ. فى مراع خضر يربضنى، وإلى ماء الراحة يوردنى.. أيضاً إن سرت فى وادى ظـــل المـــوت، لا أخاف شراً" (مز٢٣) . ولماذا لا أخاف ؟ "لأنك أنت معى" نفسى مستندة على ذراع حبيبها .

✠ ✠ ✠

وهكذا أيضاً الكنيسة فى العالم، تعيش مستندة على ذراع حبيبها .

لاحظـــوا أنه قال "مستندة على حبيبها" ولم يقل مستندة على القوى الجبار .. حقاً إن حبيـــبها قوى جبار. ولكن عبارة حبيبها هنا لها عمقها العاطفى، ولها قوتها أيضاً، إذ يُقال فى نفس النشيد "المحبة قوية كالموت. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة" (نش٨: ٦، ٧). ولأنه يحب هذه النفس ، ويحب هذه الكنيسة، لذلك يفعل كل شئ لأجلها، وبقوة ...

النفس التى تستند على حبيبها ، تعيش مطمئنة ، فى سلام ...

تغـــنى قائلة : وإن قام علىّ قتال، فأنا مطمئنة (مز٢٧: ٣). ولماذا أنت مطمئنة أيتها

النفس؟ ولماذا كانت الكنيسة كلها مطمئنة؟ لأنها مستندة على حبيبها. "شماله تحت رأسي، ويمينه تعانقني" (نش٢: ٦). رحمته تحيط بي من كل ناحية. إنها مطمئنة لأنها في حضن الله . فمهما صادمتها المشاكل والعقبات والحروب، لا تهتز ولا تضطرب . وإنما تقول في ثقة المستند على حبيبه "إن كان الله معنا، فمن علينا"!..

هذا النشيد أيضاً هو أغنية للكنيسة المنتصرة ..

٢- أغنية للكنيسة المنتصرة :

يمكن أن يُقال هذا النشيد في السماء ، في استقبال الكنيسة التي جاهدت على الأرض وغلبت. الكنيسة التي عاشت في هذا العالم، في البرية القفرة .. في تعب وشقاء في الطريق الكرب، ودخلت إلى الفردوس من الباب الضيق (مت٧: ١٤) . ولذلك يستقبلها الملائكة قائلين : من هذه الطالعة من البرية ..؟!

العالم بالنسبة إليها كان برية، أقفرت من تنعمات العالم وملاذه ، ومن لهوه وعبثه وضجيجه. لأنها أطاعت قول الكتاب "لا تحبوا العالم، ولا الأشياء التي في العالم.. إن العالم يمضي وشهوته معه" (١يو٢: ١٥، ١٧). أما هي فأجابت الرب بقول المزمور "لكي يزهر لك جسدي في أرض مقفرة، ومكان بلا ماء، وموضع غير مسلوك" (مز٦٣: ١).

✠ ✠ ✠

هذه الكنيسة طالعة من البرية ، لكي يختطفها الرب على السحاب، وتكون مع الرب كل حين (١تس٤: ١٧) .

نعم : من هذه الطالعة من البرية ، التي لم تعش في فراديس وفي جنات، كما عاش سليمان وهو يعزي نفسه بخيرات العالم قائلاً "بنيت لنفسي بيوتاً ، وغرست لنفسي كروماً. عملت لنفسي جنات وفراديس، وغرست فيها أشجاراً من كل نوع ثمر . عملت لنفسي برك مياه. قنيت لنفسي عبيداً وجواري.. جمعت لنفسي فضة وذهبا. أتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر .. ومهما أشتهته عيني لم أمسكه عنهما" (جا٢: ٤- ١٠) .

✠ ✠ ✠

أما الكنيسة فرفضت أن تستوفي خيراتها على الأرض (لو١٦: ٢٥) .

إنما تعبت على الأرض ، لكي تتمتع في السماء . عاشت على الأرض في طقس لعازر المسكين . عاشت فقيرة ، ولكن مستندة على حبيبها . كما قال بولس الرسول "مكتئبين في كل شئ، لكن غير متضايقين. متحيرين لكن غير يائسين، مضطهدين لكن

غـــير متروكين.." (٢كو٤: ٨، ٩) .. "كحزانى ونحن دائماً فرحون. كفقراء ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شئ لنا، ونحن نملك كل شئ" (٢كو٦: ١٠) .

✠ ✠ ✠

هذا النشيد يمكن أيضاً يصلح لقديسى البرية ، فهو :

٣- أغنية تُنشد لقديسى البريـة :

هؤلاء القديسون يسبحون الرب فى كل يوم تسبحة جديدة. وفى كل يوم يهمس الملائكة فـــى آذانهم قائلين : ها باركوا الرب يا عبيد الرب ، القائمين فى بيت الرب فى ديار بيت إلهنا. فى الليالى أرفعوا أيديكم أيها القديسون وباركوا الرب" (مز١٣٤: ١، ٢).

يســـتمع الملائكة إلى هذه الصلوات "الطالعة من البرية" ، ويقولون للرب "طوبى لكل السكان فى بيتك ، يباركونك إلى الأبد" (مز٨٤: ٤) .

أهل العالم – حتى إن دخلوا الكنيسة – قد يسرحون فى أمور العالم أثناء الصلاة. أما هؤلاء القديسون – فحتى إن شغلوهم بشئ من أمور العالم – فإنهم أثناءها يسرحون فى الله.

عاشـــوا فـــى الـــبرية القفرة، بدون أية معونة ، مستندين على حبيبهم واستطاعوا أن يقدســـوا البرية بصلواتهم وبحياتهم . حتى تحولت البرية إلى سماء ثانية . واجتذبت إليها طالبى الروح من أقصاء الأرض كلها ...

عاشوا فى طقس الصلاة الدائمة . ولقّبوهم بملائكة أرضيين أو بشر سمائيين . **فعندما تصـــعد أرواح هؤلاء القديسين إلى السماء . فلاشك ستجرى الملائكة لاستقبال أرواحهم الطاهرة بهذا الهتاف "من هذه الطالعة من البرية" .**

✠ ✠ ✠

ســـليمان الحكـــيم – كاتب سفر النشيد – أتراه فى حلم أو فى رؤيا – أبصر جماعات السواح والمتوحدين والرهبان طالعة من البرية، فاستقبلها بهذا النشيد "من هذه الطالعة من البرية؟!" .

يوحـــنا كاســـيان حينما زار برارى مصر، قال إن المسافر من الإسكندرية الى طيبة (الأقصر) ، لم يكن صوت التسبيح والألحان والصلوات ينقطع من أذنيه طول الطريق .. وذلـــك لكثرة الأديرة والقلالى والمغارات المنتشرة فى كل مكان فى البرية، يسكنها أولئك القديسون الذين احبوا الرب فأحبوا الوحدة. وعاشوا كملائكة الله على الأرض ...

كل شبر من تلك الأرض المقدسة ، قد باركه القديسون ودشنوه بصلواتهم ومزاميرهم. حبّات الرمال تقدست، إذ وطئتها أقدامهم الطاهرة .

✠ ✠ ✠

هــذه الحياة المقدسة الطالعة من البرية ، كأعمدة من دخان، صاعدة إلى عرش الله، يهتف لها سكان السماء قائلين : من هذه الطالعة من البرية ؟!

إن الحــياة الــتى شهدها العالم فى برارى مصر، فى القرنين الرابع والخامس، كانت كأنهــا الحلــم! نســمع عــنها الآن، وكأنها قصة..! كيف عملت النعمة فى نفوس أولئك القديسين بكل تلك القوة وبكل ذلك العمق؟! وكيف كانت أرواحهم فى كل يوم، كأنها على ســلم يعقوب صاعدة إلى السماء ونازلة منها .. وفى كل درجة تصعدها على ذلك السلم الروحانى، يصرخ السمائيون فى عجب وإعجاب "من هذه الطاعلة من البرية؟!" ...

✠ ✠ ✠

إنــه مــنظر عجيــب حقاً ، حينما نرى ملائكة نازلة من السماء إلى الأرض. ولكن الأعجب منه أن نرى بشراً لهم صورة الملائكة صاعدين من الأرض إلى السماء..!

وليس فقط فرادى قلائل ، وإنما جماعات عديدة لها نفس الصورة ، نفس القداسة والبر والشــفافية ، نفس الزهد والعفة . فيصرخ الجميع لمرآها "من هذه الطالعة من البرية؟!". ووجه العجب الكبير أن هؤلاء الصاعدين كالملائكة، لهم أجساد مادية، وقد سكنوا فى هذا العالم فى وسط شهواته . هم بشر تحت الآلام مثلنا (يع٥: ١٧). ولكنهم عاشوا صورة الله ومثاله .

✠ ✠ ✠

هل دخلوا النار كالثلاثة فتية ، ولم يحترقوا . أم هم قد صعدوا من النار كأعمدة من دخان ، معطرة بالمر واللبان .

هذه هى الكنيسة طالعة من البرية . الأشرار يهبطون إلى أسفل. أما الأبرار فيطلعون إلى فوق . دائماً الكنيسة طالعة إلى فوق .

مــن هــذه الطالعــة من البرية ، كأعمدة من دخان، معطرة بالمر واللبان، وكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦) .

مَن هذه الطالعة مِن البرية "ب" كأعمدة مِن دخان معطرة بالمرّ واللبان

(نش٨: ٥)(نش٣: ٦)

كأعمدة من دخان :

هنا يتأمل الرب كنيسته فى برّها ، وفى عبادتها ، وفى آلامها من أجله . فيقول: من هذه الطالعة من البرية ، كأعمدة من دخان ؟!

لاشك أن عبارة "أعمدة من دخان" لا يمكن أن تعنى ذلك الغزل الرخيص الذى يتهمون به سفر النشيد . فلا يمكن أن تقبل إمرأة من حبيبها هذا الوصف! ثم هل يتفق هذا التعبير من قوله عن العروس إنها "جميلة كالقمر، مشرقة كالشمس" (نش٦: ١٠).

نعم ، المعنيان يتفقان فى المفهوم الروحى ..

✠ ✠ ✠

إن عبارة "كأعمدة من دخان" تحمل معنى روحياً جميلاً يليق بالنفس العابدة، فى علاقتها مع الله. فكيف يكون هذا ؟

تصور أنك أمام المجمرة (الشورية) . وأتيت بحفنة من البخور وضعتها فيها . فما الذى يحدث؟ يحترق البخور من لهيب النار، ويصعد كأعمدة من دخان زكية الرائحة، هكذا الكنيسة .

نعم ، تصور معى هذا المنظر الجميل : **مجمرة مملوءة من النار المقدسة، التى هى الحب الإلهى** . والمحبة يشبهها سفر النشيد بالنار، فيقول : "مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة" (نش٨: ٧) .

✠ ✠ ✠

هذه المجمرة وضعت فيها حبات من البخور، هى شخصيات القديسين .

حبة اسمها القديس أنطونيوس الكبير، وحبة اسمها آبامقار الكبير. وحبة اسمها الأنبا بيشوى، ورابعة اسمها القديس أثناسيوس الرسولى . وخامسة اسمها الشهيد مارجرجس.. وحبات أخرى كثيرة من السواح والمتوحدين والشهداء والبطاركة والأساقفة، والأبرار فى كل جيل ..

هذه الحبات أشتعلت بالحب، وطلعت إلى فوق كأعمدة من دخان، كرائحة بخور، تتسم منها الله رائحة الرضا (تك٨: ٢١) .

وتنسمتها الملائكة، فأعجبت برائحتها الزكية، وغنت فى فرح "من هذه الطالعة من البرية، كأعمدة من دخان ، معطرة بالمرّ واللبان؟!" .

✠ ✠ ✠

معطرة بالمرّ واللبان :

كان المرّ من العطور التى تدخل فى تركيب الدهن المقدس الذى كان يُستخدم فى المسحة المقدسة فى العهد القديم. تلك التى مُسحت بها خيمة الإجتماع وتابوت العهد، وكل أوانى الخدمة. كما مسح بها هرون رئيس الكهنة وبنوه (خر٣٠: ٢٣- ٣٠) .

كما كان المرّ واللبان من تقدمات المجوس للمسيح .

اللبان كان يرمز إلى الكهنوت .

والمرّ كان يرمز إلى الآلام ، وإلى رائحة الحياة الطيبة .

وبكل هذا تعطرت الكنيسة ، وتعطرت النفس البشرية التى تحب المسيح .

ومن العطور المقدسة الميعة والسليخة. لذلك فإن المرتل قال للكنيسة فى المزمور "المر والميعة والسليخة من ثيابك" (مز٤٥: ٨) .

لذلك لم يكتف سفر النشيد بأن يجعل العروس معطرة بالمرّ واللبان فقط، وإنما أضاف "وبكل أذرة التاجر" ، بكل العطور جميعها ..

وكل أذرة التاجر :

وأنت أيها الابن المبارك – بعد عمر طويل – عندما تصعد روحك إلى فوق: هل تكون زكية الرائحة "معطرة بالمرّ واللبان وبكل أذرة التاجر" ؟ أم تفوح منها رائحة الخطية البشعة ، لا سمح الله ...

لأن بعض الناس حينما يموتون ، تمتلئ حجراتهم برائحة بخور. وآخرون تتعفن أجسادهم بسرعة. ويحاول أقرباؤهم أن يدفنوهم قبل أن تفوح الرائحة !

✠ ✠ ✠

والآن نسأل : ما هى أذرة التاجر التى تتعطر بها الروح ؟

هى ثمار الروح التى قال عنها الرسول "وأما ثمر الروح ، فهو محبة، فرح ، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل٥: ٢٢، ٢٣) ... هى الطهارة والنقاوة والقداسة ، وحرارة الروح ، والشوق إلى الله. هى زيت العذارى الحكيمات، وشركة الروح القدس، هى البذل والعطاء، والجهاد.. هى ثمر الإيمان، وثمر التوبة...

✠ ✠ ✠

وترى من هو التاجر ؟

هو الذى قال عنه الرب "يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلئ حسنة. فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن، مضى وباع كل ما كان له واشتراها" (مت١٣: ١٥، ١٦).

هو التاجر الذى يقول للرب فى اليوم الأخير "يا سيد، خمس وزنات سلّمتنى. هوذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها" (مت٢٥: ٢٠) .

وأيضاً التاجر هو كل خادم للرب يقدم للناس الروحيات، ويقول مع القديس بولس الرسول "صرت للكل كل شئ، لأخلص على كل حال قوماً" (١كو٩: ٢٢) .

هؤلاء التجار الحكماء ملأوا الكنيسة عطراً ولباناً ومراً، وميعة وسليخة، وقرفة وعوداً، وقصب ذريرة" (خر٣٠: ٢٣– ٢٥) .. وكل أذرة التاجر .. كل فضيلة وبر من كل نوع ...

✠ ✠ ✠

أعمدة من دخان :

وهكذا أرتفعت الكنيسة إلى الرب "أعمدة من دخان" وهو :

دخان الذبائح والمحرقات :

كانـــت الذبائح والمحرقات توضع على المذبح ، وتوقد النار فترتفع أعمدة من دخان. وقـــد طلب إلينا القديس بولس الرسول أن نتشبه بتلك الذبائح عندما قال "أطلب إليكم أيها الأخـــوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية" (رو١٢: ١) .

فيابيتـــنا نعـــيش على الأرض كذبيحة، كمحرقة على المذبح تلتهمها النار المقدسة. وتصعد كأعمدة من دخان، معطرة بالمرّ واللبان وكل أذرة التاجر .

✠ ✠ ✠

وتقديم النفس كذبيحة أمر واضح فى صلواتنا : يقول المرتل "فلتستقم صلاتى كالبخور قدامـــك. وليكـــن رفع يدىّ ذبيحة مسائية" (مز١٤١: ٢) . فلتستقم صلاتى كالبخور، أى كأعمدة من دخان، كذبيحة مسائية. وكما قال المرتل أيضاً "باسمك ارفع يدى، فتشبع نفسى كما من لحم ودسم" (مز٦٣: ٤، ٥) .

أبعد هذا يقول إنسان إن سفر النشيد يعثرنى !!

بـــل تعثرك يا أخى أفكارك الجسدانية، التى لم ترتفع بعد عن هذا المستوى الجسدانى. ولم تصعد إلى فوق ، كأعمدة من دخان .

✠ ✠ ✠

الطالعة من البرية :

عـــبارة "الطالعـــة من البرية قد تطلق على كنيسة العهد القديم، كما تطلق أيضاً على كنيسة العهد الجديد، المزينة بالفضائل ، **التى يعمل فيها الروح القدس بكل مواهبه ، بكل اذرة التاجر .**

فإنـــه قيل : بالروح يعطى لواحد كلام حكمة، ولآخر كلام علم، ولآخر إيمان، ولآخر مواهـــب شـــفاء، ولآخـــر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز أرواح، ولآخر ترجمة ألســـنة.. هذه كلها يعملها الروح الواحد، قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء (١كو١٢: ٨-١١).. هذه كلها من أذرة التاجر .

وعبارة الطالعة من البرية ، ربما تقصد بها الصلوات .

الكنيســة لــيلاً ونهــاراً تصعد منها صلوات وألحان وتسابيح.. كلها تصعد إلى فوق. فتستقبلها الملائكة بهذا النشيد "من هذه الطالعة من البرية، كأعمدة من دخان، معطرة بالمرّ واللــبان وبكــل أذرة الــتاجر.. صلوات معطرة بالحرارة، والإيمان، والخشوع، والفهم، والتأمل، والشكر.. وكل أذرة التاجر ...

فهل كنيستنا اليوم لا تزال – كما كانت فى القديم – كنيسة صلاة ؟

. هل كل نفس فيها ، ترتفع منها كل يوم صلوات وتسابيح، وتراتيل، ومزامير، وأغانى روحية (كو٣: ١٦) (أف٥: ١٩). أم أن الملائكة ينتظرونها بلا جدوى، وكأنها فى عطلة أو غفــوة!! لا مرّ ولا لبان، ولا شئ من أذرة التاجر ! هل كل بيت من بيوتنا تصعد منه أعمدة الدخان المقدسة، كأعمدة الهيكل، معطرة بالمسحة المقدسة، بالمرّ واللبان..

✠ ✠ ✠

مــا أجمل أن يقول الملائكة بعضهم لبعض: هلّم ننظر مصانع الروحيات فى هذا البلد المقــدس، تطلــع منها أعمدة من دخان ، معطرة بالمرّ واللبان، "يكملون بعضهم بمزامير وتســابيح وأغانى روحية، مترنمين ومرتلين فى قلوبهم للرب" "شاكرين كل حين على كل شئ" (أف٥: ١٩، ٢٠) .

✠ ✠ ✠

هناك أشياء مهما حاولت أن تكتمها لا تستطيع ..

روائــح عطــرة جميلة لا يمكن أن تخفيها . لا يمكن أن تخفى مدينة كائنة على جبل" (مــت٥: ١٤) . ولا يمكــن أن تكتم روائح بستان مملوء بالورد والفل والريحان.. هكذا الكنيســة – العــالم الآخــر يــتأمل جمالها العجيب، فى قدسيتها وطهرها، فى حرارتها وعبادتها، فى محبتها لله والناس، فى كل ما فيها من أذرة التاجر ...

✠ ✠ ✠

تصوروا أن الكنيسة أصبحت موضع دهشة الملائكة ...

أصــبحت موضع دهشة السماء، بل موضع دهشة العالم كله. ينظر إليها فينذهل : ما هذا الجمال ؟ ما هذا السمو والعلو؟ ما هذا الصبر فى الجهاد؟ ما هذه المثالية؟ لم نرّ قبل مــثل هــذا.. من هذه الطالعة من البرية، كأعمدة من دخان، معطرة بالمرّ واللبان. مثلما دخل المسيح أورشليم، فقالوا: من هذا..؟! (مت٢١: ١٠) "وارتجت المدينة كلها" .

موقف روحي يتميز به عمل ما، فينظر إليه الكل فى دهشة :

ويقولون : قد رأينا اليوم إنساناً عجيباً ، شخصية من نوع فريد! من هذا الإنسان؟ فى أمانـــته، فـــى دقـــته، فـــى رقـــته، فى أدبه، فى محبته، فى فهمه..؟ ترى من تكون هذه الشخصية؟ من هذه الطالعة من البرية ، معطرة بالمر واللبان وكل أذرة التاجر .

✠ ✠ ✠

"عبارة كل أذرة التاجر ، تشير أيضاً إلى كمال الكنيسة :

ليست متحلية بفضيلة واحدة فقط، وإنما بالكل، بكل أذرة التاجر .. بكل بركات النعمة، بكل ثمرِ الروح ..

كنيســة "جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعى، حفظت الإيمان" (٢تى٤: ٧). جمعت كل الخير، جمعت الإيمان والأعمال "تعبت من أجل الرب ولم تكلّ" (رؤ٢: ٣) .

✠ ✠ ✠

أمــا نحن فقد دخلنا على ما لم نتعب فيه. آخرون تعبوا ونحن دخلنا على تعبهم (يو٤: ٣٨) .

إنــنا ننظر إلى كنيسة الآباء فى إعجاب شديد، وهى معطرة بالمرّ واللبان وكل أذرة الــتاجر، مستندة على حبيبها ، ونقول من هذه التى طلعت من البرية؟ كيف وصلت إلى هذه الدرجة؟!

١٠

قال الرب للكنيسة ، وللنفس البشرية القديسة :

ها أنت جميلة ياحبيبتى، عيناكِ حمامتان

(نش ١ : ١٥)

شهادة من الله :

هــوذا الرب يقول فى سفر النشيد للكنيسة أو للنفس البشرية القديسة "ها أنت جميلة يا حبيبتى. ها أنت جميلة . عيناك حمامتان (نش١: ١٥) .

ها أنتِ جميلة :

أول مــا نلاحظه هنا أن الله يشهد للنفس البشرية. وهى شهادة صادقة. بعكس شهادات الناس التى قد تكون باطلة.

البعض قد يمدحونك تملقاً، أو رياءً، أو مجاملة، أو كذباً، أو ارضاء، أو تشجيعاً، أو لغرض ، أو بدافع الحب .

وقد لا يكون المديح صادقاً . أما شهادة الله فصادقة .

السيد المسيح قال "مجداً من الناس لست أقبل" . ولكنه لم يقبل إلا شهادة الآب. لذلك ما أجمــل قــول الكتاب عن المعمدان إنه "يكون عظيماً أمام الله" .. فالمهم أن يكون الإنسان عظيماً فى نظر الله وليس فى نظر الناس .

✠ ✠ ✠

كـل مـا نرجوه أن يقول الله للنفس كل واحد منا فى اليوم الأخير "ها أنت جميلة يا حبيبتى". أدخلى إلى فرح سيدك .. (مت٢٥: ٢١، ٢٣).

كثيرون سيقولون لـه "يارب، أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صـنعنا قـوات وعجائب" فيقول لهم "اذهبوا عنى يا ملاعين، لا أعرفكم" . شهادتهم عن أنفسـهم لم تكن تكفى ولا تنفع. المهم إذن هو شهادة الرب الذى قال لكل ملاك من ملائكة الكنائس السبع "أنا عارف أعمالك" (رؤ٢، ٣) .

أنظروا إلى شهادة الرب لملاك كنيسة أفسس "أنا عارف أعمالك وتعبك وصبرك.. وقد احتملت ولك صبر، وتعبت من أجل اسمى ولم تكل" (رؤ٢: ٢، ٣) .

✠ ✠ ✠

الفريسـى لام المرأة التى غسلت قدمى المسيح بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها، أما الـرب فقـال لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى" "إيمانك قد خلصك" (لو٧: ٥٠) – وقال عنها أيضـاً إنها "أحبت كثيراً. لذلك غفرت لها خطاياها الكثيرة" (لو٧: ٤٧). وقال الرب مثل هـذه العـبارة للمـرأة الكنعانـية التى قالت إن الكلاب تأكل من الفتات الساقط من مائدة أسيادها. قال لها "عظيم هو إيمانك" (مت١٥: ٢٨).

بعـد أن تكمل النفس أيام غربتها على الأرض . بعد أن تكمل أيام جهادها، يقول لها الرب "ها أنت جميلة يا حبيبتى" . وبهذه العبارة نطمئن على مصيرها الأبدى .

✠ ✠ ✠

ومقياس الجمال عند الرب غير مقاييسه عند الناس ...

العروس التى قال عنها الرب إنها جميلة ، كانت سوداء . ومع ذلك "سوداء وجميلة" .

كإنسـان أنهكه الصوم والنسك، وبدأ نحيلاً ضعيفاً، تبكى أمه على ضعفه، وبينما يقول عن نفس هذا الإنسان "ها أنت جميلة يا حبيبتى".

القديسون الذين شوهتهم عذابات الاستشهاد ، فقطعوا أعضاءهم، أو فقأوا عيونهم، يراهم الناس مشوهين، بينما يقول الله لنفس كل واحد منهم "ها أنت جميلة يا حبيبتى" .

✠ ✠ ✠

إنسـان يعترف بخطاياه، ويقول كلاماً قد يظهر نفسه بشعة يشمئز منها الناس. أما الله فينظر إلى هذه النفس المنسحقة الباكية المذلولة ويقول لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى".

الـــنفس التى تلطم على خدها، فتحول الآخر ، أو يسخرونها ميلاً، فتمشى فى السخرة ميلين، قد يراها الناس ذليلة مسكينة مهانة. أما الله فيقول لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى" .

✠ ✠ ✠

لاحظوا أن الرب كرر العبارة تأكيداً لشهادته بجمال النفس .

فقـــال : "هـــا أنت جميلة يا حبيبتى، ها أنت جميلة" . بينما لفظة واحدة من الله تكفى. ولكنه يجد لذة فى التحدث عن جمال أبنائه.

كـــان أيـــوب مملـــوءاً بالقروح من قمة رأسه إلى أخمص قدميه. قد أصبحت رائحته كريهة عند إمرأته، وهرب منه عبيده وإمائه. وأما الله فكان ينظر إلى هذه النفس الصبورة ويقول لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى" .

✠ ✠ ✠

إن مقاييس الناس فى الجمال لا تهمنا . المهم مقاييس الله ...

الله يـــنظر إلـــى جمـــال النفس المتواضعة ، فيقيم المسكين من التراب، والبائس من المزبلة. ليجلسه مع رؤساء شعبه. ينظر إلى إتضاع أمته.. وقد نظر إلى القديسة الهبيلة، التى كانت تتظاهر باهمال العبادة وبالكسل والتراخى أمام الراهبات. فإذا نمن جميعاً تقوم فى منتصف الليل تصلى بحرارة عجيبة .

فكانـــت الراهـــبات يلقبـــنها بالهبـــيلة . أما الله فيقول لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى" وبنفس الوضع كانت القديسة مارينا ...

فـــى نظر الناس كانت تعتبر راهباً زانياً مطروداً من الدير ، بينما كانت فتاة ، وكانت جميلة أمام الله الذى يعرف حقيقتها .

✠ ✠ ✠

ونفس الوضع ينطبق على يوسف الصديق وهو كمذنب فى السجون :

فـــى نظـــر الناس كان مذنباً، وفى نظر فوطيفار كان مذنباً، ولكن الله العارف بحقيقة نفسه البارة، كان يقول لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى" إذن المهم أن نعرف حكم الله علينا لا حكم الناس ...

عيناكِ حمامتان :

الحمامة ترمز للروح القدس ، والعينان ترمزان إلى الرؤية .

أى أنه لك رؤية روحية ، تبصرين بالروح القدس .

والحمامة عموما لها مكانة عجيبة فى الكتاب المقدس كما سنرى :

من أجل صفات الحمامة الجميلة ، لقبت العذراء بالحمامة الحسنة .

يـــبخر الكاهـــن على يمين المذبح ، حيث توجد أيقونة العذراء، وهو يقول "السلام لك أيتها الحمامة الحسنة" . فما هو حسنها؟

✠ ✠ ✠

الحمامـــة مـــن الطـــيور الطاهـــرة التى دخلت إلى الفلك، وهى التى هنأت أهل الفلك بانحسار الماء على الأرض ، ورجوع الخضرة ..

وحملت فى فمها غصن الزيتون ، رمزاً إلى السلام ...

فكـــأن العـــذراء بهـــذا الرمز، كانت تمثل السلام الآتى على الأرض، وزوال غضب الطوفان، ورجوع الحياة إلى العالم.. وهكذا كانت العذراء بشيراً بالخلاص الذى يتمتع به العالم ...

✠ ✠ ✠

"عيـــناك حمامتان" كل عين منهما بشرى طيبة، تبشر بالسلام، تبشر بالخلاص، تحمل غصن زيتون لكل أحد. إنها النفس المسالمة .

إنســـان خاطـــئ ، كاد أن يحطمه اليأس ، يأتى إلى أحد الآباء الروحيين يشرح لـــه يأســـه، فيطيـــب هـــذا الأب خاطـــره، ويفتح لـــه نافذة من رجاء، ويحدثه عن محبة الله وغفرانه فينظر هذا الخاطئ إلى الأب الحنون، ويقول له "عيناك حمامتان".

✠ ✠ ✠

الحمامة أيضاً ترمز للبساطة "كونوا بسطاء كالحمام..".

العيـــن البسيطة – التى كالحمامة – تمثل البراءة. ولهذا يقول السيد المسيح "إن كانت عينك بسيطة، فجسدك كله يكون نيراً" (مت٦: ٢٢).

عندما خلق الله النفس البشرية، قال لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى" .

كانـــت طاهـــرة لا تعرف شرا ولا خبثاً ، ولا تنظر بشهوة، بل تنظر إلى كل شئ فى براءة "كل شئ طاهر للطاهرين" (تى١: ١٥) ...

أمـــا الآن فقد فسدت العين، وأصبحت تنظر نظرات أخرى، فقدت بساطتها وبراءتها، وفقـــدت مشـــابهتها للحمامة .. هناك عيون كلها مكر وكلها رغبة، أو حسد أو غيرة، أو غضب، أو شهوة ..

هناك إنسان عينه كالصقر، مخيفة، لا وداعة فيها.. أما هذه فقال لها: "عيناك حمامتان" أى تمـــثلان الوداعـــة واللطـــف والطيـــبة والود.. تمثلان النفس الجميلة الهادئة البسيطة الروحية الحرة.. محال أن يكون أحد فيكم قد رأى حمامة عابسة متجهمة !

✠ ✠ ✠

الحمـــام أيضـــاً يهدل دائماً، فيرمز إلى حياة التسبيح الدائمة، حتى كنا نشبه مساكن الرهبان الدائمى الصلاة بأبراج الحمام .

لذلـــك فرح داود وقال إن "الحمامة وجدت لها عشاً، مذابحك أيها الرب إله القوات" .. والحمـــام أيضـــاً كـــان يسكن المغارات وشقوق الجبال. فهو بهذا يرمز إلى حياة الوحدة والعبادة، ولهذا قال داود النبى:

"ليت لى جناحاً كالحمامة فاطير واستريح.. وابعد هارباً واسكن فى البرية" . فالحمام يرمز للوحدة والعبادة .

والله ينظر إلى كل حمامة فى مغارتها أو جحرها ويقول لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى".

✠ ✠ ✠

والعجيبة أن الحمامة ترمز إلى الجماعة الناجحة كما ترمز إلى حياة الوحدة .

ونجاح الحمامة فى حياة المجتمع، ترمز إليه أسراب الحمام.

أســـراب الحمام التى تطير متآلفة ، متضامنة ، فى اتجاه واحد . ينظر الله إلى الكنيسة فـــى أسرابها المتآلفة، التى تعمل معاً فى محبة وتضامن واتجاه واحد، ويقول لها "ها أنت جميلة يا حبيبتى". نقول هذا لئلا يظن أحد أن الحمامة ترمز للمتوحدين فقط ...

بل إن الرب قال عن الكنيسة أيضاً عبارة جميلة فى المزامير وهى : "**كأجنحة حمامة**

مغشاة بالفضة، ومنكباها بصفرة الذهب" .

✠ ✠ ✠

الحمامة أيضاً ترمز إلى المحرقة وإلى الذبيحة .

كان الفقير يقدم فرخى حمام ، أحدهما محرقة لإرضاء قلب الله، والثانى ذبيحة خطية يمثل المغفرة . وكان الرب ينظر إلى هاتين الذبيحتين ويقول للنفس "عيناك حمامتان" .

لذلك فإن الرب عندما طهر الهيكل، لم يقلب أقفاص الحمام، كما قلب موائد الصيارفة. وإنمـــا قال "ارفعوا هذه من هنا" (يو٢: ١٦)، ليس فقط من أجل عملية البيع فى الهيكل.. وإنما أيضاً تقديراً للحمام كرمز..

✠ ✠ ✠

كملخـــص لمـــا قلـــناه : يرمـــز الحمـــام للبساطة ، وللسلام، والوداعة، والتسبيح، والذبيحة، والوحدة، والود فى حياة المجتمع، كما يرمز للروح القدس الذى حل كحمامة وقت العماد .

لذلـــك هـــناك أشـــخاص لا يأكلون الحمام أبداً نظراً لرموزه وصفاته . ولذلك لم يكن غريـــباً فى ظهور العذراء فى كنيسة الزيتون أن يبصر الناس الحمام يطير بالليل، رمزاً للحمامة الحسنة (السيدة العذراء) .

وعـــندما يقول الله للنفس البشرية "عيناك حمامتان" ، إنما يقصد كل هذه الصفات معاً، وربما غيرها أيضاً .

١١

قال الرب للكنيسة ، وللنفس البشرية القديسة :

شفتاكِ يا عروس تقطران شهداً

(نش ٤ : ١١)

كثير من الناس ، تكمن متاعبهم فى ألسنتهم ، لذلك يفضلون الصمت :

يجعلــون أمــامهم قول الحكيم "كثرة الكلام لا تخلو من معصية" (أم١٠: ١٩)، وقول يعقــوب الرســول "اللسان نار، عالم الإثم.. هو شر لا يضبط، مملوء سماً مميتاً .. يدنس الجسم كله" (يع٣).

ويحــب هؤلاء قول القديس أرسانيوس "كثيراً ما تكلمت فندمت، وأما عن سكوتى فما ندمت قط" . لذلك يرون الصمت أفضل ..

حقــاً إن الصــمت أفضل من الكلام الردئ ، وحقاً إن اللسان غير المنضبط هو سم مميت. ولكن هناك كلام طيب ...

✠ ✠ ✠

ليس كل صمت فضيلة ، فأحياناً نُدان على صمتنا .

ولــيس كــل كــلام خطيئة. فهناك نفس تتكلم ، فيقول لها الرب : "شفتاك يا عروس تقطران شهداً" . قال الرب أيضاً :

"بكلامك تتبرر، وبكلامك تُدان" (مت١٢: ٣٧). إذن يمكن أن تتبرر بالكلام.

ولذلـــك قال الكتاب "شفتا الصديق ينبوع حياة" "شفتا الصديق تهديان كثيرين" (أم١٠: ٢١). هناك إذن شفاه مقدسة، تخرج منها كلمة حياة، وكلمة منفعة ...

✠ ✠ ✠

كـــان المسيح يتكلم ، والناس يبهتون من كلامه (مت٧: ٣٨)، ويقولون "ما سمعنا أحداً قد تكلم مثل هذا" .. كان كلامه روحاً وحياة (يو٦: ٦٣).

وقـــد قدم لنا مثالاً للكلام، إذ كانت شفتاه تقطران شهداً . لذلك لا نعجب إن رأينا مريم أخت مرثا، تحرص أن تجلس عند قدميه، لكى تسمع وتتأمل (لو١٠: ٣٩). كانت كل كلمة تخرج من فمه، تدخل إلى قلبها، وتحرك مشاعرها وتبنيها ، وتشبعها ...

وقد قال داود عن كلام الرب، إنه "أحلى من العسل وقطر الشهاد" (مز١٩: ١٠) .

✠ ✠ ✠

القديس يوحنا ذهبى الفم، منحته الكنيسة هذا اللقب، إذ كانت كلماته كالدر والجوهر، وكانت شفتاه تقطران شهداً .

القديـــس أثناسيوس قيل عنه "إن سمعت كلمة لأثناسيوس، ولم تجد ورقاً تكتبها عليه، فاكتـــبها علـــى قميصك".. وما أجمل اللقب الذى أعطى للقديس غريغوريوس، إنه ناطق بالإلهيات".

فما هى إذن صفات الكلام ، الذى تقطر به الشفاه شهداً ؟

ألوان من شهد الكلام ٤

قال سليمان الحكيم : "الكلام الطيب شهد عسل ، حلو للنفس" (أم١٦: ٢٤) .

فما هو هذا الكلام الطيب الذى يقصده ؟

إنـــه الكلمة الرقيقة العطوفة ، التى تفيض حباً وعطفاً وحناناً، ككلمات السيد المسيح للمرأة التى ضبطت فى ذات الفعل..

وقفت المرأة أمامه ذليلة محطمة، يجرها أناس قساة، أشبعوها إهانة وتحقيراً وتشهيراً، وهـــى تنـــتظر مصـــيرها من شفتيه.. فإذا بالمسيح الكلى الطهر، يصرف الرجال الذين أدانوها وأذلوها، ثم يقول لها "وأنا أيضاً لا أدينك ، إذهبى ولا تخطئ أيضاً" (يو٨: ١١).

لـــم يخجلها، لم يوبخها، لم يجرحها، لم يحكم عليها، إنما بكل عطف نشلها من الوحل ومن العار، وصرفها بسلام، وهى متعجبة من هاتين الشفتين اللتين تقطران شهداً..

✠ ✠ ✠

بأسلوب رقيق، شبيه بهذا ، تحدث السيد مع المرأة السامرية .

حدثها – وهى خاطئة – عن الماء الحى ، وعن السجود بالروح والحق، وبلطف زائد اقتادها إلى الإعتراف ، دون أن يريق ماء وجهها. فتركت جرتها ، ونادت المدينة: تعالوا أنظروا، إنساناً قال لى كل ما فعلت.. (يو٤: ٣٩) دون أن يجرحنى بكلمة .

وبنفس الرقة تحدث عن المدينة التى أغلقت أبوابها فى وجهه .

قـــال التلميذان اللذان معه "أتشاء يارب أن تنزل ناراً من السماء فتحرق هذه المدينة؟" فأجابهمـــا: "لستما تعلمان من أى روح أنتما؟! لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص" (لو٩: ٥٥، ٥٦) ..

أنـــا قد جئت لأرفع القلوب المنكسرة، أقوم الركب المخلعة، وأشدد الأيدى المسترخية، جئت لأنادى لليائس بالرجاء، وللخاطئ بالتوبة.

لا دينونة فى فمى. إنما فى فمى كلمة حب، وكلمة خلاص .

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص كلامهم كرجم الحجارة، قسوة وعنف، وفيه أتهام ونقد وتجريح، ولكنه لا يبنى إنما تبنى الكلمة الحلوة. الشفتان اللتان تقطران شهداً، تكسبان حب الناس، وبالحب تبنيهم .

وهذا الشهد فى نوع الكلام ، ولهجة الكلام وروحه وأسلوبه .

✠ ✠ ✠

ومن أنواع هذه الكلمات التى تقطر شهداً ، كلمة المنفعة :

عظة الرب على الجبل، فى تقديمها أسمى تعاليم سمعتها البشرية. وكلمات آباء البرية التى كان الناس يأتون فى طلبها من أقاصى الأرض ليسمعوا كلمة منفعة. من أجلها قصد الـــبابا ثاوفـــيلس القديس أرسانيوس والقديس يفنوتيوس. وبها كُتب بستان الرهبان. ومن أمثلـــتها أيضـــاً أقوال الآباء التى جمعها العلماء فى مجموعات الباترولوجيا، ومنها أيضاً أقوال المرشدين الروحيين النافعة لهداية النفس .

✠ ✠ ✠

ومن الكلمات التى تقطر شهداً ، كلمات البركة :

مثل البركة التى بارك بها الرب نوحاً (تك٩) وابراهيم (تك١٢)، والبركات التى وردت فى سفر التثنية (ص٢٨)، ومثل بركة اسحق ليعقوب (تك٢٧)، وبركة يعقوب لأفرايم ومنسى (تك٤٨)، ومثل البركة التى تمنحها الكنيسة لأبنائها فى كل قداس، فى نهاية كل أجتماع .

لذلك أمرنا الكتاب قائلاً: "باركوا ولا تلعنوا" (رو١٢: ١٤)، باركوا كل أحد، حتى أعداءكم "باركوا لاعنيكم" (مت٥: ٤٤).. كل شخص يقابلك، قل له كلمة بركة، كلمة دعاء، تفرح بها قلبه، وتشعره بمحبتك ، فتهتف الملائكة قائلة لنفسك: "شفتاك يا عروس تقطران شهداً" ..

✠ ✠ ✠

والشفاة التى تقطر شهداً تنطق بكلام مريح فيه طمأنينة وتعزية .

مثل كلمة الطبيب التى تريح المريض، وتدخل الرجاء إلى قلبه.. وكلمة أب الاعتراف الذى يقدم حلاً لمشكلة، أو يريح قلب خاطئ يائس، أو يعطيه حلاً من خطاياه.. ومن أمثلتها ما طلبه قائد المائة من السيد المسيح "قل كلمة فقط.. فيبرأ غلامى" (مت٨: ٨) ومثل كلمات التعزية المريحة تسمعها فتقول "شفتاك يا عروس تقطران شهداً".

✠ ✠ ✠

شفتا أصحاب المواهب ، هى أيضاً تقطران شهداً ...

أولئك الذين أعطاهم الرب قوات وعجائب، وائتمنهم على عطاياه.. يأتى الشخص إلى واحد من هؤلاء القديسين، ويسأله قائلاً : قل إننى سأنجح. قل إن الله سيعطينى ابناً.. قل إن مشكلتى ستحل.. فإن قال تمتلأ النفس فرحاً بالرجاء، متيقنة أنها ستأخذ .. إنها كلمات تسعد سامعها ، من شفاه تقطر شهداً ...

حنة – وهى صائمة – تصلى فى الهيكل بحرارة وانسكاب ودموع، تطلب نسلاً .. فظنها عالى الكاهن سكرى، وكلمها كلاماً قاسياً، فلما شرحت له حالها، دعا لها أن يعطيها الله سؤل قلبها.. فمضت من عنده فرحة.. لقد أسعدتها الكلمة الطيبة، كلمة الدعاء من الكاهن العظيم، الذى عادت شفتاه تقطران شهداً ...

✠ ✠ ✠

الكلمة التى تقطر شهداً ، كلمة باقية خالدة . لا تنسى ..

تمتد جذورها فى أعماق القلب، وفى أعماق النفس من الداخل، يسترجعها الإنسان بين الحين والآخر، لا ينساها. إنها تعمر قلبه، وترسخ فى ذاكرته، إنها كلمة حية، غير عادية باقية ..

✠ ✠ ✠

من الكلمات التى تقطر شهداً أيضاً : كلمات التشجيع والمديح .

صغار النفوس ، والضعفاء ، والمبتدئون ، والأطفال يحتاجون إلى كلمة تشجيع، تقوى معنوياتهم، وتطمئن نفوسهم، وتدفعهم إلى قدام.. إن سمعوها من إنسان، يقولون "شفتاك ياعروس تقطران شهداً.." بل صدقونى حتى الكبار أيضاً، تسرهم كلمة التشجيع أو كلمة المديح، مادامت صادقة بعيدة عن الملق .. إنها تفعل فى النفوس مفعول السحر، وتملأ القلب حباً ورضى ... لذلك يقول الكتاب "شجعوا صغار النفوس. إسندوا الضعفاء.." (١تس٥: ٢٠).

استخدموا هذا الأسلوب باستمرار ، وانظروا نتيجته ...

✠ ✠ ✠

ومن الكلمات التى تقطر شهداً ، كلمات الدفاع :

تصور إنساناً كل الناس ضده، يتكلمون عليه، ويتهمونه .. ثم يجدك واقفاً تدافع عنه.. ماذا يكون شعوره نحوك؟ تصور طفلاً يجدك واقفاً تدافع عنه .. ماذا يكون شعوره نحوك؟ تصور طفلاً توبخه أسرته، ثم تحتضنه أنت، وتقول فيه كلمة طيبة، إنه لا ينساها لك، ويقول لك: شفتاك تقطران شهداً ...

السيد المسيح دافع عن المرأة الخاطئة التى بللت قدميه بدموعها ، بينما اتهمها الفريسى. ودافع عن المرأة التى سكبت على قدميه طيباً غالى الثمن، ولامها التلاميذ، ودافع عن العشارين ، وعن السامريين ، وعن الأطفال، وعن الأمم.. وفى دفاعه كانت شفتاه تقطران شهداً ...

✠ ✠ ✠

ومن الكلمات التى تقطر شهداً: عبارات الشكر وعبارات الاعتذار .

إن الشكر دليل على التقدير ، والعرفان بالجميل ، وعدم نسيان الخير. وقد قال الآباء

"ليســت موهبة بلا زيادة، إلا التى بلا شكر" . ونحن نبدأ صلواتنا بصلاة الشكر. فإن كان هذا مع الله الذى لا يحتاج إلى شكرنا، فكم بالأولى مع الناس .

فــيما تشــكر، شــفتاك تقطــران شهداً، وأيضاً فيما تعتذر .. لأن اعتذارك يدل على حرصك على شعور من أسأت إليه، ورغبتك فى أن تطيب قلبه. ونحن بعد صلاة الشكر، نــتلو المــزمور الخمســين، وكله أعتذار.. ليتك تجرب الإعتذار إلى كل من أسأت إليه، وحينئذ شفتاك تقطران شهداً، أمامه وأمام الله .

✠ ✠ ✠

ومن الكلمات التى تقطر شهداً ، عبارات التقدير والاحترام .

تكلــم مــع الكل باحترام ، تنل محبة الكل . يرون كلامك كالشهد . تكلم باحترام مع الكبار ومع الصغار أيضاً. وقل كلمات تقدير لكل من هو أكبر منك سناً أو مقاماً ، أو أكثر مــنك علماً ، كما توقر أباءك الروحيين والجسدانيين، وكل من يقدم خدمة لك أو لغيرك . بل إن عبارة احترام تقولها لمن هو أقل منك ، تستعبد بها قلبه لك .

إن الشفاه العفة الألفاظ ، التى تحترم الناس ، تفيض شهداً .

هــذا الاحــترام والتوقــير نردده لله فى صلوات التسبيح والتمجيد ، تسمعها الملائكة فتقول: شفتاك يا عروس تقطران شهداً .

✠ ✠ ✠

ماذا أقول أيضاً عن الكلمات التى تقطر شهداً . إن منها :

كلمــات الحب التى تدل على عاطفة صادقة ، وكلمات الترحيب التى تدل على فرحك بلقــاء غيرك ، وكلمات النزاهة والشجاعة، وكلمات الصدق فى أحرج الأوقات ، وكلمات الحكمة المملوءة عمقاً ، وكلمات الاتضاع المملوءة حياء ...

كلها تصدر من شفاه تقطر شهداً ...

الباب الثاني

العَريس

الرَبّ الإلـه

إسمك طيب مسكوب .. لذلك أحبتك العذارى
إجذبنى وراءك فنجرى ..

(نش١ : ١٠)

إسم الربّ :

من إعجاب الكنيسة بهذه العبارة تذكرها فى رفع بخور عشية "طيب مسكوب هو سمك القدوس. وفى كل مكان يقدمون بخوراً لإسمك القدوس وصعيدة طاهرة" .

اسم الرب له رائحة طيبة تنعش النفوس، وتنتشر فى كل مكان كما ينتشر الطيب. لذلك حبته العذارى .

✠ ✠ ✠

اسم الرب اسم حلو، يفرح به أولاد الله لذلك نقول له فى الإبصلمودية "اسمك حلو مبارك، فى أفواه قديسيك" . ويقول له داود النبى فى المزمور :

"محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى" (مز١١٩) .

أى أنه من محبتى لاسمك ، أظل أردده طوال اليوم..

تماماً مثلما يحب إنسان شخصاً ما، فيظل يتكلم عنه : ويردد اسمه فى كل مناسبة، ويجد لذة فى ترداد اسمه ...

هذا الاسم يملأ عقله وفكره وحواسه ، ولا يفارق شفتيه ...

ومن حلاوة اسم الرب ، نقول لـه "اسمك طيب مسكوب" . ويقول الكتاب "اسم الرب برج حصين. يركض إليه الصديق ويتمتع" (أم١٨: ١٠) يطلبه فى كل ضيقة ويحتمى به.

✠ ✠ ✠

اسم الرب يرعب الشياطين ، ويعطى القديسين طمأنينة ...

وهكذا نرى داود النبى حينما وقف أمام جليات الجبار ، قال له "أنت تأتينى بسيف ورمح، وأنا آتيك باسم رب الجنود" (١صم١٧: ٤٥) مجرد دخول اسم الرب، قادر أن يهزم جليات.. وبنفس الوضع قال بطرس للرجل المقعد على باب الهيكل "ليس لى ذهب ولا فضة. ولكن الذى معى إياك أعطيه. باسم يسوع المسيح قم وأمش" (أع٣: ٦).. وباسم الرب قام ومشى، كما باسمه انتصر داود على جليات .

✠ ✠ ✠

ونحن لذلك نستخدم اسم الرب فى كل أعمالنا وحياتنا :

فى الأكل، فى المذاكرة، فى العمل، فى دخولنا وخروجنا، نبدأ كل هذا باسم الله. نضع اسم الرب فى كل عمل، لكى يتبارك هذا العمل باسم الله.. وبهذا تشعر أن الله أمامك باستمرار.

اسم ربنا مخيف بالنسبة إلى الخطاة لأنه "مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى" (عب١٠: ٣١). لكن بالنسبة للقديسين اسم الرب محبوب .

اسمك يارب موسيقى فى أذنى ، حلو فى فمى .. هو فى صلواتنا فى عبادتنا ، فى قراءتنا، فى حياتنا اليومية ...

فى قصة كبريانوس الساحر ، مجرد اسم يوستينه جعل الشيطان ينحل ويمشى. فكم بالأولى إذن اسم الله وتأثيره وقوته ..!

اسمك طيب مسكوب ، لذلك أحبتك العذارى .

أحبتك العذارى :

وعبارة (أحبتك العذارى) تدل على أن الحب المذكور فى سفر النشيد، هو حب إلهى وليس حباً بشرياً أو جنسياً .

الحـب العالمى ، الحب الجنسى ، الحب الجسدى ، تسوده الأنانية والرغبة والإمتلاك. لذلـك إذا أحبت واحدة شخصاً، قد تغار عليه جداً، فإن رأت فتاة أخرى تحبه، تموت من الغـيرة.. لكن هنا فى النشيد تقول لـه "أحبتك العذارى" .. كلهم يحبونك.. نفرح ونبتهج بك.. "بالحق يحبونك" (نش١: ٤).

"بالحق يحبونك" أى كل الناس يحبونك . وأنا أفرح بهذا .

✠ ✠ ✠

حقاً إن النفس التى تحب الله ، تود أن يحبه الجميع ،

الإنسان الروحى يريد أن كل أحد يحب الله معه ...

المرأة السامرية لما تعرفت على المسيح ، ذهبت تدعو الناس "تعالوا أنظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت" (يو٤). وملأت المدينة حديثاً عنه، وأحضرت الناس إليه.. وهكذا الرسل لما أحبوا المسيح، ملأوا الدنيا كرازة باسمه .

وبولس الرسول لما عرف الرب ، حاول بأسفار كثيرة ، وبتعب أكثر من الجميع، أن يُخلّص على كل حال قوماً ... (١كو٩: ٢٢).

✠ ✠ ✠

وهكذا كل العذارى اللاتى أحببن الرب . فمن هن العذارى ؟

العـذراء هـى النفس التى أحبت الرب ، وليس فى قلبها آخر يشغلها. أقترنت بالله وحده، وليس آخر يشغلها ...

وهكذا قال بولس الرسول عن الكنيسة "خطبتكم لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" . فأصبحت كلمـة (عـذراء) لقباً للكنيسة. ولهذا أيضاً نرى أن جميع الذين ينالون الخلاص قد شبههم الرب بخمس عذارى حكيمات (مت٢٥: ٥).

✠ ✠ ✠

هؤلاء الخمس العذارى رمز لجميع المختارين، رجالاً ونساء، بتوليين ومتزوجين.

فى الكنيسة العذراء يوجد ابراهيم واسحق ويعقوب ، المتزوجون .

كانوا متزوجين ، ولكن نفوسهم كانت عذراء .. لأنها لم تعطِ ذاتها لآخر، لا تحب شيئاً إلى جوار الله .

النفس العذراء تحب الله من كل القلب ومن كل الفكر ...

لا يوجد أحد إلى جوار الله ينافسه فى قلبها، ولا توجد فى داخلها محبة أخرى تتعارض مع محبة الله .

لذلك فإن كلمة (عذراء) استخدمت مجازاً فى الشعر أيضاً ، فقال أحدهم عن أمانيه التى لم تخطر بقلب أحد آخر :

أمانٍ عذارى لم يجلن بخاطرٍ وبعض أمانى القوم شمطاءُ ثيبُ

القلوب العذراى هى التى تفرغت لمحبة الله وحده ...

وقد يسأل البعض : أليس كل إنسان يحب أباه وأمه وأولاده وأصدقاءه وتلاميذه ، نقول إنها محبة داخل محبة الله لا تتعارض معها لا تنافسها ولا تنقصها ...

✠ ✠ ✠

أحبتك العذراى ، لأنها أشتمت من اسمك رائحة الطيب ...

كذلك نرى أن أرواح القديسين رائحتها طيبة . قد تصعد روح إنسان فيمتلئ المكان برائحة بخور، فيشعر الناس أنها روح طاهرة ... كذلك صلوات القديسين تصعد كرائحة بخور إلى الرب . والمحرقات أيضاً كانت رائحة سرور للرب .. كطيب مسكوب ...

فإذا كانت المحرقات رائحة سرور ، فكم يكون الله نفسه ...

إن العروس عندما تزف إلى عريسها يضمخونها بالعطور ، كعروس مهيئة لعريسها (رؤ ٢١: ٢)، وفى سفر أستير نسمع أن الملكة كانت تضمخ بالطيب والعطور مدة سنة كاملة قبل أن يقدموها للملك (إس٢: ١٢).

✠ ✠ ✠

إن الجسد يعطر بالطيب . أما النفس فتتعطر بالفضائل .

أما اسم الله فإنه لا يتعطر ، وإنما هو العطر ذاته .

لا يسكب عليه طيب ، وإنما هو ذاته طيب مسكوب .

كـــل من يدعى عليه هذا الاسم يتعطر وتنتشر رائحته ... لذلك أحبتك العذارى.. فما معنى هذه العبارة؟

✠ ✠ ✠

إن الحياة الروحية بكل تفاصيلها ، تتركز فى عبارة "أحبتك العذراى" .. والملكوت هو نفوس عذارى ، تحب الله وحده ...

لا يوجـــد فـــى الحـــياة الروحـــية سوى الحب .. البعض يظن أن التدين هو العبادة. والبعض يظن أن الحياة الروحية هى الإيمان، أو هى أعمال الرحمة، أو هى نقاوة القلب.. أمـــا الكـــتاب فيعلمنا إن الحياة الروحية هى الحب وليس غير.. "الله محبة: من يثبت فى المحبة، يثبت فى الله، والله فيه" (١يو٤: ١٦).

إن كنت لم تحب الله ، فأنت لا تعيش فى الروح بعد ...

إن شغلت يومك وليلك بالصلاة ، وأنت لا تحب الله، فصلاتك ليست شيئاً . وإن ملأت الدنـــيا كرازة وخدمة وتعليماً ، وأنت لا تحب الله، فقد صرت نحاساً يطن وصنجاً يرن.. (١كـــو١٣: ١). وإن عشـــت فى النسك وأسلمت جسدك حتى يحترق دون أن تذوق محبة الله، فأنت لست شيئاً . الله لا يريد غير الحب فقط ، من نفوس عذارى ...

✠ ✠ ✠

تقـــول له أحبك يارب ، وأحب العالم معك . يقول لك : نفسك ليست عذراء، لأن كل من يحب العالم ليست فيه محبة الآب (١يو٢: ١٥).

أما النفس التى تحب العالم والجسد والمادة والشيطان والذات ، فإنها ليست عذراء، بل مقترنة بخمسة أزواج .. ومحبة العالم تلد أولاداً كثيرين من شهوات متنوعة ...

أمامك إذن سؤالان : هل تحب الله؟ وهل نفسك عذراء ؟

فإن لم تكن نفسك عذراء ، فكيف تصير كذلك ؟ تصير بقولك :

إجذبنى وراءك فنجرى :

أجذبنى وراءك فنجرى .. اجذبنى فأجرى ، ويجرى الكل معى .

سوف لا أمشى وراءك بل سأجرى، بكل قوتى، كما قال رسولك بولس "أركضوا لكى

نتالوا" (١كو٩: ٢٤) وسوف لا أجرى وحدى وإنما سأحضر معى لك ثلاثين وستين ومائة هم ثمرة حبى لك..

إنما المهم يارب أن تجذبنى وراءك ، بدلاً من أن يجذبنى هذا التراب الذى أخذت منه، لأنـــنى تـــراب وربما إلى التراب أعود.. فإجذبنى، إلى محبتك وإلى خدمتك. قل لى "هلم ورائـــى" (مـــت٤: ١٩) كما قلت لبطرس وأندراوس .. ولاشك أن كلمتك ستكون لها قوة عجيبة لا يستطيع أن يقاومها قلبى ...

✠ ✠ ✠

عندما قال الله لمتى العشار "أتبعنى" (مت٩: ٩) لم يكن ذلك مجرد أمر أو دعوة، إنما كانت قوة جاذبية عجيبة شدته من مكان الجباية .

فقام وراءه يجرى ، كما جرى وراءه كل التلاميذ .

كلمة الرب قوية وفعالة ، ومثل سيف ذى حدين، أستطاعت أن تقطع كل الروابط التى تربطه بالعالم، فوجد نفسه قد ترك كل شئ، حتى مسئولياته فى مكان الجباية.

✠ ✠ ✠

أجذبـــنى يارب وراءك بنعمتك. بروحك القدوس، بقوتك، بملائكتك، بكل ما عندك من وسائط روحية ...

وأنـــا سأجرى كما جرى أوغسطينوس الذى تحول من ملحد إلى أسقف قديس، ومثل كثير من الخاطئات اللاتى تحولن مرة واحدة لا إلى تائبات فقط وإنما إلى قديسات ...

لمـــا جذب السيد المسيح إليه التلاميذ الإثنى عشر ، جروا وراءه ومعهم فى أول يوم ثلاثـــة آلاف (أع٢: ٤١)، ثـــم بعد معجزة شفاء الأعرج صار الذين وراءهم خمسة آلاف (أع٤: ٤)، ثـــم أنضـــمت للـــرب جماهير من رجال ونساء. ثم أنضمت إلى الإيمان مدن وقـــرى (أع٨). وكانت عدد الكنائس تنمو وتزداد، والرب فى كل يوم يضم للكنيسة الذين يخلصون (أع٢: ٤٨)...

كانـــت الكنيســـة الأولى تجرى فى طريق الملكوت ، لأن الرب كان قد قال : وأنا إن أرتفعت أجذب إلىّ الجميع (أع٥: ١٤).

١٣

حَبيبى أبيَض وأحمَر

(نش ٥ : ١٠)

إنها أكثر عبارة فى سفر النشيد تناسب "يسوع المصلوب" .

كلمـــة "أبيض" تمثل النقاوة الكاملة والقدسية المطلقة التى يتصف بها هذا الفادى الذى يموت عن العالم كله. بينما كلمة "أحمر" تعبر عن دمه المسفوك على الصليب.

ولنحاول أن نتتبع كلمة (أبيض) ودلالتها .

أبيض :

تدل على مجد الرب ، كما ظهر فى التجلى .

يقول الإنجيل عنه فى قصة التجلى "وتغيّرت هيئته قدامهم. وصارت ثيابه تلمع بيضاء جداً ، كالثلج ، لا يقدر قصّار على الأرض أن يبيّض مثل ذلك" (مر ٩: ٢، ٣) .

أمـــا فـــى أنجيل متى فيقول "فتغيرت هيئته قدامهم. وأضاء وجهه كالشمس. وصارت ثيابه بيضاء كالنور" (مت١٧: ٢) .

✠ ✠ ✠

"حبيبى أبيض" . أبيض كالنور . أو أبيض لأنه نور ...

ويقـــول الكـــتاب إن "الله نـــور" (١يو ١: ٥). "إن جلست فى الظلمة، فالرب نور لى" (مـــى٧: ٨). وهو نفسه قال "أنا نور العالم" (يو٨: ١٢) . وقيل عنه فى إنجيل يوحنا إنه "النور الحقيقى الذى يضئ لكل إنسان" (يو ١: ٩) .

لذلك فالمؤمنون به يدعون "أبناء النور" (يو١٢: ٣٦) .

عبارة "حبيبى أبيض" حينما تُقال عن الله ، إنما ترمز إلى طبيعته إذ هو نور، وكذلك ترمز إلى قداسته. كذلك إلى خدامه من الملائكة، وأبنائه من البشر الصالحين المفديين، والبشر من الكهنة ومن التائبين.

✠ ✠ ✠

كذلك اللون الأبيض يرمز إلى وقار الله وإلى أزليته .

يقول دانيال النبى فى إحدى الرؤى "وجلس القديم الأيام: لباسه أبيض كالثلج، وشعر رأسه كالصوف النقى، وعرشه كلهيب نار ." (دا٧: ٩) . نلاحظ هنا ورود اللونين الأبيض والأحمر معاً، لأن النار حمراء .

ونلاحظ نفس الوصف تقريباً فى رؤيا يوحنا اللاهوتى ، إذ يقول فى ظهور الرب له "وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف النقى كالثلج. وعيناه كلهيب نار. ورجلاه شبه النحاس النقى، كأنهما محميتان فى أتون" (رؤ١: ١٤، ١٥) .

حقاً "حبيبى أبيض وأحمر" فى التجلى ، على الصليب ، فى الرؤيا ...

✠ ✠ ✠

الملائكة أيضاً يتصفون باللون الأبيض كملائكة من نور (٢كو١١: ١٤) .

قيل عن ملاك القيامة الذى دحرج الحجر "كان منظره كالبرق ، ولباسه أبيض كالثلج" (مت٢٨: ٣). وقيل عن ملاك آخر إنه كان "لابساً حلة بيضاء" (مر١٦: ٥). وفى وعد الرب فى سفر الرؤيا أنه قال "من يغلب، فذلك سوف يلبس ثياباً بيضاً، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة" (رؤ٣: ٥) .

اللون الأبيض هو أيضاً يميز القديسين وخدمة الكهنوت :

لأنه يدل على النقاوة والقداسة . فالكهنة والشمامسة فى خدمة المذبح يلبسون ملابس بيضاء . وقال الرب عن المفديين إنهم "بيّضوا ثيابهم فى دم الخروف" . إنهم "المتسربلون بثياب بيض" الذين أتوا من الضيقة العظيمة (رؤ٧: ١٤، ٩، ١٣) . وقيل نفس الوصف أيضا عن الأربعة والعشرين قسيسا حول عرش الله ، أنهم كانوا "متسربلين بثياب بيض" (رؤ٤: ٤).

تضم إلى كل أولئك التائبين .

الذين وعدهم الرب قائلاً "إن كانت خطاياكم كالقرمز، تبيض كالثلج" (أش١: ١٨).

هؤلاء الذين ينطبق عليهم قول المرتل في مزمور التوبة "إغسلني، فأبيضّ أكثر من الثلج" (مز٥١: ٧). التائب هو أيضاً "حبيب أبيض" .

✠ ✠ ✠

فإن كنت تحب الله ، كن أبيض مثله ، بقلب أبيض ...

بفكـــر أبـــيض ، وألفاظ بيضاء ، ومشاعر بيضاء . إن كنت بهذا الوصف الأبيض ، يمكنك أن تتناول من الأسرار المقدسة .

القديس موسى الأسود : لما سيم كاهناً، ولبس ملابس الخدمة البيضاء ، قالوا له "ها قد صرت أبيض كلك" . فأجابهم "حبّذا لو كان هذا من الداخل أيضاً" .

✠ ✠ ✠

لذلك حذّر الكتاب من الإقتصار على البياض الخارجي وحده !

فالكتبة والفريسيون المراؤون شبههم الرب بقبور مبيضة تبدو من الخارج جميلة، ومن الداخل عظام نتنة (مت٢٣: ٢٧) .

وقـــد قال القديس بولس الرسول لرئيس كهنة اليهود الذى أمر بضربه مخالفاً للناموس "سيضربك الله أيها الحائط المبيض" (أع٢٣: ٣) .

تحدثنا عن كلمة (أبيض) . فلنتدرج إذن إلى كلمة (أحمر) :

أحمر :

حبيبى أحمر : أحمر لأنه نار ، كما قيل "إلهنا نار آكلة" (عب١٢: ٢٩) . كذلك قد شبّه الروح القدس بالنار ، وقد حلّ على التلاميذ يوم الخمسين بألسنة كأنها من نار (أع٢: ٣).

إلهنا نور ، ونار . أبيض وأحمر .

✠ ✠ ✠

والسيد المسيح كان أبيض فى وداعته ، وأحمر فى حزمه .

كـــان أبـــيض ، وهـــو القدوس المولود من العذراء (لو١: ٣٥) . وأحمر وهو الحمل المذبوح عن العالم، بثياب محمرة ، قد داس بها المعصرة وحده (أش٦٣: ٢، ٣) .

رآه يوحـــنا فـــى أول ســـفر الرؤيا "رأسه وشعره أبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار" (رؤ١: ١٤). ولعل يوحنا قال فى قلبه حينا رآه "حبيبى أبيض وأحمر".

أنـــا يارب أتحير : كيف تجمع وداعتك المحببة إلى النفس، وبين عينيك اللتين كلهيب

نـــار، اللتين – كما روى التقليد – قال عنهما بيلاطس البنطى فى وصف يسوع الناصرى "ما كان أحد يستطيع أن ينظر طويلاً إلى عينيه" من عمق هيبتهما ...

✠ ✠ ✠

صـــفاتك يارب لا تتناقض.. فى رحمتك أبيض ، وفى عدلك أحمر . ورحمتك وعدلك لا ينفصلان . أنت رحيم فى عدلك، وعادل فى رحمتك .

فيك يمتزج اللونان الأبيض والأحمر ، كالخمر ...

لذلـــك قـــيل أيضاً فى سفر النشيد إن "حبك أطيب من الخمر" (نش١: ٢) . يمتزج فيه الحنو الأبيض بالحزم الأحمر، الجاذبية بالهيبة ، العطف بالتأديب .. مثلما وبخ بطرس بعد القـــيامة، فى حنو عجيب: يناديه باسمه العلمانى "سمعان بن يونا" ، وفى نفس الوقت يقول له "إرعَ غنمى" "إرعَ خرافى" . ويسأله ثلاث مرات "أتحبنى أكثر من هؤلاء؟!" حتى حزن بطرس . وفى نفس الوقت يمنحه عمل الرعاية .. (يو٢١: ١٥– ١٧) .

✠ ✠ ✠

أنـــت يارب أبيض على الصليب. أبيض فى قداستك، لا تستحق الموت . وأنت أحمر فى دمك المراق عنا، كحامل لخطايانا .

وهـــذا الفـــداء العظـــيم تظهر له صورتان : إحداهما فى المعمودية فى العهد الجديد، والأخرى فى خيمة الإجتماع فى العهد القديم .

✠ ✠ ✠

★فى المعمودية نرى المعمدّ بملابس بيضاء مع شريط أحمر (الزنّار) .

فالملابس البيضاء تشير إلى الحياة الجديدة التى نالها فى المعمودية (رو٦: ٤) "بغسل المـــيلاد الثانى، وتجديد الروح القدس" (تى٣: ٥). أما الشريط الأحمر (الزنار) فيشير إلى دم المسيح، الذى باستحقاقه ينال المعمد التبرير وغفران الخطايا (أع٢: ٣٨) (أع٢٢: ١٦)

أما فى خيمة الإجتماع ، فكان الدم يرش على جدرانها وعلى مذابحها ، دليلاً على أنه بهذا الدم الأحمر ينال مقدم الذبيحة الحياة البيضاء بالتوبة. وهو نفس معنى قول المزمور "إنضح علىّ بزوفاك فأطهر. واغسلنى فأبيض أكثر من الثلج" (مز٥١: ٧) .

الـــزوفا كانـــت نوعـــاً مـــن العشـــب ، يُرش به الدم الأحمر . فتصير الحياة بيضاء بالمغفرة. وهكذا يُولد الأبيض من الأحمر .

✠ ✠ ✠

والذى يرشه الرب بزوفاه ، يقول عنه "حبيبى أبيض وأحمر" .

هذا ما قصده المرنم فى مزمور التوبة (مز ٥١). وهو نفس المعنى الذى كُتب فى سفر الرؤيا "بيضوا ثيابهم فى دم الخروف" (رؤ٧: ١٤) .

هـذا الـدم الأحمـر ، جعل ثيابهم بيضاء . يغتسل الخاطئ فى الدم الأحمر (أى فى الفداء)، فيصير أبيض (أى نقياً من كل خطاياه) .

حياة كل إنسان فينا ، هى قصة الأبيض والأحمر معاً .

صـار كـل منا أبيض نقياً، بواسطة الدم الأحمر الذى يطهره. كما قال القديس يوحنا الرسـول فى رسالته الأولى عن الله الآب "ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (١يو١: ٧) .

كـل تائـب بـيّض ثيابه فى دم الخروف ، ونضح الله عليه بزوفاه فصار أبيض من الـثلج.. هـو أبيض بالمغفرة التى نالها ، وأحمر فى الدم المسفوك عنه، الذى اغتسل به. يراه الرب من على الصليب ويقول "حبيبى أبيض وأحمر" .

✠ ✠ ✠

كانت الخطية فى العهد القديم تُشبه أحياناً اللون الأحمر :

وهكـذا قـيل فى سفر اشعياء النبى "إن كانت خطاياكم كالقرمز ، تبيضّ كالثلج. وإن كانـت حمـراء كالدودى ، تصير كالصوف" (أش١: ١٨). إذن الخطية حمراء كالقرمز الأحمر، الذى يظهر فى عين الغضوب المملوءة دماً ...

ونجد أن عيسو الخاطئ خرج من بطن أمه "أحمر كله" (خر٢٥: ٢٥) .

لـون الخطية الأحمر ، حمله المسيح نيابة عنا . إذ "ألبسوه رداء قرمزياً" (مت٢٧: ٢٨) بلون الخطية القرمزى (أش١: ١٨) .

وإذ نراه فى نقاوته البيضاء يحمل عارنا، نقول عنه "حبيبى أبيض وأحمر" . لقد صار القدوس الذى بلا خطية حاملاً لكل خطايانا، وغطاه بالدم الكريم الأحمر .

✠ ✠ ✠

وكان اللون الأحمر يرمز أحياناً إلى ثياب الملوك .

وإذ ألبسـوه فى صلبه ثياب الملوك – سخرية منهم – فإنه فى الحقيقة صار فى صلبه ملكـاً علينا . امتلكنا إذ اشترانا بدمه (١كو٦: ٢٠). فى دمه رآه اللص التائب ملكاً . فقال له "اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك" (لو٢٣: ٤٢) .

هوّذا تخت سليمان، حوله ستون جبّاراً

(نش٣ : ٧)

نـــود أن يكون تأملنا اليوم فى قول الوحى الإلهى فى سفر النشيد: "تخت سليمان حوله ستون جباراً من جبابرة إسرائيل. كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل" (نش٣: ٧، ٨).

سليمان رمز للمسيح :

لأن كلمة (سليمان) معناه "رجل سلام" . وقد قيل عن السيد المسيح إنه "رئيس السلام" (أش٩: ٦) وإنـــه هـــو سلامنا (أف٢: ٤). وهو الذى قال "سلامى أترك لكم. سلامى أنا أعطـــيكم" (يـــو١٤: ٢٧). وهـــو الذى صنع سلاماً بين السماء والأرض، ونقض الحائط المتوسط أى العداوة (أف٢: ١٤، ١٧) .

وسليمان كان يمثل الحكمة. والمسيح هو أقنوم الحكمة. هو "حكمة الله وقوة الله" (١كو ١: ٢٤). ســـليمان هو ابن داود البانى للهيكل. والمسيح هو ابن داود، وهو ابن الله الذى بنى الكنيسة هيكل الله القدوس (١كو٣: ١٦) .

✠ ✠ ✠

★عبارة "تخت سليمان" تعنى عرشه، ويرمز إلى عرش المسيح .

حولـــه ســتون جباراً من جبابرة إسرائيل . وكلمة (إسرائيل) هنا ترمز إلى الكنيسة المقدسة.

عرش الله إذن ، حوله الجبابرة، أى النفوس القوية .

التى حاربت حروب الرب، وأنتصرت على العالم والجسد والشيطان .

أما النفوس الضعيفة التى لم تثبت فى حروبها الروحية، فليس لها نصيب حول عرش الله. الإنســان الضــعيف، الذى مجرد شهوة تحطم قلبه وإرادته وفكره. هذا لا يمكن أن يكون من الجبابرة المحيطين بعرش الله .

✠ ✠ ✠

★العجيــب أيها الأخوة الأحباء أن سفر العدد الذى أمر الله فيه بعدّ خاصته، لم يدخل فى ذلك التعداد أو (الإحصاء) جميع الناس .

إنما أمر الله بإحصاء النفوس القادرة على القتال، القادرة على حمل السلاح، أى "كل خارج للحرب" (عد١: ٢، ٣) .

هــؤلاء هــم الجبابرة . كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخــذه مــن هــول الليل. من هول الظلام، من هول الأخطار. من هول الشهوات ومحبة العالم.

فإن حاربك فى أحد الأيام فكر من الأفكار، واستسلمت له، لا تكون حينئذ جباراً متعلماً الحرب. بل تكون إنساناً قد القى سلاحه وانطرح أمام العدو على الأرض .

✠ ✠ ✠

★الإنســان المتعلم الحرب، هو إنسان خبير بالأفكار ، خبير بحروب العدو، كما قال القديس بولس الرسول "نحن لا نجهل أفكاره" (٢كو٢: ١١) .

بــل نعرف خداع الشيطان، ونميّز الأرواح (١يو٤: ١) هل هى من الله أم من العدو.. وهــذه الحرب قد شرحها القديس بولس فى رسالته إلى أهل أفسس فقال: "إن مصارعتنا ليســت مــع لحم ودم.. بل.. مع أجناد الشر الروحية" (أف٦: ١٢) . مع الشياطين ، مع الجسد، مع كل قوة العدو .

✠ ✠ ✠

ما أجمل قول ملاك الرب لجدعون "الرب معك يا جبار البأس" (قض٦: ١٢) .

حقــاً إن السماء لا يصل إليها فيما بعد إلا جبابرة البأس الذين أنتصروا فى الحروب.

الذين يرتلون مع جموع الغالبين: "شكراً لله الذى يقودنا فى موكب نصرته" (٢كو٢: ١٤).

ستون جبّاراً :

لماذا أختار هذا الرقم (٦٠) ؟ وإلى أى شئ يرمز ؟

ستون = ١٠×٦ . والرقم ١٠ يرمز إلى الكمال ، وإلى الوصايا .

والـرقم (٦) يرمز إلى إتمام العمل. فالله قد أتم عمله فى الخلق فى ستة أيام. والسيد المسـيح أتم عمله فى الفداء فى اليوم السادس . وفى الساعة السادسة . والإنسان يتمم كل عمله فى ستة أيام، ويستريح فى اليوم السابع حسب الوصية ...

★فمادام الرقم (٦) يرمز إلى أتمام العمل، والرقم (١٠) يرمز إلى الكمال والوصايا، إذن الرقم (٦٠) يرمز إلى كل من تمموا عملهم فى وصايا الرب فى كمال .

✠ ✠ ✠

فإن سألت وقلت : هل حول عرش الله ستون جباراً فقط؟

نجيـب إنمـا هذا الرقم هو رقم رمزى ، يرمز إلى كل جبابرة الروح الذين كملوا فى الإيمان، الكاملين فى قوتهم ، الكاملين فى جهادهم وفى إنتصارهم.. لا نقصد الجبابرة فى أجسادهم أو فى قوتهم الجسدية، بل الجبابرة فى أرواحهم ، حتى لو كانوا صغاراً .

✠ ✠ ✠

★داود النبى – أمام جليات – كان جباراً وهو فتى صغير .

كـل الجـيش خـاف . ولكـنه كان الوحيد الذى لم يخف. وتقدم لمحاربة جليات فى جـبروت، فى الوقت الذى خاف فيه شاول الملك (١صم ١٧: ١١) وكان أطول من جميع الشعب (١صم١٠: ٢٣) .

شـاول الملك الذى كان جباراً فى جسده، لم يكن جباراً فى روحه . "فبغته روح ردئ من قبل الرب" (١صم١٦: ١٤)، وكان يصرعه . والذى كان ينقذه من ذلك الروح الردئ، كان داود الصغير أحد الجبابرة الذين حول العرش. كان داود جبار بأس وفصيحاً ورجلاً جميلاً، والرب معه (١صم١٦: ١٥). وهذه العبارة الأخيرة كانت سر جبروته .

★داود الجـبار كانـت تخافـه الشـياطين . يكفى أن يضرب على عوده، أو يصلى مزاميره، حتى تهرب الشياطين مرتعبة ...

جبار ، له سلطان على الشياطين !!

✠ ✠ ✠

★نـــريد فـــى الكنيســـة مجموعة من هؤلاء الجبابرة الذين تخافهم الشياطين . ليتكم تستعرضـــون فى تاريخ الكنيسة القديسين الذين كان لهم سلطان على الشياطين .. تذكروا قصـــة ذلـــك القديـــس الذى أتى شيطان لمحاربته، فربطه خارج القلاية. تذكروا القديس أبســـوذورس الذى قالت له الشياطين : أما يكفيك أننا لا نستطيع أن نمرّ على قلايتك، ولا علـــى القلاية التى إلى جوارك. وأخ واحد فى البرية، جعلته بصلاتك يتعدى علينا النهار والليل؟!

✠ ✠ ✠

وأنـــت يـــا أخـــى إن كنت تخاف الشياطين، أتستطيع أن تحسب نفسك من الجبابرة المحيطين بالعرش الذين لهم سلطان على كل قوة العدو؟!" (لو ١٠: ١٩) .

هل تكون جباراً ، إن أمتلك الشيطان إرادتك، أو كان يقدر أن يغريك بخطية ويستولى علـــى نفسك؟! لا تظن أن الشيطان كريماً فى عطائه، يعطى بلا مقابل!! كلا، فهو يعطيك مـــا تشـــتهيه فـــى مقـــابل أن يأخذ كل ما عندك، أو أسمى ما عندك: روحك وأبديتك..! الشـــيطان لا يقبل على نفسه أن يدخل فى صفقة خاسرة. إنه دائماً يأخذ أكثر مما يعطى. أرباحه أكثر من مصروفاته.. وهكذا يفعل مع الذين يلجأون إلى السحر مثلاً ...

✠ ✠ ✠

★عجيـــبة هـــى صورة الملاك ميخائيل، وسيفه فى يده، وهو يدوس على الشيطان بقدمه.. لاشك أنه أحد الجبابرة الذين حول العرش ...

وأنت ، أتريد أن تكون جباراً فى محاربة الشياطين ؟ .

إنك تكون كذلك ، إن لم تكن لك شهوة يحاربك الشيطان بها .

إن الشيطان يتحسس حياتك الروحية، محاولاً أن يعرف نقط الضعف فيك لكى يحاربك بهـــا. إنـــه يختبر الأرض وصلابتها التى سيضرب فيها بمعوله . يرى أين توجد الأرض الرخوة واللينة التى يتخذها ميداناً لعمله فيشققها كما يشاء . أما الصلبة فلا يقترب منها .

✠ ✠ ✠

★هناك جبابرة وقفوا ضد الشيطان فى قتالهم لأجل الفضائل .

خـــذوا فضيلة العفة مثلاً . وكيف كان من جبابرتها يوسف الصديق، وسوسنة العفيفة وأمثالهما.. دانيال النبى والثلاثة فتية كانوا فى قصر الملك، ورفضوا أن يأكلوا من أطايبه ومن خمر مشروبه (دا١: ٨)، بل رفضوا معبوداته. ولم يخف دانيال من أن يلقى فى جب

الأسود (دا٦: ١٦) ولا الثلاثة فتية خافوا من إلقائهم فى أتون النار (دا٣: ١٧) .

إنهم جبابرة لا يعرفون الخوف . كلهم قابضون سيوفاً ومتعلمون الحرب .

✠ ✠ ✠

★الشهداء القديسون أيضاً كانوا جبابرة لا يعرفون الخوف .

وقفـــوا أمـــام الأباطرة والملوك والولاة والحكام . وقفوا أمام الحرق والشنق والعصر والجلد والتمزيق والتعذيب وكل صنوف الإضطهاد، ولم يبالوا – كان إيمانهم وثباتهم أقوى من العذاب .

هناك جبابرة آخرون فى عالم النسك : فى الصلاة والسهر والوحدة ، فى العبادة وفى التجرد ، مثل سكان البرية من المتوحدين والنساك والسواح ...

أرســـانيوس الجـــبار ، كان يقف متجهاً إلى الشرق ، والشمس وراءه وقت الغروب. ويظـــل ســـاهراً طول الليل، حتى تظهر الشمس أمامه فى أول النهار.. إنه جبار . بينما آخرون لا يستطيعون أن يصمدوا فى السهر، وحالما يحاربهم النوم، يتركون صلاتهم .

أيـــن هـــؤلاء مـــن الجـــبابرة الذين حول العرش ، الذين مثالهم : القديس مكاريوس الإســـكندرانى، الجبار فى سهره. الذى تحدث عن حروبه من جهة السهر فقال: حوربت مـــرة بالـــنوم ونمت. فصممت أن أقاتل النوم . وبقيت ٢١ يوماً لا أطبق جفناً على جفن، حتى شعرت أن مخى قد نشف .

✠ ✠ ✠

جبابرة آخرون لم يسمحوا لأية قوة أن تفصلهم عن الرب .

مـــثل القديس بولس الرسول الذى قال "من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ .. إننى متيقن أنه لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلة، ولا علو ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا" (رو٨: ٢٥– ٢٩) .

إن ملكوت السموات ، لا يدخله إلا جبابرة الروح .

★ولكنـــنا للأسف الشديد ، كثيراً ما نحاول أن نكون جبابرة على الناس، ولا نكون جبابرة فى تعاملنا مع أنفسنا!!

بينما يقول الكتاب "مالك روحه خيرٌ ممن يملك مدينة" (أم١٦: ٣٢) .

✠ ✠ ✠

★أنبا بولا السائح كان جباراً في الوحدة . قضى ثمانين سنة لا يرى فيها وجه إنسان، ولا يتعزى بكلام الناس ، إنما عزاؤه بالله وحده .

★هناك أشخاص آخرون كانوا جبابرة في الصوم، منهم من عاش ثلاثين سنة لا تبصره الشمس آكلاً. ومنهم من عاش عمره كله نباتياً، لا يأكل لحماً طول حياته . ومنهم من كان يطوى الأيام، لا يأكل شيئاً فيها ولا يشرب .

هكذا كان جبابرة الصوم . أما في جيلنا هذا، فما أكثر الكنائس التي خفضت الأصوام أو كادت تلغيها ، بحجة الإشفاق على الناس !!

★آباؤنا كانوا أيضاً جبابرة في حفظ آيات الكتاب المقدس .

كانت الآيات تجرى على ألسنتهم بمنتهى السهولة. لدرجة أن أحد العلماء قال: "لو ضاع الكتاب المقدس ، لأمكن جمعه من كتابات الآباء" ...

✠ ✠ ✠

كانوا جبابرة في الصمود . لا يستطيع أحد أن يثيرهم ...

يوجد أشخاص ضعفاء ، يُثارون بسرعة . تثيرهم أية كلمة يظنون أنها تجرح مشاعرهم . بل تثيرهم حتى كلمات المديح والإعجاب، فتحرك فيهم محبة المجد الباطل . يثيرهم أي منظر جنسي.. أقل شئ يعتبرونه عثرة!

مساكين هؤلاء – إنهم ليسوا من النوع الذي يقف حول عرش الله .. ليسوا كالجبابرة الذين حول تخت سليمان .

✠ ✠ ✠

إنني أريدكم يا أخوتي أن تكونوا جبابرة في حروب الرب .

لاشك أن الملائكة عندما تصف الكنيسة المقدسة، وما فيها من أبرار لم تهزهم مغريات العالم، ولم تتعبهم حروب الشياطين ، يقف ميخائيل رئيس الملائكة، وفي يده قيثارة ذهبية، وينشد مع ملائكته : "تخت سليمان حوله ستون جباراً.." .

١٥

جَبَابرة .. متعَلمون الحَرب
قابضون سيُوفاً .. مِن هول الليل

(نش ٣: ٧، ٨)

جَبَابرة الروح :

الذين يحبون حياة الروح، ينبغى أن يكونوا جبابرة فيما يخوضونه من حروب روحية، ضد الشيطان وكل قواته الشريرة .

يخيل إلىّ أنه حينما يرسل الشيطان واحداً من جنوده ليحارب أحد هؤلاء الجبابرة القديسين، يصرخ ذلك الشيطان فى فزع :

"أتريد أن يحرقنى بنار؟! لست أستطيع أن أذهب لمقاتلة هذا الإنسان الذى سيقابلنى بسلاح الله الكامل.. بسيف الروح، وخوذة الخلاص، ودرع البر، وترس الإيمان.. بكلمة الله، وما يرفعه من صلاة وطلبة بكل مواظبة (أف٦: ١٣- ١٨) . إبعدونى عن محاربة أمثال هذا الجبار، فلست كفؤاً له ..

✠ ✠ ✠

إنهم جبابرة . كلهم حاملون سيوفاً ، ومتعلمون الحرب. وفى استعداد كامل ليستل كل

واحد سيفه من على فخذه من هول الليل .

وقـد شرح القديس بولس الرسول هذه الحرب الروحية، ودعا إلى الإستعداد لها فى رسالته إلى أفسس فقال :

أخـيراً يا أخوتى ، تقووا فى الرب، وفى شدة قوته. ألبسوا سلاح الله الكامل، لتقدروا أن تثبـتوا ضـد مكـايد إبليس. فإن مصارعتنا ليست مع لحم ودم.. بل مع أجناد الشر الروحـية فى السماويات .. من أجل ذلك أحملوا سلاح الله الكامل، لتقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير. وبعد أن تتمموا كل شئ أن تثبتوا . فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق.." (أف ٦: ١٠- ١٤).

ومـن أهمـية هذه النصيحة الرسولية، يقرأ هذا الفصل من رسالة معلمنا بولس، فى طقس رسامة الرهبان الجدد الذين يستعدون لخوض حرب روحية ضد الشيطان بكل حيله الرديـئة، الماكرة والعنيفة. على أن هذه النصيحة التى يقولها القديس بولس تصلح لجميع الناس فى حياتهم الروحية .

✠ ✠ ✠

حاملون سيوفاً :

مـادام الشـيطان لا يترك أولاد الله فى هدوء، بسبب حسده لهم على سلوكهم الطريق الروحى، إذن ينبغى أن يكونوا ساهرين باستمرار ومستعدين لقتاله. وهم يحملون سيوفهم الروحية. فشيطان يحاول أن يضللك، تحاربه بسيف الحكمة. وإن أنتصرت عليه وحاربك بالكـبرياء، تلاقـيه أنت بسيف الإتضاع. وفى كل ما يقدمه لك من أفكار، تحاربها بسيف كلمة الله فى إفراز، وأيضاً بأقوال القديسين وخبراتهم فى مقاتلة الشياطين .

✠ ✠ ✠

عموماً يمكنك أن تستخدم سيف الصلاة ففيه قوة الله . وكذلك سيف الجهاد والتغصب، ففيه رفضك للخطية ومصارعتك ضدها. وتذكر قول المزمور:

"تقلّـد سـيفك علـى فخذك أيها الجبار. استلّه وأنجح وأملك" (مز ٤٥: ٣). وعبارة "سيفك على فخذك" تعنى الإستعداد .

ليس هو سيفاً معلقاً فى خزانة الأسلحة، إنما هو على فخذك، كهؤلاء الجبابرة. تستطيع أن تستلّه فى أى وقت، وتحارب حروب الرب فى يقظة دائمة واستعداد.. فمثلاً كلمة الله التى تردّ بها على كل حرب روحية، ليست هى فى كتبك ومكتبك، إنما هى ذهنك، وفى ذاكرتك باستمرار، تستخدمها وأنت تتذكر قول داود النبى للسيد الرب "لو لم تكن شريعتك هى تلاوتى، لهلكت حينئذ فى مذلتى" (مز ١١٩) .. إنها سيف على فخذك ...

إنك لا تسمح للخطية أن تحاربك، وأنت فى حالة غفلة أو تهاون .

فأولاد الله : كل واحد سيفه على فخذه ، من هول الليل .

✠ ✠ ✠

هَول الليل :

والليل يشير إلى الظلام، كرمز إلى الخطية وحروبها الخفية، حيث لا نور ولا حرارة.

فيكون هذا وقتاً مناسباً لعدو الخير يهجم فيه. وقد يعنى الليل وقت النوم، حيث لا يكون الإنسان منتبهاً لحرب تأتيه وهو غير منتبه لها وغير مستيقظ . هذا هو هول الليل، هول الخطايا التى تأتى فى الظلام ولا تتنبه النفس لها، لأن البصيرة الروحية غير قوية .

أما أولئك الجبابرة، فهم ساهرون، متنبهون، كل واحد سيفه على فخذه من هول الليل. كالرعاة فى قصة ميلاد الرب، الذين قيل عنهم إنهم:

"يحرسون حراسات الليل على رعيتهم" (لو٢: ٨) .

✠ ✠ ✠

لذلك لا تطمئن من جهة الحرب الروحية، بل تقلد سيفك على فخذك .

لا تهمل فى احتياطاتك . لا تقل إنك الآن فى حالة قوة، وقد مرّت عليك أسابيع لم تسقط خلالها!! فأنت لا تعرف متى يحاربك الشيطان، وفى أية خطية، وكيف؟!

ليكن سيفك إذن على فخذك من خوف الليل، من الحرب المجهولة فى نوعها وفى موعدها. لتكن صلاتك باستمرار فى قلبك وعلى لسانك. ولتكن كلمة الله فى ذهنك وذاكرتك . ولتكن تداريبك الروحية سائرة فى حزم كل حين. لا تُلقِ سلاحك عنك.. بل

كن قابضاً على سيفك من هول الليل...

✠ ✠ ✠

ليتـــنا نكون من هؤلاء الجبابرة، القابضين على سيوفهم ، حتى يمكن أن يقودنا الله فى موكب نصرته (٢كو٢: ١٤) متجاوبين مع نعمته .

ليتـــنا نكون من أولئك الغالبين الذين طوبهم الرب وأعطاهم وعوده (رؤ٢، رؤ٣).. لا نـــنهزم فـــى الحروب. وإن انهزمنا فى معركة، ننتصر فى المعركة التى تليها، قائلين مع النـــبى "لا تشـــمتى بـــى يا عدوتى. فإنى إن سقطت، أقوم" (مى٧: ٨). و"الحرب للرب" (١صـــم١٧: ٤٧). "وليس عند الله مانع من أن يخلص بالكثير أو بالقليل" (١صم١٤: ٦). والله قادر أن ينصرنا على الرغم من ضعفنا...

غير أنه يجب أن تكون لنا خبرة بالحروب الروحية .

✠ ✠ ✠

فقد قيل عن أولئك الجبابرة القابضين على سيوفهم إنهم :

متعلمون الحرب :

أى أن لهـــم درايـــة بالحروب الروحية. لا يجهلون حيل الشيطان، بل يعرفون أفكاره (٢كو٢: ١١). يعرفون من أين تأتى الخطية؟ وما وسيلة مقاومتها؟

إن حـــاربك الشيطان بالكسل ، تقاتله بالتغصب. وإن حاربك بالمجد الباطل، ترد عليه بـــتذكر خطاياـــاك وضعفاتك. وإن حاربك باليأس، تتذكر مراحم الله التى لا تُحصى. وإن حاربك بصعوبة الطريق. تذكر عمل الروح القدس، والمعونة الإلهية التى تمنحها النعمة. وأنت لست وحدك .

✠ ✠ ✠

أحـــد القديسين كان – إذا حاربه الشيطان بالمجد الباطل – يقول : ألعلى بلغت ما بلغه الأنـــبا أنطونيوس أو الأنبا بولا؟! إننى إنسان خاطئ مهمل فى روحياتى.. وإن قال لـــه الشـــيطان : "أنت إنسان خاطئ، وأجرة الخطية هى موت".. يجيبه "وأين ذهبت مراحم الله الذى يغفر للخطاة؟!" . فكانوا يتعجبون منه قائلين : "إن رفعناك، إتضعت، وإن وضعناك إرتفعت!!" .

✠ ✠ ✠

إنه واحد من المتعلمين الحرب . يعرف نوع السلاح الصالح لاستخدامه فى كل نوع من أنواع الحروب .

الإنسان المتعلم الحرب، يعرف ضربات اليمين وضربات الشمال ...

يعرف متى يصمت ومتى يتكلم؟ متى يأكل ومتى يصوم؟ يعرف الطريق الوسطى التى خلّصت كثيرين. ومتى يقف فى موقف سليم، بين الإفراط والتفريط.

يقول القديس بولس الرسول "فى كل شئ وفى جميع الأشياء، قد تدربت أن أشبع وأن أجوع. أن استفضل وأن أنقص" (فى٤: ١٢).

✠ ✠ ✠

هـناك أشخاص ليسوا فقط متعلمين الحرب، وإنما صاروا بالأكثر قادة فى الحروب. يشرحون لغيرهم الطريق، ويرشدونهم فيه .

القديـس مار أوغريس لـه كتاب عن محاربة الأفكار، يشرح فيه أنواع الأفكار: التى من الله، والتى من النفس ، والتى من الشيطان. ويشرح طريق الرد على كل فكر خاطئ، مستخدماً آيات الكتاب .

وثـيوفان الناسـك له كـتاب عن "الحروب الروحية" . والقديس يوحنا الأسيوطى له مقـالات عديدة فى هذا المجال . وكذلك ماراسحق ، والشيخ الروحانى لهما ميامر كثيرة تحـت عنوان "رؤوس المعرفة" يشرحان فيها معرفة الطريق الروحى، ويعلمان أولادهما الحرب .

✠ ✠ ✠

والقديس الأنبا أنطونيوس كان يعلم أولاده "الإفراز" .

أى التمييـز والمعـرفة ، لكى يتعلموا الحرب. وفى إحدى المرات قال لتلميذه القديس بولـس البسـيط الذى كان يسكن إلى جواره "اذهب واسكن بعيداً فى مغارة وحدك، لكى تختبر حروب الشياطين" . والقديس يوحنا الرسول يكتب لنا ويقول "لا تصدقوا كل روح. بـل إمتحـنوا الأرواح هل هى من الله" (١يو٤: ١). وكذلك القديس بولس الرسول نصح الـناس ألا يـنخدعوا بحيل الشياطين ومناظرهم. "لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه

ملاك نور" (٢كو١١: ١٤) .

✠ ✠ ✠

وكان هذا هو عمل المرشدين الروحيين وآباء الإعتراف :

يجلس معهم المبتدئ لكي يتعلم الحرب، ويميز الأرواح، ويفصل الجداء من الخراف" (مت٢٥: ٣٢). ويعرف صوت الله من صوت عالى (١صم٣: ٤- ١٠). بل يعرف أيضاً الأحلام والرؤى : وهل هى من الله؟ أم من الشيطان؟ أم من مصدر آخر؟ ويعرف نوع السلاح الذى يستخدمه فى كل حرب روحية ...

✠ ✠ ✠

الإنسان المتعلم الحرب ، يتفادى السقوط . وإن سقط، لا يسقط بسرعة. بل بسرعة يقوم. ولا يتكرر سقوطه . ويكتسب درساً من كل سقطة .

كما قال أحد القديسين : "لا أتذكر أن الشياطين أطغونى فى خطية واحدة مرتين" .. والمتعلم الحرب له خبرات فى الحياة الروحية. لقد درس الطريق وعرف علاماته ومعالمه. ويستطيع أن يرشد غيره فى الطريق .

✠ ✠ ✠

الشيطان حيله كثيرة وماكرة . ولكنها مكشوفة أمام المتعلمين الحرب .

إنهم لا يجهلون حيله ، بل يدركونها من بعيد مهما لبست ثياب الحملان (مت٧: ١٥). يعرفون وسائله وطرقه وأساليبه . ويستنتجون مواعيد هجومه. كل خططه مكشوفة أمامهم. مخابراتهم الحربية تدرك كل أعماله، وتعرف كل جنوده . هؤلاء هم المتعلمون الحرب، الذين يربطون الشيطان أو يطردونه. ولا يكون له موضع فيهم .

والقديسون يتعلمون الحرب: لا بطول مدتها، وإنما بعمق خبرتها :

يتعلمون الحرب بالحرب ، وبالتدقيق والحرص ، وبالمعرفة والحكمة . وبما يكشفه لهم الرب . وبما يمتصونه من روح الآباء والمعلمين والمرشدين ، بكثرة المشورة . وبما يأخذونه من التأمل . وبما يمنحهم الرب إياه من حكمة نازلة من فوق (يع٣: ١٧) .

١٦

أين ترعى؟ أين تربض وقت الظهيرة؟

إنـــه نداء من النفس البشرية ، التى بعدت عن حظيرة الرب ، ولكنها ما تزال تحبه وتبحث عن طريقه ...

فهى تناديه قائلة : أين ترعى ؟ أين أجدك ؟ أين الطريق إليك "يا من تحبه نفسى" .

أنا – وإن بعدت عنك بالعمل – لم أبعد عنك بالحب .

ما أزال أحن إليك ، وأشتاق إلى الأيام التى عشتها معك، وأسأل أين أنت؟ كيف أصل إليك؟ أين ترعى؟ وأين تربض وقت الظهيرة .

✠ ✠ ✠

وقت الظهيرة :

"وقـــت الظهـــيرة" ، عندما تشتد حرارة الحر ، ولا تستطيع الطبيعة أن تحتمل، أين أجـــدك لتحمينى من ضربة الشمس بالنهار؟ هذه الشمس التى لوحتنى ، فصرت سوداء، أيـــن ظلك الذى يحمينى منها، لأنه "تحت ظلك أشتهيت أن أجلس" (نش٢: ٣). أنا أعرف أنك تحمى رعيتك فى ذلك الوقت، فلا تضربها الشمس، فأين تربض وقت الظهيرة .

✠ ✠ ✠

إنها نفس بعيدة عن الله، ولكن تشتاق إليه ...

هـــناك نفوس متمتعة بالرب ولذة عشرته ، تقول فى غمرة الحب الإلهى "شماله تحت

رأســـى، ويمينه تعانقنى" (نش٢: ٦) ، "أنا لحبيبى وحبيبى لى" (نش٦: ٣). وهناك نفوس أخـــرى بعـــيدة عـــن الـــرب، ولكنها غير مهتمة، لا تشتاق إلى الله، وإن اشتاقت يدركها اليأس..

أما هذه فتشتاق إلى الرب ، على الرغم من الخطية .

✠ ✠ ✠

هذه النقطة تجعلنا لا ندين الآخرين ، ولا ننظر فى إشمئزاز إلى البعيدين عن الرب. فهناك نفوس تحبه على الرغم من بعدها .

مثل بطرس الذى أنكر الرب ثلاث مرات، ومع ذلك قال له "أنت يارب تعلم كل شئ ، أنت تعلم أنى أحبك" (يو٢١: ١٧). كذلك هذه النفس تقول "يا من تحبه نفسى" .

كيف تحبه وهى بعيدة والرب يقول "من يحبنى يحفظ وصاياى" .

إن الخطية عندها قد يكون سببها الضعف ، وليس عدم الحب .

✠ ✠ ✠

أيـــن تربض وقت الظهيرة ، عندما أحتاج إلى ظلك ، أنا الذى قد يفرحنى ظل يقطينه (يون٤: ٦)، فكم بالأولى ظلك أنت؟!

أولادك فى وقت التجربة ولهيبها ، أنت تظلل عليهم بجناحيك فيستريحون فى كنفك . كيف أستريح أنا أيضاً ؟

✠ ✠ ✠

هـــذه العـــذراء بعـــدت عـــن الرب بالجسد، ولم تبعد بالروح، بعدت بالعمل ولم تبعد بالعاطفة .

الأخطاء التى تقع فيها دخيلة عليها ، وليست فى طبيعتها .

إن طبيعـــتها على صورة الله ومثاله ، لذلك تشتاق إلى الله بالطبع، وإن كانت تخطئ بالضعف أو بالضغط الخارجى .

✠ ✠ ✠

حســـن أن الإنســـان فـــى فترات فتوره وضعفه ، يتذكر أيامه الجميلة الحلوة مع الله، ويقول له أين ترعى ؟

أنت يا من ترعى الكل ، ارعانى أنا أيضاً معهم .

هناك أشخاص فى حالة الخطية يقطعون صلتهم بالله ، ويبعدون عنه ، ويهربون منه ، فـــلا كنيســـة ، ولا صـــلاة ، ولا اجتماعات ، ولا أية واسطة من وسائط النعمة . وحجة

الواحد منهم : بأى وجه أكلم الله فى خطيتى ؟!

مثال ذلك آدم الذى هرب من الله عندما أخطأ ...

إختفى وراء الشجرة ، وقال له "سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان فاختبأت" (تك٣: ١٠).

أين ترعى ؟

أما هذه النفس ففى بعدها تبحث عن الرب : أين يرعى ؟

نسمع إجابة عن هذا السؤال فى آيات كثيرة من سفر النشيد تقول "الراعى بين السوسن" (نش٢: ١٦)، "حبيبى نزل إلى جنته، إلى خمائل الطيب، ليرعى فى الجنات ويجمع السوسن" (نش٦: ٢) .

أنا عارف يارب أنك نزلت إلى خمائل الطيب ، وسط قديسيك .

هؤلاء الذين لحياتهم رائحة ذكية، نشتم منهم رائحة المسيح. خميلة منهم اسمها "خميلة التأمل والعبادة" نزلت إليها. وأخرى اسمها "خميلة التعب والجهاد" نزلت إليها . وثالثة إسمها "خميلة الخدمة والسعى وراء النفوس الضائعة" . وخمائل أخرى خاصة بالفضائل الجميلة .

أنت يارب وسط قديسيك ، فى خمائل الطيب ، ترعى فى الجنات . كل قديس منهم عبارة عن شجرة موقفة ثمراً، تطرح ثلاثين وستين ومائة (مت١٣: ٢٣).

✠ ✠ ✠

ولكن ماذا عن شخص مثلى ، يعيش فى الأشواك؟ هل تنزل إلى أشواكه يارب كما نزلت إلى الجنات وخمائل الطيب ؟

أم هذا الإنسان لا نصيب له عندك ، إذ ليس فى حياته شئ من السوسن ؟

أنا أؤمن يارب أنك فى بحثك عن الخروف الضال مشيت على الجبال والتلال والأشواك ...

أنا لست فى مستوى الجنات وخمائل الطيب . ربما أصل إليها عندما أصطلح معك، وأتحول إلى خميلة طيب، أو إلى غصن فى شجرة مثمرة فى جناتك . أما الآن، فكيف الطريق إليك ! أين ترعى ؟

✠ ✠ ✠

يجيب الرب فى محبته : أننى أرعى فى كل مكان ...

كنت فى أتون النار ، أرعى الثلاثة فتية ، فى أرض بابل .

اهتممت بهم ، فلم تحترق شعرة من رؤوسهم، ولم تدخل رائحة النار فى ثيابهم ، ولم ينزعجوا . ألم ير الناس مع الثلاثة فتية شخصاً رابعاً شبيهاً بابن الآلهة؟! (دا٣: ٢٥).

لا تكشف إذن يا حبيبى إن كنت فى أتون النار ، كم بالأولى إن كانت مجرد ضربة شمس وقت الظهيرة ..!

إننى أرعاك وسط النار . ولست أرعى فقط وسط السوسن .

✠ ✠ ✠

قيل عن يهوشع فى سفر زكريا إنه "شعلة منتشلة من النار" (زك٣: ٢). كاد يحترق وسط النار ، ولكن يد الله – الذى يرعى وسط النار – انتشلته ...

مبارك أنت يارب ، حتى الذين يقعون فى النار ويشتعلون، لا تتركهم ، بل ترعاهم هناك، وسط النار ، وتنتشلهم ..!

وليس وسط النار فقط ، بل أيضاً وسط الوحوش ...

قال بولس الرسول "حاربت وحوشاً فى أفسس" . ووسط الوحوش قال له الرب "لا تخف . لا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع١٨: ١٠).

إن الله يقوم بعمله الرعوى فى جب الأسود أيضاً ، كما قام به فى أتون النار، كما كان يرعى يونان النبى حتى وهو فى بطن الحوت (يون ٢)!! أتسأل أين ترعى ؟

✠ ✠ ✠

إننى أرعى حيثما توجد أنت . حيث الرعية هناك الراعى .

كنت فى أتون النار ، فى جب الأسود ، فى جوف الحوت ، أنا معك ، أرعاك ، "لا أهملك ولا أتركك" .

"ها أنا معكم كل الأيام ، وإلى إنقضاء الدهر" .

فى وسط البحر الهايج ، السفينة تلاطمها الأمواج، وتكاد تغرق . ولكن الرب أيضاً يرعى وسط الأمواج ، ينتهرها ، وينتهر البحر والرياح، وينقذ التلاميذ (مت١٤: ٢٤ – ٣٣)..

✠ ✠ ✠

الله كان يرعى فى وسط البحر الأحمر ، وفى البرية، وفى أرض السبى. أتسأل أين

يرعى؟ هناك في قلبك ...

إنـــه يبحـــث عنك ، أكثر مما تبحث عنه . وفيما ترفع صوتك ، هو يستجيب . ومهما كنـــت مغترباً ، هو يرعاك في أرض غربتك، كما رعى يوسف في أرض مصر، ودانيال وحزقيال في أرض السبي. كل الأرض هي له ...

✠ ✠ ✠

أيـــن تـــرعى ؟ سؤال تسأله نفس تريد الوصول إلى الله . هل أصل إليك بالمعرفة، بالقراءة ، بالصلاة ، بالطقس ، بالألحان ، بالإجتماعات ؟..

أيـــن ترعى ؟ أين تربض وقت الظهيرة ؟ لقد جربت كل هذه الوسائل ولم أصل إليك! فما السبب ؟

غالـــباً تكون قد طلبت الطريق ، ولم تطلب الله الذي يوصل إليه هذا الطريق ! طلبت العبادة والمعرفة ولم تطلب الله !

كثير من الناس ينشغلون بالوسيلة عن الهدف ! يصلّون ويصومون ويرنمون ويقرأون، ولكن الله ليس في قلوبهم ، وليس في أهدافهم . فاطلب الله وحده ، حينئذ تجده ...

✠ ✠ ✠

يقـــول الـــرب للنفس التي تبحث عنه "إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء، فاخرجي على آثار الغنم" (نش١: ٨).

تتبعي آثار الغنم التي مشت قبلك في الطريق نحوى.

القديـــس موســـى الأسود، كان واحداً من الغنم التي تاهت، ثم عرفت الطريق فتتبعي آثاره . كذلك أوغسطينوس وبلاجيوس ، ومريم القبطية .

هـــناك غنـــيمات ســـارت فـــي طـــريق التأمل ووصلت ، وأخرى في طريق الخدمة ووصلت.. كل طريق روحي تحبينه ستجدين آثار الغنم فيه ، فتتبعيها . وسير القديسين لا تنتهي ...

كما سلك هؤلاء ، فلنسلك نحن أيضاً ...

"اخرجي على آثار الغنم ، وارعي جداءك عند مساكن الرعاة"

قـــال لها جداءك ولم يقل خرافك ، لأنها نفس خاطئة . ثم حولها إلى مساكن الرعاة ، لأنه أقام قادة روحيين لشعبه...

أين ترعى؟ أين تربض وقت الظهيرة؟ (ب)

قالـت العروس للرب ، الذى هو الراعى الصالح : "أخبرنى يا من تحبه نفسى: أين تـرعى؟ أيـن تربض عند الظهيرة؟" . فأجابها "إن لم تعرفى أيتها الجميلة بين النساء، فاخرجى على آثار الغنم، وارعى جداءك عند مساكن الرعاة" (نش١: ٧، ٨) .

أين ترعى؟

هنا نجد نفساً تبحث عن الله ، وتسأل عن طرقه . وتقول له : أين أنت يارب ؟ إننى أبحث عنك. أين أجدك؟ .

العجيـب أن هـذه النفس التى تبحث عن الله ، ليست باستمرار نفساً خاطئة، إنما هى نفـس تحب الله وقد دعاها "الجميلة بين النساء". إنها تذكرنى بداود النبى الذى قال للرب "عرفـنى يـارب طـرقك، فهمنى سبلك، أين ترعى؟ أين تربض وقت الظهيرة؟ "طلبت وجهك، ولوجهك يارب ألتمس. لا تحجب وجهك عنى" ...

✠ ✠ ✠

هذا النداء هو نفس نداء النفس التى فى مفترق الطرق .

أخبرنى يا من تحبه نفسى، أين ترعى؟ أين أجدك؟ هل فى البتولية أم فى الزواج؟ فى العمل أم فى التكريس ؟ فى الخلوة أم فى الخدمة؟ فى الدير أم فى العالم ؟ أين تربض ..؟

أيـن ألـتقى بك. فى الصلاة ؟ فى الصوم ؟ فى التداريب الروحية؟ فى التناول؟ فى الكنيسة ؟ أين ترعى ؟ ...

✠ ✠ ✠

وقد تقول هذا الكلام النفس البعيدة عن الله ؟

إنهـــا تذكرنى بأوغسطينوس الذى كان بعيداً لفترة طويلة، ثم أخذ يبحث عن الله، أين يجده؟ هل بالعقل؟ بالفلسفة بالمنطق؟ أم بالإيمان، بالقلب؟ أين ترعى؟ فأجابه الرب: هناك فـــى داخلـــك، تجدنى. وأعترف أوغسطينوس قائلاً : نعم لقد كنت معى، ولكننى من فرط شقاوتى لم أكن معك ...

✠ ✠ ✠

حقاً هناك أشخاص يسألون أين الرب . وهو معهم :

كان المسيح مع تلميذى عمواس، ولم تكن عيونهما منفتحة لمعرفته . كذلك ظهر لمريم المجدلـــية ، وهـــى لاتزال تسأل عنه أين هو. وقيل عن معاصرى السيد وقت ميلاده إن "النور أضاء فى الظلمة، والظلمة لم تدركه" .. حقاً ، كثيراً ما تسأل الرب (أين ترعى؟)، ويكون الرب فى داخلنا، ونحن لا ندرى !

مـــا أعجـــب قول المسيح لفيلبس "أنا معكم زماناً هذه مدته، ولم تعرفنى يا فيلبس؟!" . وكذلـــك المولود أعمى قال له السيد "أتؤمن بابن الله؟ فأجابه "من هو يا سيد؟ . كان الرب يكلمه، وقد شفاه، ومع ذلك لم يكن يعرفه، ويسأل أين يرعى؟ (يو٩) .

✠ ✠ ✠

أين ترعى ؟ أين تربض وقت الظهرة ؟

لـــوط لم يقل للرب أين ترعى؟ وإنما أختار لنفسه مكاناً معشباً يعيش فيه، لذلك ضاع مـــنه كـــل شـــئ. بعكـــس ابراهـــيم الذى ترك للرب أن يختار له . فقال له "أترك أهلك وعشيرتك، واذهب إلى الأرض التى أريك إياها" (تك١٢: ١). سأذهب إليه يارب، مادمت ســـترعانى هـــناك . نعـــم هناك "أباركك وتكون بركة، وبك تتبارك جميع قبائل الأرض" (تك١٢، ٢، ٣).

✠ ✠ ✠

حيـــنما نسأل الله أين ترعى ؟ يقول أحياناً : هناك عند الجلجثة. ويرينا طرقاً ما كنا نظن إطلاقاً أنه سيرعانا فيها ...

وكأنـــه يقـــول ليوحـــنا الحبيب : أتسألنى أين أرعى .. هناك فى المنفى، فى جزيرة بطمـــس، سأرعاك، وسأكشف لك باباً مفتوحاً فى السماء، وأريك العرش الإلهى والقوات السمائية، وما لابد أن يكون .

وكـــأنى بالـــثلاثة فتـــية قد سألوه أين ترعى؟ فقال لهم هناك فى أتون النار.. وفرحوا بالأتون، وعندما ألقوهم فيه، رأوا معهم رابعاً شبيهاً بابن الآلهة، يتمشى معهم فىْ الأتون. وشعرة من رؤوسهم لم تحترق، ولا رائحة النار كانت فى ثيابهم.. (دا ٣) .

وبـــنفس الوضـــع كان جب الأسود بالنسبة إلى دانيال النبى . رعاه الله هناك، وأرسل ملاكه فسد أفواه الأسود. (دا ٦) .

✠ ✠ ✠

فـــى إحدى المرات، أثناء المجاعة ، لم يقل ابرآم للرب أين ترعى؟ أين تربض وقت الظهـــيرة؟ بل ذهب من تلقاء نفسه إلى مصْر يلتمس المعونة. وهناك أخذوا امرأته سارة، وكاد يضيع ، لولا تدخل الرب لإنقاذه ...

ونفس الوضع عندما "سكن بين قادش وشور، وتغرب في جرار" (تك٢٠: ١) دون أن يســـأل هـــل يرعى الرب هناك؟! فكانت النتيجة أنه وقع في تجربة ثقيلة، وأخذوا أمرأته سارة. لأن ذلك الموضع لم يكن فيه خوف الله البتة" (تك٢٠: ١١).

✠ ✠ ✠

هـــناك عـــبارة جميلة فى سفر النشيد ، يقول فيها الرب : تعال يا حبيبى لنخرج إلى الحقول، ونبيت فى القرى .. "هناك أريك حبى" (نش٢: ١٢) .

نعـــم ، هـــناك، وليس فى أى مكان آخر.. إذن يارب، فليكن لى كقولك.. سأذهب إلى الحقول وإلى القرى، وإلى أقاصـى الأرض، مادمت هناك سترينى حبك. سأدخل إلى أتون النار، وسأنزل إلى جب الأسود، مادمت أعرف أين ترعى..

سأســـير بمـــبدأ "حيث قادنى أسير" . سأترك كل شئ من أجلك، وأتبعك حينما كنت.. مـــثلما تركـــت رفقـــة بلادهـــا وأهلها، وذهبت وراء اسحق (تك٢٤: ٥٨)، أو كما يقول المزمور للنفس البشرية : اسمعى يا ابنتى، وأصغى، وأنسى شعبك وبيت أبيك، فإن الرب قد اشتهى حسنك، وله تسجدين (مز٤٥: ١٠، ١١)..

✠ ✠ ✠

أخـــبرنى يـــا مـــن تحبه نفسى أين ترعى، لأنك فى مراع خضر تربضنى، وإلى ماء الـــراحة توردنى. ترد نفسى وتهدينى إلى طرق البر (مز٢٣).. لقد ألتحقت نفسى وراءك فقـــل أين ترعى، وأنا سأتبعك، حتى إن سرت فى وادى ظل الموت لن أخاف شراً، لأنك ستكون معى، هناك ترينى حبك ...

أخبرنى يا من تحبه نفسى أين ترعى أين تربض وقت الظهيرة ...

أين تربض وقت الظهيرة ؟

فـــى وقـــت الظهيرة ، حيث يريد كل إنسان أن يستظل ، وأنا تحت ظلك أشتهيت أن أجلس، وأخشى من شيطان الظهيرة (مز٩١: ٦)، وأتعب من هذا اللهيب ، لأن الشمس قد لوحتنى وقت الظهيرة .

أحـــياناً يســـتغيث الإنســـان بهـــذه العبارة ، أين ترعى؟ يقولها فى أوقات الفتور أو الجفاف، وفترات تخلى النعمة الإلهية..

يشـــعر الإنسان أن نفسه ليست كما كانت قبلاً، لم تعد لها الحرارة الأولى، ولا الصلة ولا الدالـــة الأولـــى، ولا الحب القديم، فتقول نفسه للرب "لماذا أكون كمقنعة عند قطعان أصـــحابك" (نـــش١: ٧).. أين أيام شبابى الروحى، حينما كنت أقول "شماله تحت رأسى، ويمينه تعانقنى".. أين الأيام التى كنت أصلى فيها بعمق ، وكلماته حلوة فى حلقى (نش٢: ٣)، كالعسل والشهد فى فمى. أيام كنت أرفع يدى، فتتشبع نفسى كما من لحم ودسم (مز٦٣ : ٤).. أشعر كما لو كنت قد ضللت الطريق. فاخبرنى يا من تحبه نفسى: أين ترعى؟ أين تربض ...

✠ ✠ ✠

أريد يارب أن أرجع إليك، فأخبرنى أين ترعى ...

أنا بعيد عنك ، ولكنى أحبك ، بعدت عنك سلوكاً ، ولم أبعد عنك قلباً " أنت تعلم يارب كـــل شئ، أنت تعلم أنى أحبك" .. من الجائز أننى تركت نشاطى، أو تركت ممارساتى أو عـــبادتى أو خدمـــتى، ولكنى لم أترك محبتك.. ربما تكون صورتى قد تشوهت، ولكن لا تـــزال تشـــتاق إلى شبهك ومثالك. أنا أحبك على الرغم من خطيئتى . ليتك تردنى إليك. وتخبرنى أين ترعى ...

✠ ✠ ✠

ربمـــا تقول هذه العبارة "تفوس فى السبى ، قد جلست على أنهار بابل، ولكنها تبكى كلما تتذكر صهيون (مز١٣٧: ١).

لـــم تعـــد تستطيع أن تسبح تسبحة الرب فى أرض غريبة.. قيثارتها على الصفصاف (مـــز١٣٧: ٢، ٤)، وهى تصرخ من عمق القلب، ومن عمق الرغبة، أستغاثة غريق إلى

قـــارب الـــنجاة، تقول: أخبرني يا من تحبه نفسي، أين ترعى؟ أين تربض عند الظهيرة.. أريد أن أدخل إلى هيكلك، إلى مذابحك، لكي تتضح عليّ بزوفاك فأطهر، وتغسلني فأبيض أكثر من الثلج ...

✠ ✠ ✠

أين ترعى أيها الراعي الصالح؟ ضللت مثل الخروف الضال، فاطلب عبدك (مز١١٩: ١٧٦)، أســـرع وأعـــنى، لأنه على ظهري جلدني الخطاة وأطالوا إثمهم (مز١٢٩: ٣).. أحاطوا بي مثل النحل حول الشهد، والتهبوا كنار في شوك (مز١١٨: ١٢).. في الطريق التي أسلك أخفوا لي فخاً (مز١٤٠: ٥)...

✠ ✠ ✠

ولكنني مشتاق إليك، أريد أن أصل إليك، ولا أعرف ...

ما أعجب الله الذي لا يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع إليه ، الذي كل من يقبل إليه لا يخرجه خارجاً إنه يقول لهذه النفس الباحثة عنه، على الرغم من أن الشمس قد لوحتها :

إن لـــم تعـــرفي أيتها الجميلة بين النساء ، فاخرجي على آثار الغنم، وارعي جداءك عند مساكن الرعاة ...

عجباً يارب أن تسميها "جميلة" وهي خاطئة! أنا أسميها جميلة، ليس من أجل خطيئتها، وإنما من أجل توبتها.. من أجل سعيها وطلبها ، من أجل عبارة أين ترعى ؟

✠ ✠ ✠

أخرجي على آثار الغنم :

غنـــيمات كثـــيرات ، سرن في طريقي من قبل ، ووصلن إليّ . آثار هذه الغنيمات لا تزال ثابتة على الطريق ، فتتبعيها ، (ومن سار على الدرب، وصل) .

ومـــا آثـــار الغـــنم ، سوى سير القديسين .. وقد ترك لنا القديسون نموذجاً في كل مجال. لكي نحتذي به ، متشبهين بأعمالهم ...

قـــد يجـــد إنســـاناً نفسه بلا مرشد في الطريق، والذين بلا مرشد يسقطون مثل أوراق الشجر .. هذا الإنسان لا ييأس ، هناك آثار الغنم، إن تعذر وجود الرعاة ....

✠ ✠ ✠

لم يطلب إلينا الرب أن نقبع في مكاننا، وندرس سير القديسين، إنما أن نخرج ونسير متتبعين آثارهم .

لا تجلسى مكانك متأملة وتقولى "ما أجمل الغنيمات القديسات، وما أحلى طرقها ، كلها بر وكمال، وتعب وجهاد.. ! كلا، بل أخرجى على آثار الغنم، وارعى جداءك عند مساكن الرعاة.. جداؤك هى خطاياك. اذهبى إلى مساكن الرعاة، تجدى هناك حلاً وحلاً .

✠ ✠ ✠

أخــرجى علــى آثار الغنم ، لا تبتدعى طريقاً جديداً، ولا تنقلى التخم القديمة ، وإنما اتبعى ما رسمه الآباء من طرق ...

"إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء، بغير ما بشرناكم به، فليكن أناثيما" (غل١: ٨) "إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا التعليم، فلا تقبلوه فى البيت، ولا تقولوا لــه سلام. لأن من يسلم عليه، يشترك فى أعماله الشريرة" (٢يو١: ١١).

إذن مــاذا نفعل ؟ "كونوا متمثلين بى، كما أنا أيضاً بالمسيح" (١كو١١: ١). نعم أيتها الجميلة "أخرجى على أثار الغنم" .

✠ ✠ ✠

وإن لم تسيرى على آثار الغنم، لا تكونى جميلة بين النساء .

"إن لــم تعرفى أيتها الجميلة .. فاخرجى على آثار الغنم" . ترينا هذه العبارة أنه حتى النفس الجميلة، هناك أشياء لا تعرفها، هناك جداء قد أختلطت بغنمها، تحتاج أن تذهب بها إلى مساكن الرعاة. لا تعتمدى على نفسك. فهؤلاء الرعاة أقامهم الرب، لأجلك .

١٨

خذوا لنا الثعالب ، الثعالب الصغار المفسدة للكروم

(نش ٢ : ١٥)

ما هى الثعالب الصغار المفسدة للكروم التى قصدها سفر النشيد، وما هى هذه الكروم أيضاً؟

الكرمة هى الكنيسة ، أو هى النفس البشرية :

وفى هذا يقول الرب فى سفر اشعياء النبى "غنوا للكرمة المشتهاة. أنا الرب حارسها، اسقيها كل لحظة.. احرسها نهاراً وليلاً" (أش٢٧: ٢، ٣) . ونحن نقول عنها للرب فى ألحاننا "هذه الكرمة التى غرستها يمينك" وهى المقصودة بمثل الكرم والكرامين فى (مت ٢١)، وفى (مت٢٠) وأيضاً فى (إش٥) .

الثعالب الصغار تفسد ثمر الكرمة ، أى أنها تفسد ثمر الكنيسة، أو ثمر الروح فى النفس البشرية (غل٥: ٢٢، ٢٣) .

✠ ✠ ✠

الثعالب الصغار ربما تكون خطايا تبدو بسيطة .

لا يلتفت إليها الإنسان ، ولا يشعر بخطورتها .. مجرد أفكار أو مشاعر قد لا تتخذ فى بادئ الأمر صورة الخطية، ولا هى تتعب الضمير .

وفى هذا المجال أحب أن أقول لكم قاعدة هامة وهى :

إن الخطوة الأولى المؤدية إلى الخطية ، ربما لا تكون خطية .

مثال ذلك علاقة نجسة جداً، بدأت بصداقة بريئة، وربما بريئة جداً! ثم تطورت ودخلها الشيطان، فصارت خطية .

الأمر إذن يحتاج إلى تدقيق واحتراس ...

✠ ✠ ✠

هذه الخطايا الصغيرة هي التي قيل عنها في المزمور "يا بنت بابل الشقية، طوبى لمن يكافئك مجازيتك التي جازيتنا..

طوبى لمن يمسك أطفالك ، ويدقنهم عند الصخرة" (مز١٣٧) .

بابل حيث كان السبي ، هي رمز لسبي الخطية . فيقصد أن يقول : طوبى لمن يمسك الخطية، وهي في حالة الطفولة، قبل أن تنمو، ويدفنها عند الصخرة. ويقول الكتاب "والصخرة كانت المسيح" (١كو١٠: ٤). أي يتخلص من الخطية بمعونة من السيد المسيح.

✠ ✠ ✠

خطورة هذه الخطايا الصغيرة ، أن الإنسان قد لا يهتم بها !

يهملها ، يتركها فتكبر وتتطور ، دون أن يحسّ ، أو قد يحسّ متأخراً، عندما تكون قد أفسدت الكروم..!

إن ثقباً صغيراً في مركب ، قد يؤدي – بمرور الزمن – إلى كارثة غرق. لأجل هذا يقول داود النبي "الهفوات من يشعر بها؟! من الخطايا المستترة يارب أبرئني" (مز١٩) .

إذن هناك خطايا مستترة ، وهفوات لا يشعر بها الإنسان .

هناك خطايا لا تبدو خطايا، ولا يأبه بها من يرتكبها. من هنا ينبغي أن نتعلم حياة التدقيق .

✠ ✠ ✠

حياة التدقيق :

لماذا شبهت هذه الخطايا بالثعالب ، وبالثعالب الصغار ؟

لأن الثعلب مشهور بالمكر . ولأن الثعلب الصغير يمكنه أن يتسلل من أية فجوة صغيرة فى أسوار الكرم . كما أن الكرامين قد لا يحسبونه خطراً . وفى نفس الوقت هو قادر على إفساد الكروم ...

إنك قد تهتم بالخطية الكبيرة الظاهرة ، وتستعد لمقاومتها . بينما الخطايا (الصغيرة) تعبر بك دون أن تلتفت إليها . ولهذا فإن السيد له المجد أظهر خطورة وأهمية كلمة رقاً، وكلمة يا أحمق ، (مت٥: ٢٢). وأظهر أيضاً أهمية مجرد النظرة الخاطئة ولو أدى الأمر إلى قلع العين بسببها (مت٥: ٢٨، ٢٩). ولهذا فإن الآباء الروحيين علموا أبناؤهم أن يدققوا كثيراً .

✠ ✠ ✠

قالت القديسة سارة : إن فماً تمنع عنه الخبز ، لا يطلب لحماً ، وإن منعت عنه الماء، لا يطلب خمراً .

أحد الرهبان وهو سائر فى الطريق ، عثر على قطعة نطرون. فلما جاء إلى الأنبا أغاثون ومعه قطعة النطرون، قال له القديس "إن أردت أن تعيش مع أغاثون، ففى المكان الذى وجدت فيه هذا النطرون أرجعه". إلى هذا الحد كان الآباء يعلمون أولادهم أنهم حتى لو وجدوا قطعة حجر ملقاة فى الطريق لا يأخذونها .

✠ ✠ ✠

ماراسحق دقق على وجوب الحشمة داخل الغرفة الخاصة ...

فالشخص الذى يجلس فى غرفته الخاصة بحشمة وأدب، لا يترك جزءاً من جسمه معرى أو مكشوفاً بطريقة غير لائقة، هذا الشخص لا يمكن أن يفقد الحشمة فى الخارج أمام الناس. إذ قد تعودها فيما بينه وبين نفسه ...

حقاً إن الذى يدقق فى الشيء الصغير ، لا يمكن أن يقع فى الكبير .

ولعل هذا هو الذى قصده المثل الإنجليزى السائر :

Take care of the penny , and the pound will tke care of itselt

أى اهتم بالمليم (البنس) ، وحينئذ الجنية يهتم بنفسه .

✠ ✠ ✠

لا تظـن أن الشيطان في بادئ الأمر سيطلب أن تفتح لـه باباً واسعاً يدخل منه إلى قلبك. إنه لن يطلب سوى ثقب إبرة ...

إنه يبدأ بهذا الثقب ، ثم يتسع ، حتى يملك القلب كله .

إن الشيطان لا يكشف أوراقه ، لا يكشف حيله . لا يطلعك على الخطوات المقبلة فى خططه ، أو عن مدى تطور الخطوة الأولى التى تبدو بسيطة .

لا يأتيك فى كل مرة كأسد زائر ، يلتمس ابتلاعك (١بط٥: ٨) ، وإنما قد يأتى كثعلب صغير، يتسلل إلى كرمتك دون أن تشعر .

فما هى إذن هذه الثعالب الصغار المفسدة للكروم ؟

أمثلة من الثعالب الصغار :

قد تكون مثلاً ، قليلاً من الكسل أو التهاون والتراخى :

تصحو من النوم . وبدلاً من أن تبدأ يومك بالصلاة ، تتراخى قليلاً . تؤجل الموضوع دقائق قليلة، ريثما تفيق .. فى هذه الدقائق يكون الشيطان قد قدم لك مجموعة من الأفكار تشغلك . إما أن تعطلك عن الصلاة ، أو تجعل فكرك يطيش فيها ...

لماذا نقول إذن فى صلواتنا "يا الله ، أنت إلهى ، إليك ابكر، عطشت نفسى إليك"؟ (مز ٦٣: ١) لأجـل الشوق إلى الله ، وأيضاً لنهرب من هذا الثعلب الصغير ، ثعلب التراخى والكسل ..

✠ ✠ ✠

مثال آخر : خطية الكبرياء ، قد تبدأ هى الأخرى بثعلب صغير :

قد تبدأ برغبة فى الدفاع عن النفس ، وربما يتطور الدفاع عن النفس إلى إدانة الغير.. وقـد تـبدأ بـأن يتعود الإنسان الإجابة على سؤال وجه إلى غيره ، أو بأن يسمح لنفسه بمقاطعـة غـيره فـى الحديث ولو بأدب واستئذان . وقد تبدأ بابتسامة رضى أو شعور

بالرضى عند سماع كلمة مديح ...

✠ ✠ ✠

كل مشاكل يوسف الصديق بدأت بشئ بسيط ، بأنه كان يتحدث عن أحلامه فى مسمع أخوته ، ولو ببساطة ...

هـــذا الحديـــث كان يثير فيهم عوامل الحسد والغيرة . وما لبثت هذه الغيرة أن نمت ، ووصلت إلى درجة من الخطورة أدت إلى إلقائه فى البئر ، وإلى بيعه كعبد .

إن الســيدة العــذراء بحكمــتها وروحانيتها نجت من هذا الثعلب الصغير الذى أفسد العلاقة بين يوسف وأخوته . إذ انها ظلت صامتة فى كل ما أحاط بها من رؤى وعجائب ولمجاد .

لم تتحدث إطلاقاً ، وإنما "كانت تحفظ كل تلك الأمور متأملة بها فى قلبها" (لو٢: ٥١).

إن قصـــة يوســـف تقـــدم لنا ثعلباً صغيراً آخر، ربما لم يلتفت إليه إطلاقاً أبو الآباء يعقوب. وهو القميص الملون الذي خص به ابنه يوسف، وسبب كثيراً من الغيرة لاخوته.

هذا الثعلب الصغير (القميص الملون) . يلعب دوراً خطيراً فى علاقتنا :

ربما تقابل مجموعة من الناس فتحييهم تحية عادية ، بينما تخص واحداً منهم بابتسامة خاصـــة، أو عبارة اشتياق ، أو تنتحى به جانباً لتحدثه على انفراد .. وقد يحدث كل ذلك تأثيره فيما بعد ... لذلك ينبغى أن نسلك بتدقيق ، ونراعى شعور الكل . لا نترك ثقباً ولو ضئيلاً فى معاملاتنا للناس ، يتسلل منه ثعلب صغير، فيفسد الكروم ...

✠ ✠ ✠

قد يكون الثعلب الصغير المفسد للعلاقات ، هو مجرد إهمال - ولو عن غير قصد - إهمال لمجاملة ينبغى أن تؤدى فى أحدى المناسبات فرحاً أو حزناً. ويستغل الشيطان ذلك لإحداث مشكلة، كان يمكن أن تعالج بزيارة أو بخطاب أو بمكالمة تليفونية .

فـــإن كانت الصغائر – أو ما تبدو صغائر – ينبغى أن نحترس منها، فكم وكم بالأكثر الكبائر من الخطايا والأغلاط !!

صَوتَ حَبيبي (نش ٢: ٨)

تقــول العذراء فى سفر النشيد "صوت حبيبى. هوذا آتٍ طافراً على الجبال، قافزاً على التلال" (نش٢: ٨) .

تمييز صوت الرب :

أول ما تطلبه من النفس الروحية أن تميز صوت حبيبها .

تعــرفه من بين الأصوات كلها . وكما قال الرب عن الراعى الصالح "الخراف تتبعه، لأنهــا تعــرف صــوته. وأما الغريب فلا تتبعه ، بل تهرب منه ، لأنها لا تعرف صوت الغرباء" (يو١٠: ٤، ٥) .

إن النفوس المشتاقة إلى الرب ، تعرف صوت حبيبها. ومجرد سماعه يشعلها بالحب.. إذا كــان صــوت مريم العذراء لما طرق أذنى أليصابات، امتلأت أليصابات من الروح القــدس، وارتكض الجنين بابتهاج فى بطنها (لو١: ٤١). فكيف بالحرى صوت الرب فى آذان قديسيه...

✠ ✠ ✠

كثيرون سمعوا صوت الرب ، ولكنهم لم يميزوا ...

صموئيل الطفل ، سمع صوت الرب مرتين ، وهو يظنه صوت عالى الكاهن . ولكنه ميزه أخيراً ، فقال "تكلم يارب، فإن عبدك سامع" (١صم٣: ٩، ١٠).. ومريم المجدلية وهي مضطربة لم تستطع أن تميز صوت الرب، وظنته صوت البستانى، ولكنه أعلن لها صوته، فصرخت فى حب "ربونى" الذى تفسيره "يا معلم" (يو٢٠: ١٥، ١٦).

✠ ✠ ✠

إن صوت الرب مميز من الكل، معلم بين ربوة ...

صوته فى حبه. وعاطفته، وعمقه، وتأثيره "لأن حلقه حلاوة، وكله مشتهيات" (نش٥: ١٦).

كان صوت الرب يتميز بجاذبية خاصة ...

تصوروا متى العشار ، وقد سمعه مرة يقول له "اتبعنى"، فترك مكان الجباية، والمال، والمسئوليات، فتبعه (مت٩: ٩) وهو لا يدرى إلى أين يذهب ، كما فعل أبونا إبراهيم لما سمع صوت الرب (عب١١: ٨).

وسمعان وإندراوس ، لما سمعا صوته يقول لهما "هلم ورائى فأجعلكما صيادى الناس، تركا الشباك والسفينة للوقت، ولم يستطيعا أن يقاوما جاذبية ذلك الصوت.. (مت٤: ١٨-٢٠) .

وهكذا كلمة واحدة قالها لزكا رئيس العشارين ، جعلته يقول "هوذا نصف أموالى أعطيه للفقراء. وإن كنت قد ظلمت أحداً فى شئ أرده خمسة أضعاف" (لو١٩: ٨).

أحد الذين وصفوا المسيح فى فترة تجسده ، قال :

كان نظره قوياً ، لا يستطيع أحد أن يطيل النظر إلى عينيه بل يخفض بصره . وكان صوته عميقاً ومؤثراً وحلواً ...

إنه "صوت حبيبى" للأسف الشديد لم تكن هناك أجهزة تسجيل للصوت Recorders فى أيام المسيح بالجسد حتي تحتفظ لنا بهذا الصوت ، مدى الأجيال ، تتذوقه الآذان .

✠ ✠ ✠

فى الواقع ليس كل إنسان مستحقاً لسماع ذلك الصوت .

إن الذين كانوا مع شاول الطرسوسى فى طريق دمشق ، حينما ظهر له السيد المسيح قال عنهم بولس الرسول إنهم رأوا النور ولكنهم لم يسمعوا الصوت الذى كلمنى" (أع٢٢: ٩) . إنهم لم يكونوا مستحقين : لذلك نقول فى أوشية الإنجيل ، ونحن نستعد لسماع كلمات الرب "اجعلنا مستحقين أن نسمع ونعمل بأناجيلك المقدسة"، فنطلب أن نستحق ...

"صـــوت حبيـــبى" ، كلم الآباء منذ البدء، بأنواع وطرق شتى . أول صوت له سمعناه خالقاً، قال الرب : ليكن . فكان .. ثم سمعنا صوته معلماً يقول لأبوينا الأولين ماذا ينبغى لهمـــا أن يفعلا، ويقدم لهما الوصية، ثم سمعنا صوت الله مباركاً، أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض" ...

وظل صوت الله يتابع الإنسان فى أغراض شتى ...

✠ ✠ ✠

المهم أن نميز صوت الرب أياً كان مصدره .

القديس الأنبا أنطونيوس سمع آية من قراءات الكنيسة، سمعها كل الشعب معه، ولكنه أدرك أنها صوت الله إليه هو بالذات فذهب ونفذها وباع كل ماله وأعطاه للفقراء ...

وســـمع صـــوت امرأة تقول له "إن كنت راهباً ، فاذهب إلى البرية الجوانية، لأن هذا المكـــان لا يصـــلح لسكنى الرهبان" . فأدرك أن هذا صوت الله إليه على لسان المرأة ، ونفذه...

مَتى ؟ وكيف ؟

هل تسمع أنت صوت الله وتميزه ؟ سواء سمعته فى الكنيسة، أو فى الشارع ، أو من فم صديق أو زميل ، أو من فم من يوبخك، أو من أى مصدر كان..؟

ربما مرض يصيبك ، أو يصيب أحد أحبائك ، يكون هو صوت الله إليك، أن تتوب أو أن تستعد ...

ربمـــا ضيقة من الضيقات ، تجربة ، مشكلة ، تسمع فيها صوت الله إليك، كما حدث

لأخوة يوسف، لما وقعوا فى يد حاكم مصر، ذكرهم صوت الله بأخيهم الذى استرحمهم فلم يرحموه (تك٤٢: ٢١)...

✠ ✠ ✠

إنه صوت الله ، قد يتكلم فى أذنيك أو أعماق قلبك :

تسمعه فى داخلك يقول لك : لا تفعل هذا الأمر . حذار من هذا الطريق .. كفاكم قعوداً بهذا الجبل فتميزه وتقول : هذا صوت حبيبى، يرشدنى إلى طريقه ...

✠ ✠ ✠

كل إنسان فى الدنيا وصله صوت الله ، حتى الخطاة ...

قايين أول قاتل ، جاءه صوت الله "أين هابيل أخوك" ؟. (تك٤: ٩).

ويهوذا الخائن جاءه صوت الرب أيضاً موبخاً . "أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟!" (لو٢٢: ٤٨) وظل صوت الرب يرن فى أذنه، حتى أرجع المال وقال "أخطأت إذ أسلمت دماً بريئاً" (مت٢٧: ٤) .

✠ ✠ ✠

أحياناً ، يأتى صوت الرب فى حب وفى رفق ورسالة عزاء :

مثلما قال ليشوع "كما كنت مع موسى عبدك، أكون معك . لا أهملك ولا أتركك" (يش١: ٥). وكما جاء هذا الصوت لأبينا يعقوب وهو هارب من عيسو "ها أنا معك، وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك٢٨: ١٥) .

صوت حبيبى جاء إلى التلاميذ والسفينة مضطربة، ليقول لهم "أنا هو، لا تخافوا" . وهو يأتى فى المزمور لكل نفس ليقول "الرب يحفظك، الرب يظلل على يدك اليمنى، فلا تضربك الشمس بالنهار ولا القمر بالليل. الرب يحفظ دخولك وخروجك" (مز١٢١) .

✠ ✠ ✠

لاحظوا أن العروس سمعت صوت حبيبها آتياً من بعيد :

لم يكن أمامها يكلمها ، وإنما كان لازال يبدو بعيداً .. "قافزاً على الجبال، طافراً على

التلال" .. ولكنها أحست به من بعيد، فقالت "صوت حبيبي. هوذا آت.." .

بالإيمان ، تسمع صوت الرب ، ولو من بعيد ، لابد سيأتى .

سيأتى سريعاً ، قافزاً على الجبال ، ولو فى الهزيع الأخير من الليل . يأتى ليمسح كل دمعة من عيونكم ... بالإيمان ترى ما لا يرى ، وتوقن بالأمور غير الموجودة كأنها موجودة ، وتسمع صوت الرب ولو كان بعيداً ...

لماذا صوت الرب ؟

صوت الرب يأتى للمعونة ، وللتعزية ، وللبركة ، وللمكافأة ...

وقد يأتى أحياناً للعقوبة "مخيف هو الوقوع بين يدى الرب" (عب١٠: ٣١)..

جميل أن تسمع صوت الرب وهو يقول "نعماً أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً فى القليل، فسأقيمك على الكثير. أدخل إلى فرح سيدك" (مت٢٥: ٢١، ٢٣). ولكن صوت الرب قال للغنى الغبى "فى هذه الليلة تؤخذ روحك منك. فهذا الذى أعددته لمن يكون؟ (لو ١٢: ٢٠). وكان صوتاً مخيفاً ...

إن كنت تحب الرب ، حينئذ ستفرح بسماع صوته .

عذراء النشيد فرحت بصوت الرب ، لأنها كانت تحبه. وآدم قبل الخطية كان يفرح بالرب وصوته. ولكنه لما أخطأ وسمع صوت الرب، خاف واختبأ وراء الأشجار. ولما كلّمه الرب أجاب "سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، لأنى عريان فأختبأت" (تك٣: ١٠) .

فهل إذا جاءك صوت الرب يجدك عرياناً ؟! وخائفاً!

ما أصعب قول الرب لآخاب على لسان إيليا النبى "فى المكان الذى لحست فيه الكلاب دم نابوت اليزرعيلى، تلحس دمك أيضاً" (١مل٢١: ١٩).. بل ما أصعب صوت الرب فى اليوم الأخير حينما يعلن حكمه على بعض الخطاة فيقول "الحق أقول لكم إنى لم أعرفكم قط، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم" (مت٧: ٢٣)..

✠ ✠ ✠

على أن صوت الرب قد يأتيك معاتباً ، لتغير طريقك :

كما قال لشاول الطرسوسي ، شاول شاول، لماذا تضطهدني؟" (أع٩: ٤)..

أو كما قال لإيليا "مالك ههنا يا إيليا؟" (١مل١٩: ٩)..

أو كما قال ليونان "هل أغتظت بالصواب؟" (يون٤: ٤)..

إن حبيبك يعاتبك أحياناً ، لكي ترجع إليه "هلم نتحاجج يقول الرب" (أش١: ١٨). إن عاتبك فلا تقس قلبك ...

✠ ✠ ✠

قد يكلمك الله "بصوت منخفض خفيف" . وقد يأتيك صوت الرب ، والرب ممسك بسوط.. لأجل منفعتك .

والأبرار يفرحون بصوت الرب على الدوام، ويجدون متعة في سماع كلامه، ويقولون مع المرنم "فرحت بكلامك كمن وجد غنائم كثيرة. وجدت كلامك كالشهد فأكلته" ...

وإن كنت تخشى صوت الرب إليك، فتب، لأنك بالتوبة، سيتحول حزنك إلى فرح بالرب...

✠ ✠ ✠

سيأتيك صوت الرب ، في وقت قد لا تتوقعه " ...

ذلك لأن ملكوت الله لا يأتي بمراقبة . موسى النبي أتاه صوت الله وهو سائر في البرية، فكلمه من العليقة دون أن يتوقع (خر٣). وهكذا جاء صوت الرب لصموئيل الطفل، ولإرمياء الصبي، دون أن يتوقعاه (١صم٣)...

ليجعل إذنيك مفتوحتين لسماع صوت الرب، وافرح بصوته الحلو، ونفذ كلامه، واعتبره حبيباً لك . وكلما سمعت صوته قل مع عذراء النشيد "صوت حبيبي" ...

٢٠

هُوذا آتٍ طافراً على الجبال

(نش ٢: ٨)

عَلَى الجبَال :

إن عذراء النشيد - بالكشف الإلهى - أمكنها أن ترى تجسد المسيح، قبل مجيئه بأكثر من ألف سنة. فقالت "صوت حبيبى. هوذا آتٍ، طافراً على الجبال.."

فأية جبال تراها كانت تعنى ؟

① أولها جبال يهوذا ، وهو فى بطن العذراء :

إذ يقول الإنجيل إن مريم العذراء، لما قال لها الملاك "وهوذا أليصابات نسيبتك هى أيضاً حبلى ابن فى شيخوختها. وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقراً" (لو ١: ٣٦). حينئذ "قامت مريم فى تلك الأيام، وذهبت بسرعة إلى الجبال إلى مدينة يهوذا. ودخلت بيت زكرياء وسلمت على أليصابات" (لو ١: ٣٩، ٤٠) .

وكان الرب يسوع حينئذ جنيناً فى بطنها، وهى على جبال يهوذا. لذلك لما صار سلام مريم فى أذنى أليصابات، امتلأت أليصابات من الروح القدس، وارتكض الجنين فى بطنها (لو ١: ٤٢، ٤٤) .

مستقبلاً هذا الذى أتاه طافراً على الجبال ...

✠ ✠ ✠

② جَبل فسقام فى مصر..

وذلــك أثــناء الهروب إلى مصر ، حسب أمر الملاك ليوسف النجار (مت١: ١٣) . وكان آخر المطاف فى مصر هو عند موضع الدير المحرق فى جبل فسقام ، حيث بارك الرب هذا الجبل وكل أرض مصر التى عبر بها .

✠ ✠ ✠

③ جَبل التجربة (مت ٤) :

ويمكــن أن ندعــوه أيضــاً جبل الانتصار ، إذ قضى الرب "أربعين يوماً يجرب من الشيطان. وكان مع الوحوش. وصارت الملائكة تخدمه" (مر١: ١٢) .

والــتجربة الثالــثة كانــت على "جبل عالٍ حيث رأى "جميع ممالك الأرض ومجدها" (مــت٤: ٨). مــزدرياً بها جميعاً ومنتصراً على كل حيل إبليس، فاستطاع بهذا أن يقول لتلامــيذه "تقــوا، أنا قد غلبت العالم" (يو١٦: ٣٣). وقال عنه القديس بولس الرسول إنه "مجرب فى كل شئ مثلنا، بلا خطية" (عب٤: ١٥) . وأيضاً "لأنه فيما هو قد تألم مجرباً، قادر أن يعين المجربين" (عب٢: ١٨) .

كان على جبل التجربة تعزية لنا فى تجاربنا . وتشجيعاً لنا فى الانتصارعلى تجاربنا .

✠ ✠ ✠

④ علىَ جَبل العظة (مت ٥) :

كمــا كانت تعاليمه هكذا عالية ومرتفعة عن كل تعليم بشرى ، لاق بها أن نقول على جــبل عــالٍ. وفى هذا يقول القديس متى فى بداية العظة على الجبل "ولما أبصر الجموع صــعد إلــى الجبل.. وفتح فاه وعلمهم قائلاً : طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات.." (مت٥: ١- ٣) .

وهكــذا قيل عن سمو هذه العظات التى قالها الرب على الجبل "فلما أكمل يسوع هذه الأقوال، بهتت الجموع من تعليمه. لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان، وليس كالكتبة" (مت٧ : ٢٨، ٢٩) .

وكثيراً ما كان الرب يعلّم على الجبال .

✠ ✠ ✠

⑤ على جبل التجلى :

وقيل فى ذلك "أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا. وصعد بهم إلى جبل عالٍ منفردين. وتغيرت هيئته قدامهم. وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور. وإذا موسى وإيليا قد ظهرا، يتكلمان معه.." (مت١٧: ١- ٣) (مر٩: ١- ٣) .

ويكمل القديس متى الإنجيلى هذه المعجزة المبهرة بقوله "..إذا سحابة نيرة ظللتهم، وصوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. له اسمعوا" (مت١٧: ٥). ويذكر هذا إنجيل مرقس أيضاً (مر٩: ٧) .

كما ورد ذلك فى إنجيل لوقا كذلك (لو٩: ٣٤، ٣٥) .

ويقول القديس بطرس الرسول عن الرب يسوع : "لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا به سررت. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء، إذ كنا معه على الجبل المقدس" (٢بط١: ١٧، ١٨) .

كان جبل التجلى عظيماً هكذا، إذ عبر عن لاهوت الرب ومحبة الآب له . لذلك لاق به أن يدعى "الجبل المقدس"، ويذكر بين الجبال الهامة التى ظفر عليها الرب .

✠ ✠ ✠

⑥ جبال الصلاة والتأمل :

ما أكثر ما كان السيد الرب يختار الجبل مكاناً للصلاة والتأمل والخلوة مع الآب .

يقول عنه القديس متى الرسول "وبعد ما صرف الجموع ، صعد إلى الجبل ليصلى" (مت١٤: ٢٣)

ويقول القديس مرقس الرسول "..صرف الجمع. وبعد ما ودعهم ، صعد إلى الجبل ليصلى" (مر٦: ٤٦) . ويقول القديس لوقا "وفى تلك الأيام ، خرج إلى الجبل ليصلى. وقضى الليل كله فى الصلاة لله" (لو٦: ١٢). ويقول أيضاً "وكان فى النهار يعلّم فى الهيكل. وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون (لو٢١: ٣٧) .

حقاً إن جبل الزيتون كان من أهم الجبال فى أثناء فترة تجسد الرب على الأرض .

ومن العبارات المؤثرة فى إنجيل القديس يوحنا الحبيب ، قوله "فمضى كل واحد إلى

خاصته. أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون" (يو٧: ٥٣) ، (يو٨: ١) .

✠ ✠ ✠

⑦ جَبل الجلجثة :

وأهـم وآخـر الجبال التى وصل إليها الرب فى تجسده على الأرض. هو جبل الفداء الذى فيه سفك دمه الطاهر عنا لأجل خلاصنا. لأنه لا يوجد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه (يو١٥: ١٣) .

وعـن صـلب الـرب يقول إنجيل متى إنهم "أتوا إلى موضع يقال لـه جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة" (مت٢٧: ٣٣) .

ويذكـر مـرقس الرسول هذه الجلجثة أيضاً (مر١٥: ٢٢). ويقول القديس لوقا "ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك.." (لو٢٣: ٣٣) .

ويقـول القديـس يوحنا "فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يُقال له موضع الجمجمـة. ويُقال له بالعبرانية جلجثة، حيث صلبوه وصلبوا إثنين آخرين معه.." (يو١٩: ١٧، ١٨) .

✠ ✠ ✠

⑧ جبَال أخـرى :

جـبال أخـرى فـى حـياة تجسد المسيح على الأرض ، ما أكثرها ، بعضها خاصة بمعجزاته والبعض بتعليمه من على هذه الجبال ..

الباب الثالث

ذكريات المحبّة

بين الله وكنيسته

بين الله والإنسان

٢١

"تعالَ يا حَبيبى، لنخرج إلى الحَقل"

(نش ٧ : ١١)

هكذا قيل فى سفر النشيد : "أنا لحبيبى وإلىّ اشتياقه. تعالَ يا حبيبى لنخرج إلى الحقل، ولنبت فى القرى. لنبكرن إلى الكروم. لننظر هل ازهر الكرم ؟ هل تفتح الفعال؟ هل نوّر الرمان؟ هناك أعطيك حبى" (نش٧: ١٠- ١٢) .

أنا لحَبيبى :

لســـت للعالم ، ولست للمادة ، ولست لأى شئ أخر ، بل أكثر من هذا أنا لست لذاتى، أنا لحبيبى ...

إنه لون من تخصيص النفس لله ، تكريسها له ...

وهـــى عـــبارة تكررت كثيراً من سفر النشيد "أنا لحبيبى وحبيبى لى" (نش٦: ٣)، لقد وهبـــته الحـــياة كلها، لأنه صاحبها، قد اشتراها بدمه، فلم تعد لى، وإنما له. وقبل شرائها بدمه، هو صاحبها، لأنه خالقها من العدم. فلتكن مكرسة له ...

الله هـــو الذى أعطاك هذا الوجود والكيان، وهذه الحياة، فأصبحت له. تذكر باستمرار أنـــك لحبيـــبك الـــذى خلقـــك وافتداك. وهو الذى سيبقى معك إلى الأبد، أما العالم فسيبيد

وشهوته معه (١يو٢: ١٧)..

وإن لـــم تســـتطع أن تكـــرس حياتك كلها للرب، فعلى الأقل يمكنك أن تكرس محبتك وقلبك .

"أنـــا لحبيبى، وإلى اشتياقه" (نش٧: ١٠)، أنه يشتاق إليك، إلى نفسك. ينظر إلى قلبك، ويقول فى شوق "ها هو موضع راحتى إلى أبد الأبد ههنا أسكن لأنى أشتهيته" (مز١٣٢: ١٤). الله مسرته فى بنى البشر شوقه أن يسكن وسط شعبه ...

✠ ✠ ✠

نوعان من الحب :

الحـــب لله علـــى نوعيـــن : أحدهما مظهره الجلوس مع الله، فى حب، فى عبادة، فى صلاة، فى تأمل، فى شركة جسده ودمه .

والـــنوع الـــثانى هـــو أن تظهر محبتك لله بالخدمة: تحب ملكوته وكنيسته وأولاده. وتظهر محبتك بأن تدعو الناس إلى محبته ...

قـــرأنا فى أنجيل يوحنا أن الرب قال لسمعان بطرس "أتحبنى؟.. أرعَ غنمي" (يو٢١: ١٥)، إن كنت تحبنى حقاً؟ إشترك معى فى بناء الملكوت، وفى جذب الناس إليه.

هـــل يوجـــد حب أعظم من حب الملائكة لله . هؤلاء الملائكة قيل عنهم إنهم "أرواح خادمة، مرسلة للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤)، وإنها حالة حول خائفـــيه وتنجـــيهم (مز٣٤: ٧). أنت أيضاً ملاك، أرسلك الله للخدمة، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص .

✠ ✠ ✠

صدقونى ، أن الدعوة للخدمة هى دليل على تواضع الله ..

الله يستطيع أن يقوم ببناء الملكوت وحده. ليس هو محتاجاً إلى مواهب الإنسان أو إلى مجهوده، فمواهب الإنسان ومجهوده هما أيضاً عطية من الله . إن الله من تواضعه يشركنا معه فى العمل ، ويقول "تعال يا حبيبى ، لنخرج إلى الحقل" .

✠ ✠ ✠

وهو أيضاً يرفع معنوياتنا باشراكنا معه فى العمل ...

أنـــا يا ابنى استطيع أن أعمل العمل كله وحدى، ولكننى أريد أن أشعرك بأنك تستطيع

أن تعمل شيئاً، أريد أن أفرحك بعمل النعمة فيك، أريد أن تفرح معي بنجاح أخوتك وخلاصهم، وتكون شريكاً لي في هذا العمل الروحي . تعال يا حبيبي ، لنخرج إلى الحقل.

✠ ✠ ✠

والحقل يرمز باستمرار إلى الكنيسة، إلى مكان عمل الله ...

يقول الكتاب عن الرب "خرج الزارع ليزرع" ، خرج إلى الحقل، يلقي بذار النعمة. فتعال نخرج معاً إلى الحقل .

✠ ✠ ✠

إنها تعزية كبيرة أن نخرج مع الله ، ولا نخرج بمفردنا .

لو كنا نعمل وحدنا ، لكان العمل يبدو صعباً علينا . ولكننا هنا ندخل في شركة الروح القدس. يعجبني أن أتأمل منظر كل خادم، كل واعظ وكل كاهن، سائراً في طريق الخدمة إلى جوار الله، يده في يده، يعملان معاً. كما قال بولس عن نفسه وعن أبولس "نحن عاملان مع الله" (١كو٣: ٩) . فتعال يا حبيبي، لنخرج إلى الحقول، ونبيت في القرى .

✠ ✠ ✠

جميل أن تلاحظ اهتمام الرب بالقرى . المدينة مزدحمة بالخدمة وتستهوى الناس بإمكانياتها، أما القرية فمحتاجة إلى الخدمة ..

لذلك قيل عن السيد المسيح إنه كان "يطوف المدن والقرى، يعلّم في مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت.." (مت٩: ٣٥). وعندما أقول القرى ، لا أقصد مجرد الريف. ففي مدينة عظيمة كالقاهرة، توجد أحياء لها طابع القرى، فقيرة، وأحياء عمال وصناع، وأحياء شعبية ...، محتاجة. تبدو كجزء من المدينة، ولها طابع القرى!

✠ ✠ ✠

يعجبني في قصة الخليقة ، أن الله بعد أن خلق الجنة، وضع فيها آدم، لكي يعمل فيها ويحفظها (تك٢: ١٥) .

لم يكن آدم يعمل ليأكل ، فالرزق كان وفيراً ، أكثر من احتياجه ، ولكنه كان يعمل لأن العمل مفيد له روحياً وجسدياً .

الذي يعمل ربما يحاربه شيطان واحد. أما الذي لا يعمل فتحاربه شياطين كثيرة. لا

يوجد أصعب من الفراغ، ولا أشد من حربه. "وعقل الكسلان معمل للشيطان" كما يقولون. الذى لا يعمل ، تتعبه الأفكار ، وقد تشغل ذهنه بما لا يليق .

✠ ✠ ✠

فمادام العمل لازماً . تعال أعمل معى، ولنخرج معاً إلى الحقل .

فـــى هذا العمل الروحى ، سيمتلئ عقلك بالأفكار الروحانية ، ويمتلئ قلبك بمحبة الله والناس. وستحيا فى الروحيات، فى جو نقى ...

تأكد أنك سوف تستفيد من الخدمة أكثر مما تفيد غيرك .

لذلك نحن نعتبر الخدمة من الوسائط الروحية التى تنمى حياة الإنسان: تأكد أنك ستأخذ بركة من الخدمة. إنها دعوة لكل إنسان أن يعمل فى الملكوت .

لا يوجد أحد ليس له عمل فى بناء الملكوت ...

للكنيســـة هـــى جســـم المسيح ، وأنت عضو فيه . تؤثر وتتأثر . تأكد أنك لو امتلأت بالمحبة، لوجدت ذاتك تخدم تلقائياً .

✠ ✠ ✠

العجيب فى عبارة النشيد ، أنها دعوة للخدمة (على الجاهز) .

"لنـــبكرن إلـــى الكـــروم.. لننظر هل أزهر الكرم؟ هل نوّر الرمان؟ إذن هناك حقل، وكروم، ورمان. وأنت قد دعيت لتعمل فى ما لم تتعب فيه .

فى بدء تدريب التلاميذ على الخدمة . قال لهم الرب فى قصة هداية السامرة "الحقول أبيضـــت للحصـــاد. أنتم دخلتم على ما لم تتعبوا فيه" (يو٤: ٣٥، ٣٧) وهكذا الدعوة فى النشيد...

آباؤنـــا الأول تعبوا ، غرسوا وسقوا ، وعملوا فى أرضٍ جرداء لم تكن فيها حقول ولا كروم. ذهبوا إلى بلاد لا إيمان فيها ، ولا كنائس ، بل فيها مقاومات للإيمان .

أما نحن ، فالدعوة سهلة : تعال لنخرج إلى الحقل. النفوس المؤمنة موجودة، الأشجار نامـــية، ولكنها تحتاج إلى رى، إلى تسميد، إلى عناية، إلى افتقاد: لننظر هل أزهر الكرم، هل نوّر الرمان. فهل هذا القليل، لا نستطيعه أيضاً ؟!

✠ ✠ ✠

إن كل عمل تعمله ، تسبقك النعمة إليه ، فتعده لك .

تعد القلب والفكر لسماع الكلمة التي تقولها أنت، وتعمل فى الإرادة لتتأثر بها ، وحتى هـذه الكلمـة الـتى تقولها سأعطيك أنا إياها. ثم أذهب معك إلى الحقل لنرى هل أزهر الكرم..

تعالَ معى ، لا تضيع وقتك فى العالميات . كفاك صيداً للسمك، اترك شباكك ، وتعال لنصطاد الناس .

أى شرف أعظم من هذا ، أن ترافق الله فى رحلاته الرعوية ، وتكون شريكاً للروح القدس فى عمله ؟!

تعـال ، لـتعمل معـى . سأتكلم على لسانك ، سأعطيك الفكرة ، سأعمل فيك وبك . ستكون مجرد متفرج تنظر كيف يزهر الكرم وكيف ينوّر الرمان .

✠ ✠ ✠

هـناك أشجار إن لم نروها ونسمدها ، ستموت ، فاقبل الدعوة واخدم ، "وإن سمعتم صوته، لا تقسوا قلوبكم" (عب٣: ٧، ٨)..

إنها دعوة للتكريس ، دعوة للخدمة ، دعوة للعمل لأجل أخوتك .

تعـال لكى نبيت فى القرى ، نقضى النهار فى العمل ، والليل فى الصلاة "لنبكرن فى الكروم" .

نـبكرن إليها ، قبل أن تلوحها الشمس ، قبل أن تقفز عليها الثعالب الصغار المفسدة للكروم. لا يكفى أن نغرس الكروم وإنما يجب أن نفتقدها أيضاً .

هناك أعطيك حبى :

هـناك فى الخدمة ، فى التعب ، فى التبكير ، فى محبتك لأخوتك فى بنائك للملكوت. هـناك أعطيك حبى . أتريد حبى . اخرج معى . لن أعطيك حبى فى جبل التجلي وحده، بـل فـى بستان جثسيمانى وفى جبل الجلجثة. لن أعطيك حبى فى مكان الجباية، ولا فى سفينة الصيد، إنما هناك وأنت تتبعنى .

إن الله يحدد أماكن لقياه ، حيث يعطينا حبه . نحن لا نفرض عليه مكاناً ولا وضعاً ، بل هو يحدد .

✠ ✠ ✠

أعطى حبه ليوحنا فى جزيرة بطمس ، وأعطاه للثلاثة فتية فى أتون النار، ولدانيال فى

جب الأسود .

هـــناك أشـــخاص يظـــنون أنهم لا ينالون محبة الله إلا فى حياة الخلوة والتأمل . وهنا يدعونا الله إلى الحقول ، وفيها يعطينا حبه .

جمـــيل أن الله هـــو الـــذى يعطى هذا الحب ، يسكبه فينا بالروح القدس (رو٥: ٥). فلنصل أن نوهب هذا الحب، ولنلح فى هذه الطلبة ....

"أعطنى يارب أن أحبك . املأ قلبى من محبتك" .

سليمان طلب الحكمة، وهى أعظم من العظمة والمال ، وأعطاه الله إياها (١مل٣: ٩-١٢).. وسقط سليمان (١مل١١: ٤). ولكن المحبة لا تسقط أبداً (١كو١٣: ٨). مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئها (نش٨: ٧). فاعطنا يارب أن نحبك .

لنخرج إلى الحَقل :

الحقـــل يرمـــز إلى ميادين الخدمة الروحية ، أو يرمز إلى العالم كله الذى نعمل فى كـــرازته (مت١٣: ٣٨). والزارع هو الرب نفسه أو رسله وخدامه "أنا غرست ، وأبولس سقى، ولكن الله كان ينمى" (١كو٣: ٦) .

والسيد المسيح بعد أول إيمان أعدّه فى السامرة ، قال لتلاميذه "ارفعوا أعينكم وأنظروا الحقـــول، إنها قد أبيضت للحصاد، والحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمراً للحياة الأبدية.. "أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه" (يو٤: ٣٥- ٣٨) .

✠ ✠ ✠

"إذن عـــبارة "تعـــال يـــا حبيبى نخرج إلى الحقل" ، معناها تعال نعمل معاً فى خدمة الناس، نتعب من أجل خلاص الناس ...

تعـــال نخـــدم معاً ، تعالَ لنعمل فى شركة الروح القدس ، ونشترك مع عمل النعمة، والإنسان لا يخدم وحده، لأن الرب قد قال "بدونى لا تقدرون إن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥). فى كل مرة تخرج إلى الخدمة ، ناد على الرب قائلاً "تعال يا حبيبى نخرج إلى الحقول" . **أنـــا بدونك لا أستطيع شيئاً ، سأتكلم ولكنك أنت الذى تضع الكلمة فى فمى، وأنت الذى تعطى الكلمة قوة ومفعولاً. إن لم تذهب معى، لن أخرج وحدى إلى الحقل .**

✠ ✠ ✠

هناك طريقان يصل بهما الإنسان إلى الله . ويتمتع به :

(١) طريق التأمل : فى الجلسة الهادئة مع الرب عند خمائل الطيب .

حيث يقول النشيد "حبيبى نزل إلى جنته، إلى خمائل الطيب" (٦: ٢) ، هناك عند قدمى المسيح، مع مريم تسمع النفس وتتأمل ، وتتمتع بالرب، فى الهدوء، فى السكون، فى الوحدة، فى حياة الصلاة، وحياة التأمل .

(ب) أما الطريق الآخر فهو الخدمة ، الخروج إلى الحقول ، والمبيت فى القرى .

وفى الخدمة سيأخذ الإنسان من الرب كما يأخذ من حياة التأمل، لأن النشيد يقول فى الخروج إلى الحقول "هناك أعطيك حبى" ...

الملائكة أيضاً على نفس النوعين : فيهم الذى يقف أمام الله مسبحاً قائلاً "قدوس قدوس قدوس رب الصباؤوت" مثل جماعة السارافيم (أش٦) . وفيهم الملائكة الحالة حول خائفيه وتتجيهم، الذين قال عنهم الرسول "أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤) .

فإن كان الملائكة يعملون فى الخدمة ، أفلا نعمل نحن ، لكى تكون مشيئة الله كما فى السماء كذلك على الأرض ؟!

✠ ✠ ✠

تعال يا حبيبى، لنخرج إلى الحقول ، فإن كثيرين محتاجون إلى العمل الدائب الدائم ، وكيف يسمعون بلا كارز ؟! (رو١٠: ١٤).

تعال ، فإن المحبة تدفعنا أن نذهب إلى الحقول، وأن نبيت فى القرى، لكى نفتقد أخوتنا.. "ومن يعرف أن يعمل حسناً ولا يفعل ، فتلك خطية له" (يع٤: ١٧) .

تعال يا حبيبى ، لنخرج إلى الحقول ، فإن الحصاد كثير والفعلة قليلون (مت٩: ٣٧).

✠ ✠ ✠

تعال ، لأنه لا يوجد عمل اسمى من العمل لأجل خلاص أنفس مات المسيح لأجلها، ولا يوجد عمل أشرف من العمل مع الله .

تعال نشترك مع الروح القدس فى عمل الخلاص ، تعال لنعمل مع الله : الله يعمل فينا، ويعمل بنا، ويعمل معنا. تعال ، لنكون سفراء لله ، خداماً له، نبنى ملكوته، وننفذ مشيئته، ونرعى أولاده ، ونقربهم إلى قلبه.. نجول نصنع خيراً (أع١٠: ٣٨) ، ونخلص على كل حال قوماً (١كو٩: ٢٢).

تعال يا حبيبى ، لنخرج إلى الحقول ، ولنبت فى القرى .

تعال يا حبيبى، لنذهب إلى أخوتك المنسيين والضائعين "والذين ليس لهم أحد يذكرهم.

تعـــال نعمـــل عمـــل الملائكة الأرضيين والملائكة السمائيين "المرسلين للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" .

✠ ✠ ✠

لـــيس عمـــل الملائكـــة قاصراً على التسبيح ، فإن يوحنا المعمدان الذى كان يهيئ الطريق قدام المسيح دعى ملاكاً . ورعاة الكنائس السبع دعوا ملائكة (رؤ٢، ٣)...

الاهتمام بخدمة القرى :

تعال يا حبيبى نذهب إلى الحقول "ونبت فى القرى" .

إن الله يـــبدى هـــنا اهتماماً خاصاً بالقرى ، لا نذهب إليها فقط ، بل نبيت فيها ، لأنها أكثر احتياجاً ، لنباشر عمل الرب هناك : هل أزهر الكرم ، هل نوّر الرمان ...

إجعلنى كخاتم على قلبك كخاتمٍ على ساعِدك

(نش ٨ ٦)

كلمة خاتم هنا معناها ختم Seal . فيكون القلب مختوماً به، وكذلك يكون الساعد (الذراع) مختوماً، مثلما قال الرب للمدينة المقدسة "نقشتك على كفى" (أش٤٩: ١٦) .

عبارة الختم على القلب تعنى الحب والعاطفة .

والختم على الساعد تعنى العمل الجاد . فالمساعدة مشتقة من الساعد .

والختم على كليهما يعنى العاطفة التى تعبر عن ذاتها بالعمل . فلا يكفى فقط أن تحبنى، بل أن تكون يدك معى أيضاً، تعمل معى.

✠ ✠ ✠

ومن جهة التأمل فى هذه الآية : يمكن أن تؤخذ كأنها موجهة من الإنسان إلى الله، أو من الله إلى الإنسان، أو من إنسان إلى إنسان غيره (أى فى العلاقات البشرية) .

فإن كانت لك محبة من نحو الله أو الناس ، ينبغى أن تكون المحبة فى قلبك، وأيضاً

فـــى عملـــك (فى ساعدك). وإن كان سفر النشيد قد تكلم عن الحب ، فلم يقصد به مجرد الحـــب فـــى القلـــب "حبيبى لى، وأنا له" (نش٢: ١٦) بل قيل أيضاً "شماله تحت رأسى، ويمينهُ تعانقنى" (نش٢: ٦). أى أن الساعد مشترك مع القلب . هنا الحب والحنان معاً .

✠ ✠ ✠

فالمحبة ليست مجرد عواطف أو كلام . بل قال الرسول "لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق" (١يو٣: ١٨) .

الأم تحـــب ابـــنها، طفلها رضيعها. هو خاتم على قلبها. وفى نفس الوقت هى تحمله وتحتمله، وتغذيه وترعاه وتنظفه وتداويه. هو خاتم على ساعدها .

والأب يحب أولاده . محبتهم فى قلبه. ولكنه يشتغل ويصرف عليهم (هم فى ساعده) .

ولنتناول هذه الآية من جهة الله ومحبته للإنسان .

مِن جهَة اللّـه :

لقـــد أحبـــنا الله "أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم حتى المنتهى" (يو١٣: ١). هنا المحـــبة فـــى القلب . ولكنها فى الساعد أيضاً، فى كل أعمال الرعاية، وكذلك فى الفداء "هكـــذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد. لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦) .

★إذن على الصليب، كان الحب فى القلب، وفى الساعدين المبسوطين وفى كل أنواع الرعاية ، ظهر عملياً الحب الذى فى القلب ...

✠ ✠ ✠

أحـــب الله الشـــعب المضطهد من فرعون، فظهرت يده القوية فى تخليصهم منه : فى الضـــربات العشـــر ، ثـــم فى شق البحر الأحمر. وبساعده اهتم بهم فى البرية، بهدايتهم، وبإنزال المن والسلوى من السماء ، وبتفجير الماء من الصخرة ..

أحـــب دانـــيال الملقى فى الجب، هذا عن القلب. وماذا عن ساعده؟ يقول دانيال "إلهى أرســـل ملاكه، فسد أفواه الأسود" (دا٦: ٢٢). ونفس الوضع مع الثلاثة فتية: تمشى معهم

فى النار، ولم يجعل لها سلطاناً عليهم (دا٣).

أحب يوسف الصديق ، فجعله إنساناً ناجحاً ، وزوّده بموهبة تفسير الأحلام، وأخرجه من السجن ليكون "رئيساً على كل أرض مصر" (تك٤٥: ٨) .

✠ ✠ ✠

وظهر قلب الله وساعده، فيما أجراه من معجزات .

كانوا خاتماً على قلبه فى قول الكتاب "لما أبصر الجموع تحنن عليهم" (مت٩: ٣٦) (مت١٤: ١٤) (مر٦: ٣٤) . وفى معجزة الخمس خبزات والسمكتين ، فى قوله "إنى أشفق على الجموع.. لئلا يخوروا فى الطريق" (مت١٥: ٣٢) . ولم يكتفِ بالإشفاق، بل أعطاهم ليأكلوا وأشبعهم ...

وأرملة نايين الباكية لموت ابنها وحيدها "لما رآها الرب، تحنن عليها" (لو٧: ١٣). هذا من جهة القلب. أما عن ساعده، فأقام ابنها ودفعه إلى أمه..

وساعده أيضاً يظهر فى معجزات الشفاء، إذ كانوا يقدمون له المرضى، فيضع يديه على كل واحد فيشفيهم" (لو٤: ٤٠) .

✠ ✠ ✠

★قلبه وساعده يظهران أيضاً فى أعمال المعونة والإنقاذ .

وبهذا يتغنى داود النبى فى المزمور فيقول "لولا أن الرب كان معنا حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء .. مبارك الرب الذى لم يسلمنا فريسة لأسنانهم . نجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين . الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا من عند الرب.." (مز١٢٤) .

أحب لعازر . وقيل "بكى يسوع". ولما رآه اليهود يبكى، قالوا "أنظروا كيف كان يحبه" (يو١١: ٣٥، ٣٦). ولم يكتف بحب القلب، بل أقام لعازر. هنا ساعده ..

✠ ✠ ✠

★قلبه وساعده ظهرا أيضاً فى أعمال المغفرة .

لاشك أن مغفرة الله للخطاة تدل على محبته، وأنهم خاتم على قلبه. ومن أجمل الأمثلة

هـنا، معاملته لزكا العشار، الذى كان أيضاً خاتماً على ساعده، فدخل إلى بيته، ولم يبال بانـتقاد اليهود الذين تذمروا لدخوله إلى بيت رجل خاطئ . بل أكثر من هذا أنه دافع عن زكـا وقـال "إذ هو أيضاً ابن ابراهيم". لذلك صرّح قائلاً "اليوم حصل خلاص لأهل هذا البيت" (لو١٩: ٩) .

✠ ✠ ✠

مثال آخر محبته لتوما الذى شك فى قيامته . وهكذا ظهر له ، ومدّ ساعده وقال لتوما "هـات أصبعك إلى هنا، وابصر يدىّ.. ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً". وهكذا فعل أيضاً فى إزالة شكوك كل تلاميذه (لو٢٤: ٣٦- ٤٣) .

وظهـرت محبـته للمـرأة المضبوطة فى ذات الفعل، أنه مد يده وكتب على الأرض (غالـباً خطايا المتآمرين عليها). ونجاها منهم قائلاً لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو٨: ٧) .

كذلـك مع الخروف الضال : لم يكن فقط خاتماً على قلبه، بل أيضاً ذهب وبحث عنه حتى وجده. وامتد ساعده فأخذه "وحمله على منكبيه فرحاً" (لو١٥: ٥). وهكذا فعل أيضاً مع الدرهم المفقود (لو١٥: ٨) .

✠ ✠ ✠

★قلب الله وساعده ظهرا أيضاً فى أعمال الرعاية :

إنـه ليس فقط يحب غنمه ، بل أيضاً "يبذل نفسه عن الخراف" (يو١٠: ١١) بل يقول أيضـاً "وأنـا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد. ولا يخطفها أحد من يدى" (يو١٠: ٢٨). لماذا؟ لأنها "خاتم على ساعده" .

ولأنها خاتم على ساعده، لا يجعلها معوزة شيئاً ، بل "فى مراع خضر يربضها، وإلى مـاء الـراحة يوردهـا. يهديها إلى سبل البر" (مز٢٣) . وهكذا يقول "أنا أرعى غنمى وأربضـها.. واطلـب الضـال، واسترد المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح.." (حز٣٤: ١٥، ١٦). أليست هذه أعمال ساعده؟ ..

ومـن عمـل سـاعده فى أعمال الرعاية ، قوله : إذا وقع خروفك فى يوم سبت، ألا

تقيمه؟ (مت١٢: ١١) . هذا يقودنا إلى نقطة أخرى هى :

✠ ✠ ✠

★قلب الله وساعده فى عمل التوبة والخلاص :

إننا خاتم على قلبه "يريد أن الجميع يخلصون، وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤). ولا يُسـرّ بموت الخاطئ، بل أن يرجع ويحيا" (حز١٨: ٢٣) ... ولكنه لم يكتفِ هنا بأن نكـون مجـرد خاتم على قلبه، بل جعلنا أيضاً خاتماً على ساعده. وكيف؟ بأن أرسل إلينا الأنبـياء والوحى والوصايا. وكلّف رسله بخدمة المصالحة، ينادون لنا "أن اصطلحوا مع الله" (٢كـو٥: ٢٠). وبالإضافة إلى هذا، منحنا النعمة وعمل روحه القدوس "يبكتنا على خطـية" (يـو١٦: ٨) ويذكرنا بكل ما قاله الرب لنا (يو١٤: ٢٦). وأرسل إلينا ملائكته "كأرواح خادمة، مرسلة للخدمة ، لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤).

آه يـارب، أنا أعرف أنك جعلتنى خاتماً على قلبك، إجعلنى أيضاً خاتماً على ساعدك، وساعدنى بكل قوتك على خلاص نفسى. لا تتركنى ...

✠ ✠ ✠

مِن جهَة البَشَر :

تكلمنا عن الله – تبارك اسمه – وكيف أنه جعلنا خاتماً على قلبه وخاتماً على ساعده. وبقى أن نسأل : هل يفعل البشر هكذا فى علاقتهم مع الله؟

كلـنا نقول إننا نحب الله، وقد جعلناه خاتماً على قلوبنا. فهل جعلناه أيضاً خاتماً على سواعدنا؟ وهل يظهر هذا فى حياتنا العملية؟

✠ ✠ ✠

أمثلة توضح كيف يكون الله خاتماً على سواعدنا ، أو لا يكون كذلك :

★كان السيد المسيح خاتماً على قلب بطرس، حينما قال له بطرس "ولو أنكرك الجميع لا أنكرك" "لو شك فيك الجميع، فأنا لا أشك" (مت٢٦: ٣٣) (مت٢٦: ٣٥) "أنا مستعد أن أذهـب معـك إلى الموت وإلى السجن" (لو٢٢: ٣٣). ولكنه لم يجعل السيد على ساعده، حيـنما أنكره ثلاث مرات، وسب ولعن وقال "لا أعرف الرجل" (مت٢٦: ٧٤). كان على

ســـاعده (وإنما بطريقة خاطئة) حينما استل سيفه دفاعاً عنه وقطع أذن العبد (يو١٨: ١٠) وحيـــنما جاهد من أجله فيما بعد، وقال "ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع٥: ٢٩) وأيضاً حينما صُلب بسبب إيمانه به، كان الرب خاتماً على قلبه، وخاتماً على ساعده .

✠ ✠ ✠

★أيضاً باقى التلاميذ كان الرب خاتماً على قلوبهم (مت٢٦: ٣٥) ولكنه لم يكن خاتماً على سواعدهم حينما هربوا وقت القبض عليه (مت٢٦: ٥٦) ثم أصبح الرب خاتماً على قلوبهم وسواعدهم بعد حلول الروح القدس عليهم (أع٢) .

★أيضـــاً الذيـــن أنكروا الرب فى عصر الاستشهاد ثم عادوا فتابوا، كان الرب خاتماً على قلوبهم، ولم يكن خاتماً على سواعدهم وقت إنكارهم.

★أمـــا الشهداء والمعترفون ، فكان الرب خاتماً على قلوبهم وعلى سواعدهم.. وكذلك أيضاً كل أبطال الإيمان، الذين جاهدوا واحتملوا بسبب إيمانهم .

✠ ✠ ✠

عناصر فى جعل الله خاتماً على سواعدنا :

١ – فى عمل الرعاية وبناء ملكوته :

قال السيد الرب لبطرس "أتحبنى..؟ .. أرعَ غنمى.. أرعَ خرافى" (يو٢١: ١٥، ١٦). أى إن جعلتـــنى خاتمـــاً على قلبك، فاجعلنى خاتماً على ساعدك برعاية أولادى.. كإنسان يقول للرب: أنا جعلتك يارب خاتماً على قلبى. والدليل على ذلك إننى أحمل أولادك على ذراعى .. ينطبق هذا على كل بناة الملكوت، كل الرسل والمعلمين الحقيقيين .

✠ ✠ ✠

٢ – كل الذين يتعبون فى الخدمة من أجل الله .

مثلما قال بولس الرسول "جاهدتُ الجهاد الحسن.. حفظت الإيمان" (٢تى٤: ٧). "وأنا تعبـــت أكـــثر من جميعهم" (١كو١٥: ١٠) "فى الأتعاب أكثر" (٢كو١١: ٢٣). وكما قال لتلميذه تيموثاوس "اعكف على الكلمة" "عظ، وبخ، انتهر، بكل أناة وتعليم" (٢تى٤: ٢).

✠ ✠ ✠

٣ - بحفظ الوصايا، وحياة القداسة .

قـــالَ الرب "إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى" (يو١٥: ١٠). "من يحبنى" أى من يجعلـــنى خاتماً على قلبه. يحفظ وصاياى، أى يجعلنى خاتماً على ساعده، بأن يجاهد فى تنفيذ أوامرى. وبهذا يكون نقياً فى قلبه .

هنا الارتباط الوثيق بين الخاتم على القلب والخاتم على الساعد.

قـــال القديـــس يوحـــنا الرســـول فى رسالته الأولى "من قال قد عرفته وهو لا يحفظ وصـــاياه، فهو كاذب وليس الحق فيه . وأما من حفظ كلمته، فحقاً فى هذا قد تكملت محبة الله" (١يو٢: ٤، ٥) .

✠ ✠ ✠

٤ - تجعل الرب خاتماً على ساعدك ، بالطاعة .

★أبونا ابراهيم أبو الآباء ، كان الرب خاتماً على قلبه، ومن أجله ترك أهله وعشيرته وبيـــت أبيه (تك١٢: ١) ومضى وهو لا يعلم إلى أين يذهب (عب١١: ٨). بهذا كان الله علـــى ساعده أيضاً، وبالأكثر حين أطاع الله فى تقديم ابنه وحيده الذى يحبه أسحق، ورفع ساعده بالسكين ليقدمه محرقة لله (تك٢٢) .

★الملائكـــة يحـــبون الله ، هـــو خـــاتم على قلوبهم . وهم أيضاً يجعلونه خاتماً على سواعدهم، بقول الكتاب عنهم "الفاعلين أمره عند سماع صوت كلامه" (مز١٠٣: ٢٠) .

✠ ✠ ✠

٥ - تجعل الله خاتماً على سواعدنا ، بالاهتمام ببيته .

★حينما سمع نحميا أن أورشليم مهدمة وأبوابها محروقة بالنار، يقول "لما سمعت هذا، جلســـت وبكيـــت، ونحت أياماً وصمت وصليت" (نح١: ٤) هنا كان الله خاتماً على قلبه. ولكنه لم يكتفِ بهذا، بل كلّم الملك أرتحشستا وذهب فعلاً وبنى سور أورشليم، واحتمل فى سبيل ذلك الكثير. فكان الرب بذلك خاتماً على ساعده .

★كذلك كان داود النبى، حينما أعدّ كل العدة لبناء بيت الله .

✠ ✠ ✠

★وكذلك كل من يصرف على تعمير الكنائس والأديرة، مثلما كان يفعل المعلم إبراهيم الجوهرى . وأيضاً من يهب بيته ليكون كنيسة كما فعلت مريم أم مرقس الرسول (أع١٢: ١٢). وكما فعل أكيلا وبريسكلا (رو١٦: ٥). وكما فعل نمفاس فى لاوديكية (كو٤: ١٥) وغيرهم .

كل هؤلاء ، كان الله خاتماً على قلوبهم، وعبروا عن ذلك بأن وهبوا بيوتهم لله. وبرهنوا بذلك على أن الله خاتم على سواعدهم.

وفى هذه النقطة لا ننسى ما فعلته : الملكة القديسة هيلانة .

✠ ✠ ✠

٦ – أيضاً جعلوا الرب خاتماً على سواعدهم : أولئك المتوحدون والنساك :

بسبب محبتهم للملك المسيح ، كان خاتماً على قلوبهم . وعبروا عن كونه خاتماً على سواعدهم، بأن تركوا من أجله العالم وكل مشتهياته، واحتملوا آلام الوحدة ومتاعب الطبيعة، والنسك والصوم والسهر .

✠ ✠ ✠

٧ – كذلك الذين يحيون حياة التسبيح والصلاة الدائمة .

سواء كانوا من السواح أو الرهبان. أو مثل طائفة السارافيم الذين يسبحون الله قائلين "قدوس قدوس قدوس.." (أش٦: ٣) . أو من يجاهدون فى الصلاة وفى التأمل قدر طاقتهم، أو يأخذون طقس مريم التى جلست عند قدمى المسيح، تسمع وتتأمل (لو١٠: ٣٩)

✠ ✠ ✠

٨ – نضم إلى هؤلاء : الذى يعترف باسم الرب ، ويجاهر باسمه .

مثال ذلك يوسف الرامى فى قصة صلب المسيح. كان التلاميذ خائفين، والبعض أنكر. أما هو فذهب إلى بيلاطس، وطلب جسد يسوع بعد موته (مر١٥: ٤٣). ولم يخف، وكفنه، ودفنه فى قبر جديد له، معلناً إيمانه به، واهتمامه بجسده وهو ميت .

✠ ✠ ✠

٩ – يجعـــل الرب خاتماً على ساعده أيضاً ، من له غيرة مقدسة فى الدفاع عن اسم الرب .

مـــثال ذلك الشاب داود، لما سمع جليات الجبار يجدف على اسم الرب وشعبه. حينئذ أخذتـــه الحمية، وقال: من هذا الأغلف حتى يعيّر صفوف الله؟ .. لا يسقط قلب أحد بسببه (١صـــم١٧: ٢٦، ٣٢). ولم يبال بقوة الرجل وجبروته، وبأن الجيش كله خائف منه. بل ذهب ليحاربه وهو لا يملك سوى المقلاع وبعض حصوات ملساء!

✠ ✠ ✠

١٠ – أيضاً يجعل الرب خاتماً على ساعده ، من يضبط جسده ونفسه .

ويقول مع القديس بولس الرسول "اقمع جسدى واستعبده" (١كو٩: ٢٧). من أجل محبة الله الذى جعله خاتماً على قلبه، يجاهد شهواته، ويصلب الجسد مع الأهواء (غل٦: ٢٤). وبهـــذا يجعـــل الرب خاتماً على ساعده، لأنه يعمل من أجله مجاهداً نفسه، متأثراً بتوبيخ الرسول الذى قال "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية" (عب١٢: ٤) .

✠ ✠ ✠

١١ – عبارة "اجعلنى كخاتم على قلبك، كخاتم على ساعدك" تشمل الإيمان والأعمال.

"خاتم على قلبك" تشير إلى الإيمان. و"خاتم على ساعدك" تشير إلى الأعمال. ولا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان الروحية بدون الاثنين معاً. فالخاتم على الساعد ثمر للإيمان، ثمر للخاتم على القلب .

✠ ✠ ✠

١٢ – أحـــياناً تكـــون وســـائط النعمة خاتماً على ساعدك، وليست خاتماً على قلبك! مجرد عمل خالٍ من الحب .

★كالعـــبادة التى تتحول إلى روتين، وتخلو من العاطفة والحب. وقد وبخ الرب أمثال هـــؤلاء قائلاً "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه، وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (مت١٥: ٨). فهو ليس خاتماً على قلبه. وبالمثل ما قاله الرب عن كل العبادات المرفوضة منه ...

✠ ✠ ✠

★وهكـذا كـان الفريسـيون ، يدققون كثيراً فى تنفيذ الشريعة، بدرجة وصلت إلى الحرفـية، وكأنها خاتم على سواعدهم! وفى نفس الوقت لم يكن الله خاتماً على قلوبهم، إذ كانـت قلوبهـم مركـزة فى الذات والعظمة! ونجد مثالاً واضحاً لذلك فى قصة الفريسى والعشار. حيث قال الفريسى "أشكرك يارب أنى لست مثل سائر الناس الخاطفين الظالمين الـزناة، ولا مثل هذا العشار . أصوم مرتين فى الأسبوع ، وأعشّر كل ما أقتنيه" (لو١٨: ١١، ١٢). كان الله خاتماً على ساعده بكل هذه الأعمال ... ولكنه لم يكن خاتماً على قلبه. لذلك لم ينزل من الهيكل مبرراً (لو١٨: ١٤).

★مثال آخر : من يدق صليباً على ذراعه ، أو من تعلق صليباً على صدرها. ويكون كـل منهما بعيداً عن محبة الله. فالله خاتم على ساعده وليس خاتماً على قلبه! وبالمثل كل من هو مسيحى بمجرد الاسم ...

✠ ✠ ✠

فى معاملات الناس :

★هناك النخوة والشجاعة ، فى القلب وفى العمل .

مـثال ذلك موقف ابينا ابراهيم، لما سمع عن سبى لوط ضمن سبى سادوم. كان لوط خاتمـاً علـى قلبه، فلم يحتمل أن يتركه مسبياً، وتحركت النخوة فى قلبه. ولكنه لم يكتف بهـذا. بل يقول الكتاب: "فلما سمع ابرام أن أخاه سبى، جرّ غلمانه المدربين، ولدان بيته ثلاثمائـة وثمانية عشر". وهكذا حارب وردّ سبى لوط وسادوم (تك١٤: ١٤- ١٦) . بهذا اشترك ساعده مع قلبه .

★مـثال آخـر هو دفاع الجندى عن وطنه . بمحبته لوطنه، يكون وطنه خاتماً على قلـبه. ولكنه يصبح أيضاً خاتماً على ساعده، حينما يحمل هذا الجندى سلاحاً ويدافع عن وطنه. وقد يجرح أو يُقتل من أجله .

✠ ✠ ✠

أمثلة أخرى، يكون فيها الخاتم على القلب، خاتماً على الساعد:

★موقف بولس الرسول من أنسيموس عبد فليمون :

كسلن خاتماً على قلبه، في قوله عنه "ابني أنسيموس الذي ولدته في قيودي.. الذي هو أحشائي" (فـل١٠، ١٢) "لا كعبد فيما بعد، بل أفضل من عبد، أخاً محبوباً ولاسيما إليّ" (فل١٦) ...

وكان أنسيموس خاتماً على ساعد القديس بولس، في قوله عنه لفليمون "إن كان ظلمك بشئ، أو لك عليه دين، فاحسب ذلك عليّ. أنا بولس كتبت بيدي، أنا أوفي" (فل١٨، ١٩).

✠ ✠ ✠

★مثال آخر في معجزة الخمس خبزات والسمكتين: لم يكتف السيد الرب باشفاقه على الشعب وعدم صرفهم جوعانين . وإنما جعلهم خاتماً على ساعده، حينما بارك الخبز القليل وأعطاهم، فشبعوا وفضل عنهم . وأعطانا درساً حينما قال لتلاميذه "أعطوهم أنتم ليأكلوا" (لو٩: ١٣) .

إذن لا يكفي أن نظهر اشفاقنا على الفقراء ، أو أن نكتب في ذلك مقالات. فالخاتم على القلب وحده لا يكفي. إنما يجب أن نعطيهم ليأكلوا ، وبذلك يكونون خاتماً على سواعدنا أيضاً .

★كذلك أيضاً في معاملاتنا للأطفال ، لا يكفي فقط أن نحبهم، إنما نظهر حبنا لهم بما نقدمه من هدايا أو من ملاطفة .

✠ ✠ ✠

★إن العاطفة خاتم على القلب . أما العطاء فهو خاتم على الساعد، وتعبير عملي عن الخاتم الذي على القلب .

والسيد المسيح لم يأمر تلاميذه فقط بأن يتلمذوا الناس ويعمدوهم ويعلموهم (مت٢٨: ١٩، ٢٠). إنما قال لهم أيضاً : "اشفوا مرضى، طهروا برصاً، اقيموا موتى، اخرجوا شياطين" (مت١٠: ٨). وبذلك يكون الناس خاتماً أيضاً على سواعدهم.. وقال كذلك "مهما فعلتموه باخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي قد فعلتم" (مت٢٥: ٤٠) .

★فمثلاً ابن يحب أباه، ويجعله خاتماً على قلبه. يجب أيضاً أن يجعله خاتماً على ساعده: بأن يحترمه، ويهتم به في شيخوخته، ويعوله، كما فعل يوسف الصديق مع أبيه

يعقوب فى أرض مصر (تك٤٧) .

✠ ✠ ✠

هناك أمثلة عكسية لا يتفق فيها الخاتمان معاً (القلب والساعد)

★يعقــوب أبــو الآباء : لاشك أنه كان يحب أباه اسحق ويحترمه ويجعله خاتماً على قلــبه، ويطلب بركته ويسعى إليها. لكنه لم يجعل أباه خاتماً على ساعده، حينما خدع أباه وكذب عليه، وقال له "أنا عيسو بكرك" (تك٢٧: ١٩) ...

★كذلــك فــى قصة أصحاب أيوب، لما أتوا إليه فى تجربته، أظهروا أنه كان خاتماً علــى قلوبهــم حينما حزنوا عليه "ورفعوا أصواتهم وبكوا، ومزّق كل واحد جبته، وذروا تراباً فوق رؤوسهم.." (أى٢: ١٢) . ولكنه لم يكن خاتماً على سواعدهم فى كلامهم معه، حينما أخزوه، ولم يراعوا شعوره، بل اتهموه ظلماً وأثاروه ...

✠ ✠ ✠

★نحــن نحب ملكوت الله ونجعله خاتماً على قلوبنا. فهل جعلناه خاتماً على سواعدنا بالعمل لأجله . إننا نقول "مساكنك محبوبة أيها الرب إله القوات" (مز٨٤: ١) . فكما أنها هكــذا خــاتم علــى قلوبنا، هل جعلناها خاتماً على سواعدنا، بالخشوع فيها ودوام التردد عليها؟!

فى الليل عَلىَ فراشى (نش ٣: ١)

نود أن نتأمل فى قول عذراء النشيد :

"فى الليل على فراشى، طلبت من تحبه نفسى. طلبته فما وجدته. إنى أقوم وأطوف فى المدينة، فى الأسواق وفى الشوارع، أطلب من تحبه نفسى. طلبته فما وجدته" (نش٣: ١، ٢) .

عبارة "فى الليل" لها معنيان : إما الليل بمعناه الحرفى. وإما الليل بمعناه الرمزى، أى فى الظلمة ، فى الحيرة أو في ظلمة القلب، فى التعب الروحى الذى أنا فيه ..

"وعلى فراشى" تعنى : فى كسلى ، فى تهاونى ، فى رقادى ، فى بعدى عن الله.. فى كل هذا "طلبته فما وجدته" .. أو يُقصد بها معناها الحرفى .

والتى تقول هذا ، إما أنها إنسانة أممية وسوداء، ليست من شعب الله. أو هى نفس خاطئة كسلانة، راقدة على فراشها ، لم تفتح بعد قلبها للرب، "فتحول عنها وعبر" ..

وهى نفس تعيش فى مرحلة التخلى. لقد تخلى عنها الرب – ولو جزئياً – لذلك هى تصرخ وتقول "طلبته فما وجدته"

✠ ✠ ✠

مرحلة التخلى وأسبابها :

عجيب أن إنساناً يطلب الله فلا يجده. بينما قال الرب "أطلبوا تجدوا" (مت٧: ٧). وهو الواقف على الباب يقرع لنفتح نحن له! (رؤ٣: ٢٠). وأيضاً هو القائل "من يقبل إلىّ، لا

أخرجه خارجاً" (يو٦: ٣٧). إذن لماذا هذا التخلى منه تجاه نفس تطلبه؟!

إن التخلى يأتى إما بسبب الإنسان، أو لحكمة الله فى التدبير .

قــد يأتى بسبب قسوة قلب الإنسان، وعناده وإصراره على الخطية، ورفضه أنذارات الله المتكررة، أو رفضه عمل النعمة ، كما سلك فرعون.. أو بسبب عدم استسلامه للروح القــدس، وعــدم استجابته لنداء الله ونداء الضمير .. فيصل إلى مرحلة التخلى، التى قد تتطور إلى حالة الرفض الكامل ...

✠ ✠ ✠

وربما يتخلى الرب جزئياً ومؤقتاً عن إنسان، حتى لا يرتفع قلبه فى بره. فيقوده هذا التخلى إلى الإتضاع .

إنسان سالك فى البر. وربما يظن أنه قد وصل! فيرتفع قلبه.. أو يُحارب بهذا. فيتخلى الرب عنه – ولو قليلاً – لكى يعرف ضعفه..

أو قــد يكونون "باراً . وفى عدم سقوطه، لا يشفق على الساقطين. فيتخلى عنه الرب فيســقط. وحينــئذ يحنو على الخطاة ، إذ قد جرّب حروب العدو وشدتها. ويعرف حكمة الرسول فى قوله "أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم. و(أذكروا) المذلين كأنكم أنتم أيضاً فى الجسد" (عب١٣: ٣) .

إذن ليس كل الذين يتخلى عنهم الرب أحياناً ، كانوا أشراراً وساقطين !

✠ ✠ ✠

مَن تحبه نفسى :

"فى الليل على فراشى ، طلبت من تحبه نفسى. طلبته فما وجدته" .

إن عبارة "من تحبه نفسى" ، قد تكررت هنا كثيراً ...

وعجيب أن هذه العروس – على الرغم من كسلها وسوادها وتهاونها – لا تزال تكرر القول بأنها تحب الرب !! وكأنها تقول له :

إننى أخطئ ، ولكننى أحبك .

المحــبة موجودة "لم تسقط أبداً" (١كو١٣: ٨) على الرغم من الضعف البشرى، الذى بسببه قد أسقط أحياناً. مثلما حدث للقديس بطرس الرسول الذى "أنكر الرب ثلاث مرات" (مــت٢٦: ٧٥). ومــع ذلك قال له بعد القيامة : "أنت تعلم يارب كل شئ. أنت تعلم أنى

أحـــبك" (يو٢١: ١٧). ومثلما قال القديس بولس الرسول "الإرادة حاضرة عندى. وأما أنا أفعـــل الحسنى فلست أجدّ لأنى لست أفعل الصالح الذى أريد، بل الشر الذى لست أريده، فإياه أفعل" (رو٧: ٨، ١٩) .

✠ ✠ ✠

"أنـــا يـــارب نائمة حقاً، ولكنى أحبك . إننى أخطئ حقاً، ولكنى أحبك . أنا أحبك من أعمـــاقى. ولست أفعل الخطية عن نقص فى محبتى. بل عن ضعف، أو تعود، أو عثرة، أو لشدة الحرب، أو لدوافع خارجة عنى ...

حقاً إننى لا أعمل أعمالاً تليق بمحبتى لك . ولكنى على الرغم من ذلك أحبك. إن حبى لـــك يشبه بذرة حية، فيها كل عناصر الحياة. ولكن لها حياة كامنة لم تظهر بعد.. ربما لو توفـــرت لهـــا التربة الخصبة والماء والرى وكل ظروف الإنبات، لظهرت هذه الحياة فى جذور وساق وفروع وأوراق وأزهار وثمار .. هكذا أنا .

ولكن عدم ظهور حياة الحب فىّ ، لا يمنع أنها موجودة ...!

✠ ✠ ✠

فى الليل عَلَىَ فراشى :

★زكا العشار طلب الرب فى الليل ، وهو على فراشه ، فى ظلمة الظلم (لو١٩). لم يـــترك أعمـــال العشارين ويطلب الرب. بل طلبه وهو رئيس العشارين. حتى أن اليهود تذمروا على السيد كيف يدخل بيت رجل خاطئ! (لو١٩: ٧) .

★واللص اليمين ، طلب الرب بالليل، على فراشه على الصليب (لو٢٣: ٤٢) .

★وأوغسطينوس طلب الله وهو فى عمق الليل، فى عمل الخطية والشك !

★مريم القبطية ، بيلاجية، موسى الأسود .. كل أولئك طلبوا الرب فى الليل !

المهـــم أن كـــل هؤلاء طلبوا الرب فى الليل وعلى فراشهم فوجدوه .أما هذه العذراء فقط طلبته ، ولم تجده !

وعلى الرغم من ذلك ظلت تسعى وراءه حتى وجدته (نش٣: ٣، ٤) .

✠ ✠ ✠

هناك نوعان من الناس فى طلب الله ، وهم خطاة ..

خاطئ يجاهد ، وينتظر حتى يتطهر ويتقدس ، فيجرؤ أن يتصل بالله .

وخاطـــئ آخر لا ينتظر ذلك ، بل – في خطيئته وسقوطه – يطلب الله ، لكيْ يطهره الله ويقدسه . وكأنه يقول للرب :

لست أنتظر حتى أتطهر فأطلبك . إنما أطلبك لكي تطهرني .

لست أنتظر حتى أصير مجتهداً وقوياً في الروح ثم أطلبك ، إنما وأنا كسلان، سأطلبك الآن لكي تنجيني من كسلي وتقويني .

هل أتوب أولاً ثم أطلبك؟! أم أطلبك وأقول "توّبني فأتوب" (أر ٣١: ١٨) .

✠ ✠ ✠

نعم ، سأطلبك وأنا بعيد عنك ، لكي تقربني أنت إليك .

ســأطلبك وأنا على فراشي ، لكي توقظني من نومي . أطلبك وأنا في الخطية ، لكي تنجيـــني مـــنها .. النية موجودة عندي . ولكني لم أسِر بعد في الطريق، بل أطلب نعمتك لكي تقودني .. إن الابنَ الضال لم يلبس الحلة الأولى وهو في كورة الخنازير، إنما ألبسه أبوه إياها (لو١٥: ٢٢) . وقد رجع هو إليه بثيابه المتسخة ...

إن الله يريدك أن تأتي إليه كما أنت ، فلا تنتظر .

لا تنـــتظر حـــتى تصل إلى الصلاة الطاهرة ، ثم بعد ذلك تصلي ! كلا ، بل صلِّ حتى وأنـــت في طياشة الفكر، وعدم الفهم وعدم القابلية ! حينئذ يمنحك الله الصلاة الطاهرة، مكافأة على ثباتك وأنت في ضعفك .

✠ ✠ ✠

★"في الليل على فراشي ، طلبت من تحبه نفسي" .

لو كان الذين يطلبونك يارب هم القديسون وحدهم، لضعنا جميعاً .. ولكن الخطاة أيضاً يطلبونك . وهذا يعطينا رجاء .

جمـــيل جـــداً، ومعزٍ للغاية، أن يشعر الواحد منا أن الله في وسط الليل، أوجد نجوماً وكواكب تنير ظلمة الليل ...

كذلـــك ، وأنت في ظلمة الخطية، هناك أضواء تحيط بك. يكفي أنك مازلت تحب الله وتطلبه .

✠ ✠ ✠

أنـــا يـــارب أريد أن أكون معك، حتى وأنا في الخطية!! إن الخطية تحطم النقاوة في

حـــياتى، ولكنها لا تحطم عواطفى نحوك. مثل ابن يخالف أباه لتحقيق شهوة ما، ولكنه لا يزال يحب أباه ...

"فـــى اللـــيل على فراشى ، طلبت من تحبه نفسى" . طلبته وأنا على فراشى. ليس فى الكنيســـة، ولا فـــى أماكـــن العـــبادة، ولا فى اجتماع روحى.. لذلك لا تحتقروا الذين لا يحضرون الكنيسة. ربما يطلبون الله على فراشهم .

✠ ✠ ✠

ربما كلمة (الليل) ، تعنى أيضاً الليل بمعناه الحرفى .

فقـــد لا أجد فرصة التقى فيها مع الله، خلال ضوضاء النهار ، وزحمة الناس، وكثرة اللقـــاءات ، وكـــثرة المشغوليات، وما يقدمه النهار من مشاكل وأحداث وأخبار، أكون فى وسطها مثل التائه ..

ولكنـــنى فـــى الليل، فى هدوئه وسكونه ، أجد فرصة للإنفراد بك . وهكذا "فى الليل، على فراشى، طلبت من تحبه نفسى" حسب قول المزمور:

فى الليالى أرفعوا أيديكم أيها القديسون ، وباركوا الرب (مز١٣٤) .

نعـــم ، فـــى اللـــيل عَلـــى فراشى . ولذلك حسناً قال الرب عن الصلاة : "أدخل إلى مخدعـــك" (مـــت٦: ٦). كذلك قول المرتل فى المزمور "الذى تقولونه فى قلوبكم، أندموا عليه فى مضاجعكم" (مز٤) .

✠ ✠ ✠

إذن ما معنى : طلبته فى الليل ، فما وجدته ؟

أنـــا أتيت فى الليل ، وفكرى مشغول بأحاديث وأحداث النهار ، فلما طلبتك لم أطلبك بفكـــر مركـــز فيك، بل وأنا مهتم ومضطرب لأجل أمور كثيرة، "بينما الحاجة إلى واحد" (لو١٠: ٤١، ٤٢) . لهذا ما وجدتك !

✠ ✠ ✠

أو ربما لم أجدك ، لأن هناك حواجز بينى وبينك .

لهذا أنا أدعو، وأنت لا تستجيب. وأشعر أنه تقف أمامى عبارتك التى تقول فيها "حين تبســـطون أيديكـــم، اســـتر وجهى عنكم. وإن أكثرتم الصلاة، لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً" (أش١: ١٥) .

توجـــد حواجـــز بيـــنى وبينك، لأننى تركت محبتى الأولى، وفقدت الدالة التى كانت تربطـــنى بك، وخنت عشرتك.. وأشعر فى مذلة نفسى أن كلماتى لا تدخل إليك، وكأننى لست ابنك!!

أريد أن اصطلح معك، واسترجع المحبة القديمة التى كانت بيننا. أريد أن أعتذر إليك، وأطيّب قلبك من جهتى. نعم أريد .

✠ ✠ ✠

عذراء النشيد ، كانت أحكم من أبينا آدم حينما أخطأ .

أبونا آدم أخطأ ، فهرب من الله ، وأختبأ خلف الشجر (تك٣: ٨) . أما عروس النشيد، فإنهـــا تسعى إلى الله لكى تجده ، حتى لو كانت فى حالة سيئة ! لكى يوجد حديث وسعى وبحث فى الشوارع والأسواق عنه.

حقاً يارب إننى فى مرحلة تخلى . ولكنى سأسعى وراءك بكل قوة لكى أرجع علاقتى بك. سأبحث عنك ، واسأل الناس عنك، حتى أجدك ..

✠ ✠ ✠

احـــترس يا أخى إذن من جهة علاقتك بالله . لا تقل قد تخلى الرب عنى، سأتخلى أنا أيضاً!! لا صلاة ولا كنيسة ولا اعتراف...!!

قل له : أنت لو تخليت عنى، فلن تخسر شيئاً. أما أنا فسوف أفقد كل شئ. إن تخليت عنى سأضيع . لأن فيك وجودى وحياتى ومصيرى .

لـــو تخليت عنى، سأجرى وراءك فى الشوارع والأسواق ، وأقوم وأطوف فى المدينة أطلب من تحبه نفسى (نش٣: ٢) سأفتش عليك فى كل موضع، لأننى بدونك لا أستطيع شيئاً (يو١٥: ٥) . وإن كنت غاضباً منى، أو غاضباً علىّ، سأحاول أن أصالحك وأعتذر إلـــيك. لـــن أهرب منك كما فعل جدى آدم، إذ "بك نحيا ونوجد ونتحرك" (أع١٧: ٢٨) . وكما قال عبدك الرسول بولس "لى الحياة هى المسيح" (فى١: ٢١) .

✠ ✠ ✠

★نفسى على فراشها . ولكنها فترة مؤقتة ، ستزول بعد حين .

مجـــرد كســـل عارض ، فلا تحسبه صفة العمر كله . حقاً إننى تركتك يارب بعض الوقـــت، وجريت وراء شهوات العالم. ولكنها مجرد شهوات وليست . باً. فالحب بحقيقته

هو لك وحدك، الحب كله فى عمقه .

أما ما يربطنى بالعالم، فهو مشاعر طارئة زائلة، مجرد ملاذ وقتية لا يمكن أن ترتقى إلى مستوى الحب. لأن الحب هو عاطفة عميقة عميقة ، فى عمق أعماق القلب، الذى هو لك، وأنت له.

العـــالم بالنســـبة لى كان عَرَضاً لا جوهراً . أما الحب فهو لك ، والقلب هو لك، أنت الذى تحبه نفسى، حتى إن اشتهت غيرك أحياناً .

✠ ✠ ✠

تقـــول عروس النشيد : طلبته فما وجدته . ولكن ليس معنى هذا أننى سوف لا أجده طول العمر! فإن لم أجده اليوم سأجده غداً .

ذلـــك لأن نفســـى لا تستطيع أن تحيا إن لم تجده، فهى لا تحيا بدونه. كما أنه – فيما أبحث عنه – هو يبحث أيضاً عنى حتى يجدنى. ومتى وجدنى، سوف يضعنى على منكبيه فرحاً، كما فعل مع خروفه الضال حينما وجده (لو١٥: ٤، ٥) .

إن هذه العروس تعطينا مثالاً للنفس التى لا تيأس مهما فقدت الرب! وكما يقول الرب "بصبركم تقتنون أنفسكم" (لو٢١: ١٩) .

✠ ✠ ✠

هذا التخلى من الله كانت له فائدته ، لأن النائمة قامت .

تركت فراشها ، وظلت تبحث عنه . تحركت وتقدمت وطلبت (نش٣: ٢) .

وهكذا بتخلى الله الجزئى ، يجعلنا نتحرك . إذ لا يصح أن نستلقى على ظهورنا ونتام، ونطلب من النعمة أن تعمل كل شئ !!

إن كـــان روح الله يعمل فينا، فيجب علينا أن نشترك مع روحه فى العمل. فهذه هى "شركة الروح القدس" كما يذكرها الكتاب (٢كو١٣: ١٤) .

إنك قد قلت يارب "من يحبنى يحفظ وصاياى" .. وأنا أحبك، ولكننى لم أحفظ وصاياك بعد!! إذ لم أصل حتى الآن إلى هذه الدرجة . ومع ذلك فإننى أطلبك ، لكى تعطينى القوة التى أحفظ بها وصاياك . فأحبك حينئذ بالعمل ، وليس بمشاعر القلب فقط .

طلبته فمَا وَجدته (نش ٣: ١)

تقــول عذراء النشيد "في الليل على فراشي، طلبت من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته" (نش٣: ١) .

إنها عبارة مؤثرة ومتعبة للنفس، كيف أن إنساناً يطلب الله، فلا يجده في حياته؟! كيف أن الله الــذى يقــول "أطلبوا تجدوا" (مت٧: ٧) تقول عنه هذه العذراء "طلبته فما وجدته" (نش٣: ١)؟! وتكررها مرة أخرى (نش٣: ٢) .

✠ ✠ ✠

التخــلى :

نعــم ، هــناك فترات من التخلى تبعد فيها النعمة. والنفس تطلب الرب فلا تجده!.. الظلمة تدهمها، فتبحث عن طاقة من نور..!

فــترات فــيها "تكــون سماؤك التى فوق رأسك نحاساً، والأرض التى تحتك حديداً!! (تث٢٨: ٢٣). لا تشعر بالدالة التى بينك وبين الله، أو التى كانت بينك وبينه! ولا بالعشرة والصلة القديمة!.. لا إحساس بوجود الله، ولا متعة، ولا عاطفة ...

مــرّت عليك أوقات من قبل ، كنت فيها ناراً مشتعلة. والآن تبحث عن تلك النار فلا تجدها. لا حرارة فى الصلاة، ولا عاطفة فى القلب، ولا تعزية ولا شعور، تطلب الله ولا تجده ..

هل لأنك الآن على فراشك ، بعد نهار قضيته فى مشاغل كثيرة! وإذا بمشاغل النهار

التى أخذتها بعمق، جعلت مشاعرك الروحية تجفّ!

لـــم تخلط عملك النهارى بالله، بل كنت غريباً عنه طول النهار! فلما طلبته بالليل على فراشك، لم تجده!

فـــى أوقات دالتك مع الله، كان الله بالنسبة إليك، أقرب من النفس الذى يدخل صدرك ويخـــرج. أمـــا الآن فأنت تدعوه وكأنك تخاطب نفسك..! كنت تقرأ الكتاب المقدس، فتجد تـــأملات كثـــيرة تملأ قلبك وفكرك، وفيضاً من التعزيات يغمر نفسك. أما الآن فلا تجد!! وتردد عبارة :

"طلبت من تحبه نفسى. طلبته فما وجدته" . وتفحص ذاتك فتقول:

إننى لا أجده . ولكننى مع ذلك أطلبه .

✠ ✠ ✠

لـــيس هـــو موجـــوداً معـــى. لا أحسّه فى حياتى. ولكنه موجود فى قلبى أحسه فى رغباتى وأشواقى ...

حرمانى من الله، يجعلنى أطلبه بالأكثر . أنا لست راضياً عن حرمانى منه. لست من الذيـــن أحـــبوا الظلمـــة أكثر من النور، "لأن أعمالهم شريرة" (يو٣: ١٩). فمع أننى فى سقوطى، تكون أحياناً أعمالى شريرة أو تشبه ذلك، إلا أننى لست أحب الظلمة ...

فلماذا تخلى النعمة يشعرنى بالحرمان من الله ؟!

✠ ✠ ✠

أسباب التخلى :

★أحياناً يكون سبب التخلى، كبرياء إرتفعت فيها النفس .

إنســـان يكبر فى عينى نفسه، ويظن أنه قد أصبح شيئاً. وفى هذا الظن يفقد احتراسه، علـــى أعتـــبار أن الخطية لم يعد لها سلطان عليه!! ويريد الرب أن ينقذ هذا الإنسان من كـــبريائه وارتفـــاع قلبه. فيتخلى عنه قليلاً، ليشعر بضعفه فلا يرتفع قلبه. لأنه "قريب هو الـــرب من المنسحقين بقلوبهم" (مز٣٤: ١٨). وبابتعاد النعمة، بالتخلى المؤقت، قد يسقط الإنســـان، أو يهتز قيامه ويضعف. فيعود ويحترس حتى من أقل الخطايا. ويتمسك بالرب بالأكثر .

مـــثل هذه العذراء التى بعد أن قالت "طلبته فما وجدته" قامت وبحثت عنه. فلما وجدته

قالت "أمسكته ولم أرخه" (نش٣: ٤) .

✠ ✠ ✠

★سبب آخر من أسباب التخلى، هو اهتمام الإنسان الزائد بالأمور العالمية، بحيث تبرد حرارته الروحية، ويقرع الله على قلبه وما من مجيب!

وكأنه يقول لصوت الله فى قلبه "أما الآن فإذهب . ومتى حصل لى وقت أستدعيك" (أع٢٤: ٢٥). كما قال فيلكس الوالى لبولس الرسول. وقد حدث هذا لعذراء النشيد مرات عديدة، حينما سمعت صوت الحبيب يناديها فتكاسلت عن أن تفتح له، كما ورد فى الإصحاح الخامس (نش٥: ٣) .

✠ ✠ ✠

★حقاً إن التمركز حول الذات هو من أسباب التخلى :

ما أكثر ما يكون الإنسان متحوصلاً حول نفسه. يفكر فى ذاته، وليس فى الله.. ماذا أعمل؟ وماذا أكون؟ وكيف أكون؟ ومتى أكون؟ كيف أبنى شخصيتى ومركزى؟ "أهدم مخازنى وابنى أعظم منها، .. وأقول لنفسى : لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين عديدة.. استريحى وافرحى" (لو١٢: ١٨، ١٩) . وفيما الإنسان مشغول بذاته، يبحث عن الله فلا يجده !

بل قد يدخل فى خدمة الله، وهو متمركز حول ذاته، وليس حول الخدمة، ولا هو متمركز فى محبة الله وملكوته.. فيفكر كيف يستحوذ على كل السلطة فى الخدمة، ويوقف فلاناً عند حده وكيف تصير كلمته هى الأولى، أو هى الوحيدة! وكيف تسير كل الأمور حسب تدبيره هو! وحينئذ يطلب الله فلا يجده ...

✠ ✠ ✠

معنى : طلبته فما وجدته :

الله موجود فى كل مكان . فكيف تبحث عنه فلا تجده ؟!

هو موجود حقاً. ولكن المهم هو أحساسك بوجوده والصلة به.. الإحساس بالحب والمتعة والعشرة مع الله. الإحساس بالدالة، بحرارة اللقاء، وبسكنى الله داخل القلب وعمله فيه.

قد يكون الله موجوداً معك، وأنت لا تشعر ولا تدرك .

كمـــا كلّـــم السيد الرب مريم المجدلية بعد القيامة. ولكنها لم تشعر بوجوده، بل ظنته البستاني. وقالت له عن الرب "إن كنت قد أخذته" (يو٢٠: ١٥). بينما كان الرب بذاته هو الذى يكلمها وهى لا تدرى ، بل أن شعورها فى ذلك الوقت كان "طلبته فيما وجدته" ...

ونفس الأمر حدث مع تلميذى عمواس. كان الرب معهما وهما لا يعلمان. بل يقولان له "هل أنت وحدك المتغرب عن أورشليم، ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها؟!" (لو٢٤: ١٨).

✠ ✠ ✠

تـــأكد أن الله لا يتركك مهما تركته . وفى الوقت الذى تقول فيه : "طلبته فما وجدته" يكون هو معك، يعمل لأجلك ...

لا تـــيأس إذا مـــرت علـــيك فترات من التخلى. لا تظن أنه تخلّ حقيقى! ولا تظن أن التخلى يستمر ...

ما أحلى قول الرب عن إحدى فترات التخلى لتلك العاقر :

"لحيظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك" (أش٥٤: ٧) .

✠ ✠ ✠

مناسَبة أخـرى :

عبارة "طلبته فما وجدته" وردت أيضاً فى (نش٥: ٦) .

حيـــث تقول عروس النشيد ، فى مناسبة أخرى، فيها تخلّت عن حبيبها، فتحول عنها وعبر. فقالت "نفسى خرجت عندما أدبر. طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابنى" (نش٥: ٦)

والقصة تبدأ بقولها "صوت حبيبى.. هوذا آتٍ على الجبال، قافزاً على التلال" (نش٢: ٨). ثـــم "صـــوت حبيبى قارعاً: افتحى لى يا أختى يا حبيبتى، يا حمامتى يا كاملتى. لأن رأســـى قـــد امتلأ من الطلّ، وقصصى من ندى الليل" (نش٥: ٢). ولكن العروس تعتذر قائلـــة: "خلعت ثوبى، فكيف ألبسه؟! غسلت رجلىّ، فكيف أوسخها؟! ولم تفتح حينئذ تحول عنها وعبر، بسبب إهمالها.. فذاقت التخلى ...

✠ ✠ ✠

كانت هذه العروس مهتمه بذاتها أكثر من اهتمامها بالله وخدمته !

كانـــت مهـــتمة بزينتها الخارجية، بثوبها بنظافتها براحتها. ووسط كل ذلك تثاقلت أن تقوم وتفتح للرب.. فتركها تذوق التخلى .

لقد أنتظر الرب طويلاً حتى أمتلأت رأسه من الطل، وقصصه من ندى الليل. ولكنها تركته يمد يده طول النهار لقلب معاند مقاوم (رو١٠: ٢١). وهكذا قدمت قلباً متراخياً متكاسلاً أمام نداء الله !

✠ ✠ ✠

عجيب أن تعتذر نفس عن لقاء الله، وتسرد لذلك حججاً ..!

آه يارب ، أنا غير متفرغ لك الآن. عندى مشروعات أقوم بها، وخدمة أو خدمات عديدة أنا منشغل بها! أو خطية محبوبة تسيطر على عواطفى وفكرى! أو مقابلات كثيرة ولقاءات تستغرق نهارى كله وجزءاً من مسائى. لذلك لست أجد لك وقتاً!! أعذرنى إن تركتك بعض الوقت دون أن أفتح لك. فامتلأت رأسك من الطل!!

✠ ✠ ✠

وهكذا يتخلى الله ، لا كعقاب ، وإنما كعلاج ...

إنها نفس تزدرى بالنعمة، وتهمل صوت الله داخلها، فتقع فى التخلى، حتى تعود وتستيقظ، وتعرف ما ينبغى عليها أن تفعله ...

ولهذا نجد أن هذه النفس قد استفادت من التخلى ...

بعد أن تحول حبيبها وعبر، نراها تقول "نفسى خرجت عندما أدبر". ولم تكتف فقط باشتعال مشاعرها من الداخل، وإنما تقول "إنى أقوم أطوف فى المدينة وفى الأسواق والشوارع، أطلب من تحبه نفسى" .. وفعلاً ذهبت تسأل عنه الحراس: "أرأيتم من تحبه نفسى؟" (نش٣: ٣) .

وبالإضافة إلى هذا البحث وهذا السعى ، نرى أن الله يرفع عنها ذلك التخلى، ويعود إلى النفس، فتتمسك به بالأكثر .

وتقول لما رأته "أمسكته ولم أرخه" (نش٣: ٤) .

✠ ✠ ✠

إن الله يسمح أحياناً أن نذوق مرارة البعد عنه بعض الوقت، لكى نشتاق إليه بالأكثر..

لأنه من الجائز أن محبة الله لنا، بدلاً من أن تقودنا إلى الله، نتحول بها إلى التدلل!!

فتقول "غسلت رجلىّ ، فكيف أوسخهما؟!" .

لكِ ما شئت . ولكن النتيجة أن حبيبك تحوّل وعبر .. فماذا أفادك التدلل ؟!

إنى أقوم وأطوف فى المدينة ...

(نش٣: ٢)

تقــول عذراء النشيد "فى الليل على فراشى، طلبت من تحبه نفسى. طلبته فما وجدته. إنى أقوم وأطوف فى المدينة، فى الأسواق وفى الشوارع، أطلب من تحبه نفسى" (نش٣: ١، ٢). هذا يدل على أن الإنسان – مهما بَعُدَ عن الله – ففى قلبه إشتياق إلى هذا الإله ، حتى لو دخل فى الليل، ورقد على فراشه..!

إشتياق إلى اللــه :

لايزال فى القلب حنين إلى الله ... فينا نفخة إلهية تشتاق إلى مصدرها (تك٢: ٧). فينا روح على صورة الله، كشبهه (تك١: ٢٦، ٢٧). وهذه تجعل الإنسان بطبيعته يشتاق إلى الله .

★فالاشتياق إلى الله ، جزء من طبيعة الإنسان ومن فطرته ...

فــإن قلــنا إن محبة الأم لطفلها جزء من طبيعتها يَجرى فى دمها، وكذلك محبة الأب لابــنه.. نقول كذلك إنه أمر طبيعى بالأكثر، أن الإنسان يحب الله ويشتاق إليه. وليس هذا عند الشعوب المتحضرة المتمدينة فحسب، بل حتي عند الشعوب البدائية أيضاً ..

ومــن الناحية الأخرى ، محبة العالم شئ دخيل على الإنسان، ليس فى طبعه الأصلى. أما محبة الله فهى طبيعته الأصيلة .

✠ ✠ ✠

لذلك مهما بعد الإنسان عن الله، لابد أن يعود فيشتاق إليه .

مثل عقرب البوصلة ، لابد أن يتجه إلى الشمال ، مهما بعد عنه .

لهذا لا يصح أن ييأس الإنسان ، مهما طال بعده عن الله .

لا تـيأس ، فطبيعتك بفطرتها ميالة. لذلك حتى فى الليل – وأنت على فراشك – يعود اشتياقك إليه. مثل الابن الضال: ذهب إلى كورة بعيدة ، ثم عاد واشتاق إلى أبيه ، ورجع إلـيه. ومـثل أوغسطينوس : بعد متاهة طويلة فى الفلسفة وفى ملاذ العالم ، عاد أخيراً ليقول للرب : تأخرت كثيراً فى حبك، أيها الجمال الذى لا يُوصف ...

وأنت مهما تهت وبعدت ، فى أعماقك بذرة محبة الله .

فلا تظنوا أن الرعاة والوعاظ والمرشدين والآباء الرسل، هم وحدهم الذين دخلت محبة الله إلـى قلوبهـم! كلا، فمحبته موجودة فيكم من الأصل . كل ما فى الأمر، أنك تزيل ما ترسب فوقها وأخفاها .

✠ ✠ ✠

★"فى الليل على فراشى، طلبت من تحبه نفسى" .

هناك لحظات تمر على الإنسان ، يجد نفسه مشتاقة إلى الله .

لا يعـرف متى تأتى تلك اللحظات؟ ولا كيف ؟ ولا أين؟ ولا يستطيع أن يحدد مواعيد لهـذا الاشتياق. والكتاب يقول "ملكوت الله لا يأتى بمراقبة" (لو١٧: ٢٠). كما قال الرب أيضـاً "الريح تهب حيث تشاء، وتسمع صوتها، ولكنك لا تعلم من أين تأتى ، ولا إلى أين تذهب" (يو٣: ٨) .

إنها زيارة من زيارات النعمة ، لا تأتى بمراقبة .

أنـت لا تعـرف متى يتحرك شعورك نحو الرب . ولكنك فى وقت ما، تسمع صوتاً يـناديك فـى داخلك، ويحركك نحو الله، مهما كنت خاطئاً، ومهما بعدت، ومهما ضللت.. زيارة النعمة هذه تثير مشاعر الحب الإلهى أو تعيدها ...

✠ ✠ ✠

عَدم الإحساس بوجود الله :

من العجيب أن هذه العروس تقول "طلبته فما وجدته" بينما الله فى داخلها، وهو الذى حرك قلبها لكى تطلبه!

بدونه ما كان ممكناً لها – وهى على الفراش – أن تطلبه ! هو الذى مدّ يده من الكوة، فأنّــت عليه أحشاؤها (نش٥: ٤). ولكن لماذا – على الرغم من وجوده فيها – تقول "قما وجدته"؟!

أحياناً يكون الرب فينا ، ونحن لا نشعر به !!

مــثلما حــدث لتلميذى عمواس ، إذ كان الرب يسير معهما ويتحدث إليهما، وهما لا يعرفانه (لو٢٤: ١٥، ١٦). أو مثلما قيل فى تجسد السيد الرب :

إن "الــنور أضاء فى الظلمة، والظلمة لم تدركه" (يو١: ٥). وأيضاً مثلما قال القديس أوغسيطنوس للرب :

"كنت معى ، ولكننى من فرط شقاوتى لم أكن معك!" .

✠ ✠ ✠

ابراهــيم أبو الآباء ظهر له الرب مع ملاكين (تك١٨: ٢، ١٧). ولكنه لم يدرك وجود الرب، وإلا ما كان أحضر للثلاثة لحماً ولبناً (تك١٨: ٧، ٨). وهكذا قال الكتاب "لا تنسوا إضافة الغرباء، لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون!" (عب١٣: ٢).

أحــياناً يكون الله معك، وأنت غير شاعر بوجوده . وقد تظن أنه قد تخلى عنك. بينما أنت الذى ينقصك الإدراك الروحى لوجود الله معك. وقد تقول له "إلى متى يارب تنسانى؟ إلى الإنقضاء!" (مز١٣: ١).

ولا يكون الرب قد نسيك . لأنه إن نسيت الأم رضيعها لا ينساك (أش٤٩: ١٥). إنما أنت الذى لم تعد تحسّ وجود الله فيك!

بالإيمــان تستطيع أن تدرك وجوده معك. كما قال داود "تأملت فرأيت الرب أمامى فى كــل حين. لأنه عن يمينى فلا أتزعزع" (مز١٦: ٨). وكما قال إيليا النبى "حىّ هو رب الجنود الذى أنا واقف أمامه" (١مل١٨: ١٥) .

✠ ✠ ✠

البحث عَنْ اللــه :

أحــياناً يخفى الله ذاته عنك ، لكى تبحث عنه .. لا يسمح لك أن تراه، لكى تشتاق إلى رؤيته . يظهر حيناً ، ويختفى حيناً آخر مثل النجم الذى ظهر للمجوس (مت٢: ٩).. لكى يتحرك القلب فيبحث ويسأل .

الله لا يـريد أن تكون المحبة من طرف واحد : هو يحبك ، وأنت راقد على فراشك. يريدك أن تحبه كما يحبك، فتبحث عنه ...

✠ ✠ ✠

لهـذا تجد أن العروس لما طلبته فلم تجده ، قالت للتو: "إنى أقوم وأطوف فى المدينة، فـى الشـوارع وفى الأسواق. أطلب من تحبه نفسى". ولاحظوا إنها لم تقل أقوم، بل إنى أقـوم، كـنوع مـن التأكيد والإصرار على البحث. وهكذا زال تكاسل النفس، إذ شعرت بالتخلى، ولو كان شكلياً..

يـا ليت كل واحد منكم يخرج من إجتماعنا هذا (أو من قراءة هذا المقال) وهو يقوم ويطوف يبحث عمن تحبه نفسه، أعنى الله الذى يحبه. كما قالت عذراء النشيد ...

✠ ✠ ✠

فى الأسـواق

اذهـب واشترِ لك زيتاً ، لكى لا ينطفئ مصباحك (مت٢٥: ٩). أو كما قيل فى سفر الرؤيا "اشير عليك أن تشترى ذهباً مصفّى بالنار، وثياباً بيضاً لكى تلبس، فلا يظهر خزى عريتك" (رؤ٣: ١٨). أو كما قال الرب "ومن ليس له سيف ، فليبع ثوبه ويشترِ سيفاً" (لو ٢٢: ٣٦)... اذهب إذن إلى الأسواق، وادفع ثمن ما تشتريه . وابحث عن الرب هناك.

طُـف وابحث أين تجد الله .. هل فى الكنائس فى الأديرة، فى بيوت الخلوة ، أو فى أماكن الخدمة .. أم حيث تراه ...

المهم أن تنشط وتبحث ، ولا تستمر راقداً على فراشك ..

✠ ✠ ✠

أنظـر أى طريق يوصلك إلى الله، وسِر فيه : طريق التوبة، طريق الصلاة والتأمل، طريق الخدمة ، طريق القراءة والإجتماعات ...

الطرق المؤدية إلى الله كثيرة. إختر ما يناسبك منها .

✠ ✠ ✠

كلمة " أقوم" تعطينا معنى طيباً . فعلى الرغم من أن الخلاص يقوم به الله وحده، إلا أنه لابد لك من أن تشترك معه، من جهة الاستجابة لعمله فيك: أن تشترك معه، أن تطلبه وتبحـث معه.. "اقوم واذهب إلى أبى" (لو١٥: ١٨) هكذا قال الابن الضال .. أقوم وأردّ

أربعة أضعاف لكل من ظلمته، كما قال زكا العشار (لو١٩: ٨) .

حقـــاً ، إننا فى بعض أوقات نقول "قم أيها الرب الإله، وليتبدد جميع أعدائك" (عد١٠: ٣٥). والرب نفسه يقول "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين، الآن أقوم، يقول الرب، اصنع الخلاص علانية" (مز١٢: ٥).

ولكـــن على الرغم من كل ذلك، لابد أن تقوم مع المسيح، وأن تعمل مع الرب: ترفع الحجر، لكى يقيم الرب لعازر (يو١١: ٤١).

✠ ✠ ✠

أنـــت تقـــدم الخمس خبزات، والرب يباركها ويشبع بها الألوف (يو٦: ٩- ١٢). أنت ترمى الشبكة، والرب يأتى بالسمك. أنت تغرس وتسقى، والله هو الذى ينمى (١كو٣: ٦). المهم أن تقوم وتعمل مع الرب .

إنـــنى حيـــنما أعمل عملاً، إنما أبرهن على محبتى للرب ورغبتى فى الخير. فالله لا يرغمنى إرغاماً على عمل الخير، ولكنى أقوم من نفسى .

على فراشى قد أحلم بالرّب . ولكنى لا أجده إلا إذا قمت .

تأكدوا أن الملائكة يفرحون فى السماء، وهم يرون هذه النفس تقوم وتطوف فى المدينة وفى الشوارع بحثاً عن الرب (لو١٥: ٧) .

✠ ✠ ✠

هناك أشخاص يبدلّون عبارة "وعلّمنا طرق الخلاص" فى القداس الإلهى بعبارة "طريق الخـــلاص" علـــى الرغم أن الكلمة فى القبطية ϩⲁⲛⲧⲟⲓⲧ (أى طرق)، مفسرين ذلك بأن للخلاص طريقاً واحداً هو الفداء .

هذا حق أنه من جهة الله هناك طريق واحد، هو الصليب وقد تم . ولكن من جهتنا لا ننال بركات الفداء إلا بطرق هى الإيمان والمعمودية والتوبة وحفظ الوصايا.

كمـــا أن حياتـــنا الروحية اللازمة للخلاص لها طرق تؤدى إلى الله: منها الخدمة أو الوحدة، الزواج أو البتولية، الحزم أو الطيبة.. والمهم أن يتخذ كل واحد نوع الطريق الذى يناســـبه.. وكمـــا قـــال ماراسحق: "لمعرفة الله باختلاف الطبائع البشرية، لم يجعل طريقاً واحـــداً مؤدياً إلى الخلاص، لئلا يفشل من لا يستطيع السير فيه. وإنما جعل أمام الإنسان طرقاً عديدة. حتى أن الذى لا يناسبه طريق لصعوبته، يسير فى الآخر لسهولته" .

✠ ✠ ✠

ومادامـــت هناك طرق عديدة فلا تيأس . إن لم تجد فى نفسك قابلية للصلاة، الجأ إلى القراءة والتأمل. وإن لم تجد قابلية للقراءة، رتّل. وإن لم تستطع شيئاً من ذلك كله، اخرج وافتقد واخدم.

ولكن لا تيأس أبداً . أبحث فى الطرقات والشوارع والأسواق ...

ولهذا لا يجوز لأب الاعتراف أن يجعل أبناءه صورة منه !

ولا يجوز أن يجعلهم كلهم صورة واحدة من بعضهم البعض !

فربما ما يناسب واحداً منهم، لا يناسب غيره .. لإختلاف نفسياتهم .. كذلك أنت : إن أعجبك طريق فى الحياة، لا تشجع كل إنسان على السلوك فيه! ربما ما يناسبك، لا يناسبه.

✠ ✠ ✠

عـــروس النشـــيد طافـــت فى الطرقات ، ولم تجد الرب . فلم تعتذر بذلك وتكفّ عن البحـــث. **وإنما قابلت الحرس الطائف وسألتهم (نش٣: ٣)** . هؤلاء الحرس ، هم حراس المـــبادئ والقيم . أقامهم الرب على شريعته وعلى رعيته ، يرشدون الناس إلى الطريق.. وما أن جاوزتهم قليلاً، حتى وجدت من تحبه نفسها .. لم تقل شيئاً مما قالته للحرس، ولا ما قد قالوه لها، وإنما ركزت على هدفها، وهو الوصول إلى حبيبها ...

يوجد أشخاص يكفى أن تقول لهم المشكلة، فتنحل ...

حتى بدون إرشادات أو حلول تسمعها منهم . تكفى بركتهم وصلواتهم .

✠ ✠ ✠

الملاحظة الأخيرة ، هى أن هذه العروس تعبت كثيراً حتى وجدت من تحبه نفسها، ولم تجـــده من أول طلب، ولا من أول بحث. وكانت وراء ذلك حكمة إلهية. لكى تتمسك بمن تعبت لأجله .

قـــال القديس باسيليوس الكبير : إن الأشياء التى تحصل عليها بسهولة ، قد تفقدها أيضاً بسهولة. لهذا أحياناً لا يستجيب الله بسرعة .

ولأن هـــذه العـــروس تعبـــت حتى وجدت من تحبه نفسها، لذلك عندما وجدته قالت "أمسكته ولم أرخه" (نش٣: ٤) .

أنا نائمة، وقلبى مُستيقظ

(نش ٥: ٢)

هذا النشيد يعطى روح الرجاء، حتى بالنسبة إلى النائمين .

مـــا أجمـــل قـــول المســـيح للتلاميذ وهم نائمون فى البستان "الروح نشيط أما الجسد فضعيف" (مت٢٦: ٤١). إذن فحتى لو كان الجسد ضعيفاً، لا يستطيع أن يتمشى مع عمل الروح، فإننا نشكر الله الذى يمتدح الروح على الرغم من ضعف الجسد، ويعطيها رجاءً .

✠ ✠ ✠

وعـــذراء النشيد تجد نفسها هنا (نائمة): لا يقظة روحية، ولا نشاط، ولا حرارة، ولا حيوية، ولا عمل روحى .

ومع هذا النوم ترى نافذة من رجاء مفتوحة: وهى قلبها المستيقظ .

على الرغم من نومها ، مازال قلبها مستيقظاً. مازالت حساسة لصوت حبيبها، تسمعه وهو يقول لها "افتحى لى".

إذن هو مجرد نوم، وليس موتاً، ومازال القلب نابضاً بالحياة .

هنا حياة قد تكون خاملة، ولكنها موجودة ...

✠ ✠ ✠

الشجرة لا تعطى ثمرها ، ولكنها لاتزال حية، ربما لو نقب الرب حولها ووضع زبلاً،

تعطى ثمراً فيما بعد.. النفس نائمة ولكنها حساسة لصوت الرب ولندائه، تميزه عن صوت الغرباء، وتشعر أنه حبيبها على الرغم من عدم صلتها به ...

أنـــا نائمة وقلبى مستيقظ . لا نضيع الوقت فى توبيخ النوم، وإنما نفرح بيقظة القلب، فهى التى ستقيم النفس من نومها .

✠ ✠ ✠

نشكر الله أنه لم ييأس من النائمين، وإلا هلكوا وضاعوا ...

قـــد تكـــون نفسى أمامك يارب، أرضاً خربة مغمورة بالمياه، وعلى وجه الغمر ظلمة (تك١: ٢)، ولكن المفرح أن روحك مازال يرف على وجه المياه، وسيأتى وقت تقول فيه ليكن نور، فيكون نور (تك١: ٣)...

مـــا أجمـــل قول النبى "لا تشمتى بى يا عدوتى، فإنى إن سقطت أقوم (مى٧: ٨)، قد أكـــون نائمـــاً، ولكنى سأستيقظ ... "كثيرون يقولون لنفسى ليس لـــه خلاص بإلهه، ولكن أنت يارب ناصرى. مجدى ورافع رأسى" هكذا قال المزمور :

"أنا أضطجعت ونمت ثم استيقظت، لأن الرب معى" (مز٣) .

ربمـــا تكون لى أربعة أيام فى القبر، يقولون عنى قد أنتن (يو١١: ٣٩). ولكنى واثق أن صـــوتك ســـيأتينى "لعازر هلم خارجاً" (يو١١: ٤٣) وتقوم نفسى النائمة، حينما يسمع صوتك قلبى المستيقظ.

✠ ✠ ✠

حقاً لا نستطيع أن نغلق باب الرجاء ، أمام أى نفس ...

مهمـــا كانت حالتها تبدو ميئوساً منها! .. الله قادر أن يقيم من الحجارة أولاداً لإبراهيم (مـــت٣: ٩).. إن الرسول يقول : لا نفشل . حتى إن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوم" (٢كو٤: ١٦) .

✠ ✠ ✠

هذا يعطى رجاءً ليس للنائمين فقط ، وإنما للخدام أيضاً .

لا تـــيأس مـــن أحد ، مهما بعد عن الرب .. ربما تكون البذرة فى حالة خمول، ولكن الحياة الكامنة فيها تنتظر وسائل إنبات لكى تدبّ فيها الحياة من جديد ...

إن الـــرياح فـــى الصحراء قد تحمل البذار وتلقيها بعيداً حيث تدفن فى الرمال، وتظل

مدفونـــة مـــدداً طويلة، إلى أن تسقط بعض الأمطار، فتدب الحياة فى هذه البذار المدفونة وتنبت ...

وهـــناك بذار بطيئة فى نموها ، كنواة البلح ، تمضى شهوراً طويلة بدون علامة حياة على وجه الأرض، ثم تظهر الخضرة ...

✠ ✠ ✠

نحن لا نيأس مطلقاً من النفوس النائمة مهما طال نومها .

كان الرسل النائمين ، خائفين ومختبئين فى العلية. ولكن جاء الوقت الذى ظهروا فيه، وملأوا الدنيا كرازة وتبشيراً ...

وحـــتى لو ظل النائمون مستمرين فى نومهم ، فلا نيأس مادامت هناك نفوس أخرى ساهرة من أجلهم .

يذكرنى هذا بالرعاة المتبدين الذين كانوا يسهرون فى حراسات الليل على غنمهم وقت مـــيلاد المسيح (لو٢: ٨). ويذكرنى أيضاً بقول بولس "من يعثر وأنا لا ألتهب" (٢كو١١: ٢٩). قد تكون هناك نفوس نائمة، ولكن الكنيسة ساهرة من أجلها، لتوقظها...

✠ ✠ ✠

وحتى إن نام الرعاة ، هناك عين الله الساهرة، التى لا تنام .

إن لم تستطع نفسى أن تقول "أنا نائمة وقلبى مستيقظ" فإنها ستقول لك يارب "أنا نائمة ويكفى أنك أنت مستيقظ" .

إن كلمـــة الـــرب قد تصل إلى النفس، وربما يبدو أنها لم تحدث أثراً ولم تأتِ بنتيجة. ولكـــن عمل الروح القدس الدائم فى النفس، سيظهر هذه النتيجة فيما بعد، لأن كلمة الرب لا ترجع فارغة (أش٥٥: ١١) إنها كالخبز على وجه المياه، بعد أيام كثيرة تجده (جا١١: ١).

✠ ✠ ✠

"أنا نائمة وقلبى مستيقظ" . ربما يكون نومى كسلاً، أو ضعفاً، أو فتوراً، أو سقوطاً، ولكنه لن يكون خيانة...

فقلـــبى مستيقظ ، وقلبى لك ، يسمع صوت حبيبه قارعاً. قد أسقط فى الخطية، ولكنى أســـمع الصـــوت فى داخلى يوبخنى ويقول إن هذا لا يليق .. قد أبعد عنك، ولكن نخسك

لقلبي مستمر. ولن أستطيع مقاومته مدة طويلة.. قد أقاوم محبتك إلى حين، ولكن صعب عليّ أن أرفس مناخس (أع٩: ٥)...

✠ ✠ ✠

أنا أعلم أنني سأستيقظ . ولكن لا يجوز أن يطول نومي .

إن الرجاء لن يدفعني إلى التراخي، بل سيبكتني ضميري عليه فيما بعد، وسأوبخ نفسي كما قال لك القديس أوغسطينوس "لقد تأخرت كثيراً في حبك". وكما قال بولس "أنا الذي كنت مضطهداً للكنيسة" (١كو١٥: ٩) إن مناخسك تعمل في قلبي وأنا نائم ...

أنا يارب لا أستطيع أن أبعد عنك: إحساسي بمناخسك في قلبي، تدل على أن القلب مستيقظ، وأنه لن يقبل النوم.. إنني أسمع صوت الكنيسة تقول "قوموا يا بني النور، لنسبح رب القوات" وقول الرسول "إنها الآن ساعة لنستيقظ" (رو١٣: ١١) وأيضاً :

"استيقظ أيها النائم ، فيضئ لك المسيح" (أف٥: ١٤).

✠ ✠ ✠

"أنا نائمة وقلبي مستيقظ . صوت حبيبي قارعاً" .

إنني أعجب لهذه النفس التي تسمع صوت حبيبها وتظل نائمة !

بينما الله "فيما نحن ندعو، هو يستجيب" .. إننا لا نعامله بنفس المعاملة. ما أكثر ما نغلق أبوابنا في وجهه، حتى يمتلئ رأسه من الطل، وقصصه من ندى الليل ...

ولكننا نشكر الله في كل ذلك على صبره وطول أناته .

إنه يدعو قائلاً "قومي يا حبيبتي وجميلتي وتعالي" (نش٢: ١٠). ونحن نسمع ولا نستجيب. ويظل الرب يقرع على أبوابنا ويقول "مددت يدي طول النهار لشعب معاند ومقاوم" (رو١٠: ٢١)...

✠ ✠ ✠

والعجيب أن أعذارنا كثيرة، نحاول بها أن نبرر بها عدم استجابتنا ...

"غسلت رجليّ ، فكيف أوسخهما؟! خلعت ثوبي فكيف ألبسه؟!" .

يطبق القديس أوغسطينوس هذه الآية على النفس في دعوتها إلى الخدمة : نفس لبست البر، ونالت الطهارة، واستراحت إلى هذا ونامت. وصارت تحتج: كيف أخرج إلى الخدمة وأصطدم بما فيها من مشاكل وتعب! وفيما أنا أسير على الأرض في طريق

الخدمة قد تتسخ رجلاى مرة أخرى، فكيف أوسخهما؟

ويجيب القديس أوغسطينوس : لا تتضايق إذا اتسخت رجلاك، فالمسيح قد غسل أرجل تلاميذه . وسيظل يغسلك كلما اتسخت ...

إذا دعاك الرب ، فلا تضع أمامك عوائق ، ولا تعتذر بأعذار .. فطالما الأعذار موجودة، منخاس الله موجود ...

✠ ✠ ✠

هل أنتفعت هذه العروس بأعذارها ؟! لقد قالت : حبيبى تحول وعبر ...

ومع ذلك كان صوت حبيبها أقوى من جميع أعذارها.. كما أنها لم تستطع أن تحتمل عملاً آخر من أعمال محبته "حبيبى مد يده من الكوة، فأنّت عليه أحشائى" .

لقد أنت أحشاؤها ، لأن قلبها كان مستيقظاً ولم تحتمل محبة الرب .

"أنا نائمة" إنه اعتراف . والمعترفة بخطاياها قريبة من اليقظة .

إن كنت نائماً، قم إذن واستيقظ، فالسيد الرب يقول "اسهروا وصلوا، لئلا تدخلوا فى تجربة" .

أولاد الله دائماً متيقظون قلباً وفكراً وروحاً، متيقظون من نحو أنفسهم ونحو الآخرين "من يعثر وأنا لا ألتهب" (٢كو١١: ٢٩).

ما أجمل ما نفهمه من هذا الفصل : إنه حتى الأبواب المغلقة لا يتركها الله ، وإنما يقف وراءها قارعاً ، فى حب وانتظار .

أنا نائمة، وقلبى مُستيقظ (نش ٥: ٢)

تقول العروس فى النشيد "أنا نائمة، وقلبى مستيقظ. صوت حبيبى قارعاً: افتحى لى يا أختى، يا حبيبتى، يا حمامتى، يا كاملتى. لأن رأسى إمتلأ من الطل، وقصصى من ندى الليل" "قد خلعت ثوبى، فكيف ألبسه؟! قد غسلت رجلىّ، فكيف أوسخهما؟! حبيبى مدّ يده من الكوّة، فأنّت عليه أحشائى.." (نش٥: ٢- ٤) .

أنا نائمة وقلبى مستيقظ :

يقول الرب "اسهروا وصلوا، لئلا تدخلوا فى تجربة" "اسهروا لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ابن الإنسان" (لو١٢: ٤٠) "لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياماً" (مر١٣: ٣٦)..

إذن فكل نفس نائمة هى ساهية عن خلاص نفسها، غفلانة كسلانة لا تدرى ما هى فيه. ونسيت تحذير الكتاب "لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياماً" ..

✠ ✠ ✠

أما هذه النفس التى تقول أنا نائمة وقلبى مستيقظ، فإن حالها عجيب.. هل هى تخدع نفسها، وتدعى اليقظة بينما هى نائمة؟!

كيف تظن أنها مستيقظة القلب بينما هى نائمة؟! كثير من الناس يقول الواحد منهم "أنا

أحـــب الرب من كل قلبى. الله هو كل شئ فى حياتى" . فإن سألته عن صلواته وتأملاته وقراءاته الروحية واعترافاته وتناوله، يقول لك ..

حقاً ، إننى مقصر جداً فى كل هذا، ولكنى مع ذلك أحب الله.. روحياتى واقفة، نفسى نائمة، ومع ذلك فقلبى مستيقظ .

والأعجـــب من هذا ، إنسان آخر، يقول لك إننى فى عمق الخطية، ومع ذلك فأنا أحب الله. نفسى نائمة، وقلبى مستيقظ ...

✠ ✠ ✠

وتتعجـــب أنـــت مـــن هذا: كيف تكون محبة الله فى قلب هذا الإنسان، وهو فى عمق الخطـــية؟! ألم يقل الرب "من يحبنى، يحفظ وصاياى" فكيف لا يحفظ وصاياه، ويقول "أنا أحبه" .. ألم يقل يوحنا الحبيب "كل من يخطئ ، لم يبصره ولا عرفه" (١يو٣: ٦) ..

الظاهـــر أن هناك أناساً يظنون أن عاطفة المحبة نحو الله تكون فى القلب فقط، دون أن تظهـــر فـــى الأعمـــال ولا فى السيرة والسلوك، ودون أن يعبروا عن محبتهم تعبيراً عملياً يظهرها ويؤكدها ...

✠ ✠ ✠

لا تكفـــى يقظـــة القلـــب، إن كانت الحياة نائمة.. المفروض أن القلب المستيقظ يدفع الإنســـان باســـتمرار إلى العمل الروحى.. إن الإيمان دون أعمال ميت كما قال الرسول (يـــع٢: ٢٦). مـــا فائدة محبة القلب، أو ما معنى محبة القلب، إن كنت نائماً وكسلاناً ولا تعمـــل مـــا تســـتوجبه تلك المحبة؟ ما معنى أن يكون الغصن حياً، إن كان لا يزهر ولا يثمر..؟!

✠ ✠ ✠

والغـــرابة أنـــه علـــى الرغم من هذا الكسل والنوم، ما تزال النفس تقول "حبيبى" .. "صـــوت حبيبى قارعاً" "حبيبى مد يده من الكوة فأنّت عليه أحشائى" "قمت لأفتح لحبيبى.. فتحت لحبيبى لكن حبيبى تحول وعبر" ..

أهو حبيب حقاً ، إذن أين هو "تعب المحبة"؟!

الله أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد.. الرب أحبنا فمات عنا، أنت تحبين، فماذا فعلت فى التعبير عن حبك؟!

هـذا الحبيـب الذى أحبك يقرع على الباب، ولا تفتحين ..!! يظل فى انتظارك حتى تمتلئ رأسه من الطل، وقصصه من ندى الليل، وأنت نائمة، تحتجين بأنك قد خلعت ثوبك، وغسلت رجليك، وتتركينه، مقدمة له شتى الأعذار.. ثم تجرؤين أن تسمى هذا حباً؟!

إن الحب النظرى لا ينفع شيئاً، لابد أن يكون حباً عملياً لقد قال يوحنا الرسول "لا نحب بالكلام، ولا باللسان، بل بالعمل والحق" (١يو٣: ١٨) .

هذه النفس تفكر فى ذاتها أكثر مما تفكر فى الله.. تفكر فى ثوبها وفى رجليها وفى راحتها، ولا تفكر فى حبيبها الواقف منتظراً الذى امتلأ رأسه من الطل.. الذاتية تمنعها من البذل، وحب الراحة يعطلها.

هذه النفس تريد أن تجمع بين الله والعالم، بين محبة الله ومحبة ذاتها. لا تريد أن تتعب. لا تريد أن تدخل من الباب الضيق. تريد حباً بدون صليب ...

✠ ✠ ✠

ماذا لو أن الله أحبنا، دون أن يصعد على الصليب ؟!

ماذا لو أنه أحبنا دون أن يبذل ذاته عنا؟!..

إذن لماذا لا نفعل مثله فى المحبة الباذلة؟! ولكن هذه النفس المسكينة فى سفر النشيد، تريد أن تحب الله وهى نائمة. وكأنها تقول لله "أحبك يارب، وأحب النوم أيضاً. أترانى أجمعكما معاً؟".

هذه العروس تقول فى النشيد "قلبى مستيقظ" . أهى بالفعل يقظة حقيقية؟ وإن كانت كذلك، فما هى فاعليتها ؟

✠ ✠ ✠

هناك يقظة عقلية ، ويقظة أخرى عملية .

قد يكون القلب مستيقظاً: يحس أن هذا خطأ، ومع ذلك يقع فيه. يستطيع أن يميز صوت الله من صوت الغرباء، ومع ذلك لا يتبع صوت الله.. إنها صورة شرحها بولس الرسول فى رسالته إلى رومية "الإرادة حاضرة عندى، وأما أن أفعل الحسنى فلست أجد. لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده، بل الشر الذى لست أريده فإياه أفعل" (رو٧: ١٨، ١٩).

إذن قد يكون القلب مستيقظاً، والإرادة ضعيفة. الضمير متيقظ، ولكن لا عزيمة ولا

إرادة. ونتيجة الضعف يسقط الإنسان فى الشر الذى لا يريده، كبطرس حينما أنكر سيده.

صوت حبيبى قارعاً ، افتحى لى ..

إن قــول الــرب لها "افتحى لى" يعنى إنها مغلقة أمامه. قد أغلقت نفسها على ذاتها، تحوصلت داخل هذه الذات.. داخل عبارات ثوبى، ورجلى، وراحتى، ونومى..

✠ ✠ ✠

كثيراً ما تقف الذات عقبة فى طريق الله ...

تسأل إنساناً أن يصلى ، فيقول لك : وقتى، شغلى، دروسى.. تسأله أن يصوم. فيقول لــك: رغــباتى، شهواتى، غرائزى، جسدى، أفكارى.. دائماً الذات قبل كل شئ، والله هو آخر الكل ...

وقــد يصلى الإنسان، ولكن ذاته تكون كل شئ فى صلاته، ينسى الله فى صلاته، ولا يتذكر سوى طلباته. هى ذاته موضع اهتمامه، وليس محبة الله .

هــذه الأعــذار تدل على أن النفس تركت محبتها الأولى، المحبة التى كانت مشتعلة قبلاً. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئها. وأعذار كثيرة لا يمكن أن تعوقها .

إنهــا الآن تســتطيع أن تميز صوت حبيبها، لكنها لا تستطيع أن تلبى هذا الصوت.. حبيبها فى القلب فقط، لأن القلب مستيقظ، ولكنه ليس فى الإرادة لأنها نائمة .

✠ ✠ ✠

"افتحى لى يا أختى، يا حبيبتى، يا حمامتى، يا كاملتى. فإن راسى قد إمتلأ من الطل، وقصصى من ندى الليل" .

كــلام عــاطفى مؤثر ، قد يلين الحجر. ولكن هناك نفوساً قاسية لا تلين مهما كلمها الرب بحب ورفق ...

كثــيراً مــا تقف قساوة القلب حائلاً بين الإنسان والله. لذلك ينصحنا الرسول قائلاً "إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم" (عب٣). وفى قصة عذراء النشيد ، نجد أنها على الرغم من قساوة قلبها، ومن رفضها وعدم استجابتها ، لا تزال تبرر أخطاءها بالأعذار ...

✠ ✠ ✠

غسلت رجلى ، فكيف أوسخهما ؟!

القديس أوغسطينوس يتأمل هذه العبارة من زاوية الخدمة ..

كـــأن العروس تعتذر عن القيام بالخدمة مكتفية براحتها فى الهدوء والتأمل ، وفى ذلك تقـــول للـــرب : فى طريقى إليك، فى خدمتى لك، سأطأ الأرض، ستلمس قدماى التراب والمـــادة، فاتسخ.. سأصطدم بالناس وبعوائق الخدمة وبالعثرات، فاتسخ.. وأنا قد غسلت رجلى فى المعمودية، وخرجت طاهرة، كيف أوسخهما؟!

نعـــم، قـــد تتسخ رجلاك فى طريق الخدمة، ولكن عزاءنا فى ذلك أن السيد المسيح غسل أرجل التلاميذ . وقال لهم "أنتم الآن طاهرون" (يو١٣: ١٠)...

✠ ✠ ✠

أدخلـــى فـــى الخدمة، واتعبى، وواجهى العثرات والمعطلات، وثقى أن يد الله ستكون معك، وستغسل كل ما يتسخ فيك.. موسى النبى الوديع الذى كان حليماً جداً أكثر من جميع الـــناس، دخل فى الخدمة (غلا٤: ٢)، وغضب، وكسر لوحى العهد المكتوبين بأصبع الله. وبولـــس الرسول أضطر أن يغير صوته فى الخدمة، وأن يقول أفأتيكم بعصا، وقال "أيها الغلاطيون الأغبياء" (غلا٣: ١٠) وقال أيضاً "قد صرت غبياً وأنا أفتخر، أنتم ألزمتمونى" (٢كو١٢: ١١) .

وفى كل ذلك غسل المسيح أرجل رسله وتلاميذه ...

✠ ✠ ✠

"أنا نائمة وقلبى مستيقظ" .

هـــل تـــدل هذه العبارة على حب بغير عمل، أم على حالة فتور، أم تدل على النفس البشرية، أم اعتذارها عن الخدمة ؟

٢٩

"حَبيبى تحوّل وعَبر"

(نش ٥: ٦)

تقــول عــذراء النشيد "خلعت ثوبى، فكيف ألبسه؟! غلست رجلىّ ، فكيف أوسخهما؟! حبيــبى مــدّ يده من الكوة : فأنّت عليه أحشائى. قمت لافتح لحبيبى، ويداى تقطران مرّاً، وأصــابعى مــرّ قاطر على مقبض القفل. فتحت لحبيبى، لكن حبيبى تحول وعبر. نفسى خرجت حينما أدبر. طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابنى" (نش٥: ٣- ٦) .

✠ ✠ ✠

آفــة كــبرى ، أن يخطئ الإنسان ، ولا يحس أنه أخطأ. فيكون ضميره نائماً، وقلبه نائماً أيضاً: لا يوبخ، ولا ينتهر، ولا يبكت، ولا يبث شعور الندم والخزى .

أمــا هــذه العذراء ، فعلى الرغم من نومها، كان قلبها مستيقظاً. كانت لها الحساسية القلبية المرهفة، على الرغم من أن الإرادة كانت ضعيفة ...

كانت نائمة ، كسلانة ، لا تريد أن تقوم وتفتح الباب ... وعلى الرغم من هذا الكسل ، كانــت تلــتمس لنفســها الأعذار! "قد خلعت ثوبى، كيف ألبسه؟ قد غسلت رجلىّ، فكيف أوسخهما" ..؟!

كثــيراً مــا يأتى على النفس شعور، أنها تريد أن تستريح . وهكذا يصبح كل عمل روحــى وقتذاك، ثقيلاً عليها. إن هذا العمل الروحى سيكون على حساب راحتها وهدوئها واستجمامها.. جاءها صوت الله متأخراً!! بعد أن خلعت ثوبها وذهبت لتنام. بعد أن تعبت من ثقل النهار وحره، ودخلت لتستريح..كيف تقوم مرة أخرى؟! وكيف تسير لتفتح الباب؟

هـل تشـاء يـارب أن نفـتح باباً جديداً للجهاد، بعد أن خلعنا ثوب الحرب ودخلنا لنستريح؟!

ألا تتركـنا لنستريح من هذا الجهاد؟ ونغفو ولو قليلاً؟! حقاً ، إن الروح نشيط (القلب مستيقظ)، ولكن الجسد ضعيف، لذلك فأنا نائمة. صعب أن يأتينا الامتحان، ونحن فى وقت راحتنا، أو ونحن فى برودة روحية . حينئذ تكون الحرب شديدة ، لأننا غير مستعدين لها.

ولعله من أجل هذا السبب ، قال لنا الرب :

"صـلوا لكـى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت" (مت٢٤: ٢٠) . الشتاء وقت البرودة، والسبت وقت الراحة ...

هـذه العـذراء أتتها الدعوة الإلهية فى وقت رأته غير مناسب. كان يمكن أن يجيئنى الـرب قـبل أن أدخـل إلى حجرتى، وأخلع ثيابى، وأغسل رجلى، وأعطر يدى، وأغفو لأستريح..!

✠ ✠ ✠

هـنا يـبدو أن الدعـوة الإلهية تحتاج إلى بذل ، وإلى تضحية ، وإلى اعطاء.. إنها طريقة الله ...

يطلب الأرملة أن تعطى من أعوازها (مر١٢: ٤٤) ، ويطلب من ابراهيم أن يقدم ابنه الوحـيد الذى تحبه نفسه (تك٢٢: ٢)، ويطلب من أرملة صرفة صيدا أن تعطى لإيليا كل غذائهـا فى وقت المجاعة (١مل١٧: ١٣).. المسألة تحتاج إذن إلى بذل، لأن العطاء من سعة هو عطاء رخيص ، لا يمس القلب ...

أما البذل ، فهو دليل على الحب . ودليل على أن الإنسان قد خرج من سيطرة الذات، ووضع نفسه فى المتكأ الأخير ...

وهذا هو محك الإختبار الذى يريده لك المسيح ...

يـريد أن يثبـت حبك عن طريق تعبك وبذلك . وحسبما تتعب وتبذل، على هذا القدر يعوضـك الـرب أضعافاً فى ملكوته . وكما قال الرسول "كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه" (١كو٣: ٨) ..لا تستسلم للراحة ، قم واتعب من أجل الرب .

هكـذا يكون الصليب هو علامة محبتك للرب، لابد أن تحمل صليبك فى طريقك إليه، ولابد أن تصعد على الصليب ...

✠ ✠ ✠

عــذراء النشيد دخلت إلى فراشها لتستريح ، وتثاقلت فى أن تقوم. ولكن على عكسها كــان داود النــبى، الذى أقسم قائلاً "إنى لا أدخل إلى مسكن بيتى، ولا أصعد على سرير فراشــى، ولا أعطــى لعيــنى نوماً، ولا لأجفانى نعاساً، ولا راحة لصدغى، إلى أن أجد موضعاً للرب ، ومسكناً لإله يعقوب" (مز١٣٢: ٣ - ٥).

كانت العذراء نائمة بينما الكتاب يحذرنا من هذا النوم بقوله :

"لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياماً" (مر١٣: ٣٦) "أسهروا إذن وصلوا" .

"أنا نائمة وقلبى مستيقظ . صوت حبيبى قارعاً.." .

أريد أن أتمتع بالنوم، وأتمتع بحبيبى فى نفس الوقت!!

أريد أن أحب ، دون أن أختبر "تعب المحبة" ...

إنه حبيبى، وأنا أحبه، وأعرف صوته، وأميز صوته. من صوت الغريب . مشاعرى كلهــا نحوه، ولكن أن افعل الحسنى لست أجد" (رو٧: ١٨). عندما مد يده من الكوة "أنّت علــيه أحشــائى". قلبى كله لــه، ولكن إرادتى مبتعدة عنه بعيداً ، لا تقوى على الطريق الضيق ، ولا تقوى على حملِ الصليب ...

✠ ✠ ✠

متى تتصالح الإرادة ، مع مشاعر القلب ، وتخضع لها ؟

مــتى أســمع صوت حبيبى، فأقفز من على فراشى، ولا أطيق أن أنام. إنما أخرج أنا أيضاً معه "طافراً على الجبال، وقافزاً على التلال" (نش٢: ٧)، أتبعه حيثما كان ...

يكفى أنه تنازل وأتى إلىّ ، ويكفى أنه ناداني باسمى .

إن نداء الرب ، له تأثيره العميق مهما تكاسلت عنه .

إن كلمة الرب حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذى حدين (عب٤: ١٢)، ولا يمكن أن ترجع إليه فارغة (أش٥٥: ١١).. هذا الصوت الذى رنّ فى أذنى، قد رنّ بالأكثر فى قلبى. ومهما كنت نائمة ، لابد سأقوم ...

✠ ✠ ✠

"قمت لأفتح لحبيبى، ويداى تقطران مرّاً" (نش٥: ٥) . (والمرّ هو عطر سائل) .

هــذه النفس المتدللة ، كانت يداها تقطران مراً ... أى لم تكن تكتفى بأن ترش شيئاً من العطر على يديها، بل كانت تغطسهما فى إناء مملوء من عطر المر، وهى راقدة على فراشها، حتى تقوم ويداها "تقطران مراً" ...

هـذه السنفس المتدللة المتكاسلة التى أعتذرت عن القيام للرب، بقولها "خلعت ثوبى فكـيف ألبسه؟ غسلت رجلىّ فكيف أوسخهما..؟!"، وكانت عندها نظافة رجليها، أكثر من تفكيرها فى الرب، وفتح مكان له فى حياتها .

✠ ✠ ✠

هذه النفس المتدللة ، حينما قامت أخيراً لتفتح للرب، قامت متأخرة، وكان حبيبها قد تحول وعبر، وتركها لفترة مريرة من فترات التخلى ...

لقد زارتها النعمة ، ثم تركتها بسبب تكاسلها وتراخيها ...

كثيراً ما تزور النعمة إنساناً ، ولكنها تنظر إلى مدى تجاوبه مع عملها فيه . إن وجدته حاراً فى الروح ، يشترك فى العمل الإلهى مع نعمة الرب ، ألهبته النعمة بالحب ، وصار بعملـه معهـا شـريكاً للروح القدس . أما إن تراخى وتكاسل ، واستهان بدعوة الله، فإن النعمة تتركة . ويبقى هذا الإنسان وحيداً ، يقاسى مرارة التخلى ...

✠ ✠ ✠

وسنضرب مثلاً لهذا التكاسل الذى يسبب التخلى ...

قد تستيقظ من النوم ، وتسمع صوتاً عميقاً يناديك من الداخل . "قم صل، قف وتكلم مع الله. ليكـن الله هو أول من تحادثه فى هذا اليوم. لا تتكاسل . لا تهمل الصلاة مثل أمس وقبل من أمس.." . ولكنك تقول "نعم سأصلى ، ولكن بعد أن أغسل وجهى، بعد أن أسرح شعرى، بعد أن أرتب ملابسى، بعد أن أقضى هذا الأمر أو ذاك".. ثم تشغلك عوائق كثيرة عـن الصلاة ، أو تقف لتصلى وتجد فكرك مشتتاً، وعدداً من الموضوعات قد دخل فيه. ولا تجـد الحرارة السابقة فتقول فى مرارة "حبيبى تحول وعبر" وتتذكر قول داود "يا الله أنت إلهى، إليك أبكر، عطشت نفسى إليك" "أنا أستيقظ مبكراً" ...

✠ ✠ ✠

كـم مـرة لمست النعمة قلوبنا ، ولكننا تكاسلنا ، فضاع الشعور وضاعت العاطفة، وبردت الحرارة ، وتحول حبيبنا وعبر ...

كثـير مـن الناس ضاعت الفرصة منهم ، لأنهم قاموا للرب متأخرين، مثل العذارى الجاهلات ، جئن بعد أن أغلق الباب.. لماذا إذن تتأخر فى الاستجابة للرب ؟! لو أن هذه النفس ، عندما قالت "صوت حبيبى قارعاً"، قامت بسرعة، وفتحت له، حتى قبل أن يتكلم، لكانت قد تمتعت بالوجود مع الرب ، وما بكت قائلة :

نفسى خرجت عندما أدبر . طلبته فما وجدته . دعوته فما أجابنى .

عجيب هذا الأمر حقاً .. الله المحب الحنون ، الذى يقول "فيما تدعو إني أنا أستجيب". تقـول عنه العروس هنا "دعوته فما أجابنى"!! الله الذى يقول "أطلبوا تجدوا" (لو١١: ٩)، تقول عنه عذراء النشيد "طلبته فما وجدته" !!

إن الحب يا أخوتي ، هو أكثر العواطف حساسية، وأكثرها تأثيراً. ولا يوجد شئ أكثر أيلامـاً للقلب.، من أن تحب إنساناً فيتجاهلك، وتقرع بابه فلا يفتح لك . لهذا قال الرب "جرحت فى بيت أحبائى" (زك١٣: ٦).

لقـد سـعى الرب إلى هذه النفس ، طافراً على الجبال ، قافزاً على التلال . وخاطبها بـأرق الألفاظ "إفتحى لى يا أختى، يا حبيبتى، يا حمامتى، يا كاملتى" ... ومع كل ذلك لم تسـتجب . لذلـك تـركها لتختـبر البعد عنه ... لعلها وجدت أنه هو الساعى ، فتدللت وتثاقلـت.. ورأت أنـه هـو الطـارق ، فتناومت وتكاسلت. وكما يقول المثل : إذا كثر العرض، قل الطلب .

✠ ✠ ✠

لذلك ابتعد الرب عنها، لكيما تشتاق لـه، وتركها لكى تسعى إليه، وحرمها هذا الحب حتى لا تحسبه رخيصاً فتهمله . وجعلها تقاسى مرارة البعد، حتى تقدر حلاوة الحب ...

إن المحـبة يـا إبنـتى ليست ضريبة تفرض عليك . ليست أمراً ترغمين عليه ، أو تغصـبين نفسك على ممارسته، بل هو اشتياق وانجذاب ... أنت لا تريدين أن تفتحى لى، لا مانع . سأتركك إلى حريتك، إلى أن تشعرى بأهمية وجودى فى حياتك، إلى أن تفهمى مدى حاجتك إلى الوجود معى. وحينئذ ستندمين على بعدك، وسترجعين ...

فترات التخلى :

ستندم تلك النفس على تكاسلها ، وبعدها عن حبيبها، وحينئذ ستبحث عنه، وترجع إليه. **وسوف تدرك أن التخلى كان إختباراً نافعاً لها ...**

فترات التخلى هذه تأتى على كثيرين، فيشعرون كأن هناك حائلاً كبيراً بينهم وبين الله. يشـعر الشـخص منهم أنه واقف وحده، بعيداً عن الله، بجفاف فى حياته، وعدم أحساس بالعزاء الداخلى. يشعر أن عبادته بلا عاطفة، بلا حرارة، بلا حب، بلا روح ، بلا صلة ، بلا استجابة، بلا دالة ...

والناس فى مراحل التخلى على نوعين :

نوع إذا مر بمرحلة ، يلوم نفسه وليس الله :

يقول: أنا السبب. أنا سلكت نحو الله مسلكاً جعله يتخلى عنى. والأفضل أن أرجع إلى علاقتى الأولى بالله. إن الله فى كمال محبته. لا يستحق منى هذه المعاملة السيئة. وفى إحساناته الكثيرة لا يصح أن أتذمر عليه هكذا . ليتنى أصطلح معه .

✠ ✠ ✠

ونوع آخر إذا وجد فى مرحلة التخلى يتذمر على الله :

ويجدف على الله ويحتج ويقول : أين ما يقولونه عن حنانك وعن محبتك ؟! وأفرض أننى أخطأت ، لماذا لا تسامح ؟ ولماذا لا تغفر ؟ لماذا تعاملنى هكذا؟ لماذا أنت شديد وقاس وعنيف ؟! وبمثل هذه التجاديف تزداد الخطية وتستفحل .

وإنسان آخر فى مرحلة التخلى لا يتذمر على الله، ولا يسترضيه، وإنما ينساه، يتركه.. يقول له : إن كنت أنت تتخلى عنى وتتركنى، فأنا كذلك. حسن أن هذا الأمر قد أتى منك..!! وهكذا يسلك بعيداً عن الله ، ويتمادى فى تركه . ويتحول ما فيه من جفاف إلى أنحراف ... وهكذا ينهار ويضيع ، كما لو كان يعاند الله ...

إن فترات التخلى ، غالباً ما تكون بسبب الإنسان ... وفى قصة عذراء النشيد كانت بسبب التراخى والتكاسل .

✠ ✠ ✠

هناك نوع آخر من التخلى ، يكون بسبب الكبرياء ...

يسلك إنسان فى كبرياء القلب ، ينتفخ من الداخل. يظن فى نفسه أنه شئ. تكبر مواهبه فى عينيه . حنان الله الذى حفظه من الخطية فترة من الزمن، بسببه يشعر أنه بلا خطية!! وأن عنصره فوق مستوى الخطأ ، وأن الخطية خاصة بالمبتدئين فقط .

وهكذا بسبب كبريائه تتخلى عنه النعمة ليعرف ضعفه .

وفى مرحلة التخلى يبحث عن نفسه فلا يجدها ، ويسقط فى خطايا المبتدئين . ويحاول أن يصلى فلا يعرف ، ويجاهد لكى يتوب فلا يقدر . ويصرخ من أعماق قلبه "طلبته فما وجدته، دعوته فما أجابنى: ويرجع إلى الله ليقول له : أنا ضعيف ومسكين. أنا أضعف من أن أقاتل أصغرهم .

وهذا التخلى يقوده إلى الانسحاق وإلى الاتضاع ...

وحينئذ يعرف أنه فى الموازين إلى فوق. وأنه خير له أن يأخذ موقف العشار المتذلل، وليس موقف الفريسى المنتفخ .. ويقول للرب "وأخيراً يارب، عرفت أن الباطل المنسحق، خير من الحق المنتفخ" ...

حقـاً إنـه قـبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح (أم١٦: ١٨). وإن هذا الكبرياء من أسباب التخلى .

✠ ✠ ✠

سبب آخر للتخلى ، هو إدانة الآخرين :

أحـياناً نديـن الآخريـن علـى خطية معينة، فيسمح الله بتخليه عنا، أن نقع فى نفس الخطية، لكى ندرك أننا لسنا أقوى من غيرنا. ولكى نعرف أن ثباتنا كان سبب عمل النعمة فينا، ولم يكن بسبب قوتنا الخاصة. ولكى نعرف أيضاً قوة العدو المحارب، وعنفه وقسوته فى حروبه، فنشفق على الساقطين بدلاً من أن ندينهم .

حقاً إن فترات التخلى ، تعطى القلب شفقة على الخطاة .

فيدرك تماماً مغزى قول الرسول "أذكروا المقيدين كأنكم مقيدون أيضاً مثلهم، والمذلين كـأنكم أنتم أيضاً فى الجسد" (عب١٣) . وهكذا إذا وجد إنساناً ساقطاً يبكى عليه كأنه هو الساقط. وهكذا كان يفعل القديس يوحنا القصير: كان إن رأى إنساناً ساقطاً يبكى ويقول : إن العدو قوى. وكما أسقط أخى اليوم قد يسقطنى غداً. وقد يقوم أخى من سقطته، وأنا لا أقوم لذلك فأنا أبكى ...

✠ ✠ ✠

إن تخلى النعمة قد يكون ظاهرياً وليس حقيقياً .

ربمـا يكـون مجـرد حرب سمح فيها الله للشيطان أن يضرب هذا الإنسان، دون أن تـتخلى النعمة عنه ، فيظن هذا الإنسان أنه قد سقط من يدى الله. بينما يكون الله كضابط للكـل يراقـب الموقف بعمق شديد، وقد حوط بنعمته حول الإنسان حتى لا يضيع . مثال ذلـك قصـة أيوب الصديق . ظن فى تجربته أن الله قد تخلى عنه، ولم يكن الأمر كذلك. وأنقذ الله أيوب .

✠ ✠ ✠

من الجائز أن يكون هذا التخلى، لوناً من الحكمة الإلهية فى تدريب الإنسان وتربيته.

مـثال هـذا الأم الـتى تعلم ابنها المشى . تمسكه بيدها ليمشى قليلاً ، ثم تتركه فيقع

ويصـــرخ. فـــلا تقـــيمه ، بل تتركه حتى يقف ويتابع المشى . ولو حملته باستمرار على كتفيها، أو أمسكته باستمرار فى مشيه، ما تعلم المشى قط ...

هكـــذا أيضاً تفعل الطيور فى تعليم فراخها للطير ، وهكذا يفعل الآباء فى تعليم أبنائهم العوم. وهكذا يفعل الله فى تربية الإنسان :

بالـــتخلى يعلمـــه الحـــرب، كما قال داود النبى "مبارك الرب.. الذى يعلّم يدىّ القتال، وأصابعى الحرب" (مز١٤٤: ١).

✠ ✠ ✠

نهايـــة التدليل والكسل والفتور فى حياة هذه العروس ، كانت تخلى الرب عنها. وفى فترات التخلى، ذاقت كم فعل العدو بها .

إنـــنا نصمد أمام العدو، طالما كانت قوة الرب معنا. فإن فارقتنا قوة الرب، وقعنا فى أيـــدى أعدائـــنا. مثال ذلك شمشون الجبار: لم يستطع أحد أن يقوى عليه طالما كانت قوة الرب معه. فلما كسر نذره، وفارقته القوة الإلهية، استطاع اعداؤه أن يذلوه. كذلك قيل عن شاول الملك "وفارق روح الرب شاول، وبغته روح ردئ من قبل الرب" (١صم١٦: ١٤). هذا الروح الردئ لم يكن له عليه سلطان قبل أن يفارقه روح الرب ...

✠ ✠ ✠

إن العدو ينتهز فترات التخلى، لكى يضرب ضرباته بلا رحمة .

وهكـــذا تقـــول عـــذراء النشيد "ضربونى، جرحونى، رفعوا إزارى عنى"..! لقد كنت مصـــانة أيهـــا العـــروس داخل بيتك، وكان الرب يقرع على بابك ويناديك.. أما الآن فقد ضـــاعت هيبتك الروحية فى شوارع المدينة.. لقد وجد العدو فرصته وانتهزها. بدأ العدو يضربك، ويعريك، وينزع عنك ثوب البر الذى ألبسك الرب إياه من قبل .

الابن الضال أيضاً أذله العدو وهو فى كورة بعيدة .

عـــندما ابتعد هذا الابن عن الآب، استطاع العدو أن يضربه وهو بلا سلاح. واستطاع أن ينزع إزاره عنه. إنها فرصته. وقد سمح له الرب بها ...

✠ ✠ ✠

ولكن هل يمكن أن يسمح الله للعدو بأن يفعل هذا ؟

نعـــم يمكـــن ، لأجل فائدة الإنسان . يمكن أن "يسلم مثل هذا للشيطان لإهلاك الجسد، لتخلص الروح فى يوم الرب" (١كو٥: ٥) .. لقد سمح الله مرة للشيطان أن يضرب أيوب

البار، أفلا يسمح له بأن يضرب الكسالى والمتهاونين والمخالفين وصاياه ؟!

وهكذا يمكن أن يسلم الله إتساناً إلى أيدى أعدائه ...

عندما أخطأ بنو إسرائيل ، سلمهم الرب إلى أيدى أعدائهم أكثر من مرة . وتكررت هذه العبارة مراراً فى العهد القديم، مثلما ورد فى سفر القضاة : "فحمى غضب الرب على إسرائيل. فدفعهم إلى أيدى ناهبين نهبوهم، وباعهم بأيدى أعدائهم حولهم. ولم يقدروا بعد على الوقوف أمام أعدائهم.. فضاق بهم الأمر جداً" (قض٢: ١٤، ١٥) سمح الله أيضاً أن يدفعهم إلى أيدى نبوخذنصر، وأن يسلمهم إلى سبى بابل وسبى آشور .

كان خيراً لهم أن يبكوا على أنهار بابل ، وأن يعلقوا قيثاراتهم على أشجار الصفصاف" (مز١٣٧) .

كانت فترة التخلى نافعة روحياً . وكما قال الكتاب "املأ وجوههم خزياً، فيطلبون إسمك يارب" ...

✠ ✠ ✠

وهكذا حدث مع عذراء النشيد : لولا التخلى ومتاعبه، ما كان ممكناً أن تقول "احلفكن يا بنات أورشليم، أن وجدتن حبيبى، أن تخبرنه بأننى مريضة حباً" .

من أين أتت عبارة "مريضة حباً" ..؟ إنه إحساس الاشتياق جاء كثمرة طبيعية للتخلى والبعد والحرمان ...

كانت النعمة تسعى إلى هذه العروس المتدللة المتكاسلة، وتقرع بابها. ولكنها لم تشعر بقيمة هذه النعمة . فلما قاست مرارة التخلى، ولما ضربت وجرحت من الحرس الطائف، حينئذ أحست أنها كانت فى نعمة لم تقدرها ... وحينئذ شعرت بحاجتها إلى الرب الذى لم تفتح له قبلاً، فقالت "إننى مريضة حباً" .

✠ ✠ ✠

حسن أن هذه العروس ، لما تحول عنها الرب وعبر ، لم تتركه هى أيضاً. فمن داخلها قالت "نفسى خرجت حينما أدبر" . ومن جهة العمل قالت "طلبته فما وجدته. دعوته فما أجابنى" . ولما لم تجده ولم يجبها، لم ينته بها الأمر عند هذا الحد ... بل سعت إليه.

ذكريات المحبّة مع الله

تقول عذراء النشيد "حبيبى لى، وأنا له" (نش٢: ١٦). وتقول "طلبت من تحبه نفسى.. أرأيتم من تحبه نفسى" (نش٣: ١، ٢) . ونود هنا أن نتكلم عن هذه المحبة وذكرياتها .

خبرات الحياة مع الله :

مـــا أجمـــل أن نـــرى النفس البشرية هنا تسجل ذكرياتها الروحية مع الله، وتحكى خبراتها وعثرتها وتاريخها ...

تمامـــاً كما فعل سليمان فى سفر الجامعة، وحكى حياته مع الرب وعلاقته به، وكيف مرت به مشاعر متنوعة حتى وصل إلى الله... إنه لون من الاعتراف ...

✠ ✠ ✠

قصـــة النشيد ، قصة نفس عاشت مع الله، واختبرت الحلو والمر، جربت المتعة فى مذاقة الله، وجربت البعد عنه .

أختـــبرت جبل التجلى، كما اختبرت بستان جثسيمانى، قالت فى خبرتها "صوت حبيبى قارعـــاً افـــتحى لى يا أختى يا حبيبتى يا حمامتى يا كاملتى" "شماله تحت رأسى، ويمينه تعانقـــنى". واختـــبرت أيضـــاً الـــتخلى والحرمان بقولها "حبيبى تحول وعبر" "طلبته فما وجدته"..

أختـــبرت كـــيف تكـــون سوداء، وكيف تكون جميلة.. سمعت عبارة "أنت جميلة يا

حبيبتي، عيناك حمامتان". وقالت في مقابلها "بنو أمي غضبوا عليّ، جعلوني ناطورة الكروم" ..

مشت في طريق الرب الطويل، بهدوئه وبمشاكله، بما فيه من نجاح ومن فشل. ومازالت تقول لكم إن من أصدق أوصافه، قول الرب لنوح بعد الطوفان "مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد، وبرد وحر، وصيف وشتاء، ونهار وليل، لاتزال" (تك٨: ٢٢) .

لن تعيشوا أيها الأحباء في نهار دائم، أو في حرارة دائمة أو دفء دائم. لابد أن يكون في حياتكم أيضاً : ليل وبرد وشتاء ...

✠ ✠ ✠

ستختبرون هذا، مهما كنتم من أبناء النور، ومن أبناء النهار.. وهذه العروس تحكي فترات الحرمان والبعد، وبحثها عن الله دون أن تجده، وضرب الحراس لها، ونزع إزارها عنها.. ولكن كل ذلك لم يفقدها محبتها لله. وفي فترات الحرمان، كانت تقول "أرأيتم من تحبه نفسي؟"..

لم تفقد حب الله إطلاقاً، وإن كانت قد فقدت عشرته أحياناً. الحب في قلبها على الدوام، مهما ضعف الجسد، ومهما بدا من الخارج أنها بعيدة، تطلب فلا تجد ...

علاقتها بالله هي علاقة حب، وليست علاقة رسميات ولا علاقة واجبات ووصايا، أو مجرد طقوس أو ناموس مما انتقده الرب في سفر إشعياء (أش١)، ولا هي علاقة خوف..

إنما هي علاقة حب ، مبنى على أسس عميقة باستمرار ...

✠ ✠ ✠

عندما تتكلم عن الله، لا تقول "إلهي" ، إنما في كل مناسبة تقول عنه "حبيبي" "الذي تحبه نفسي" . كما أنه علمنا أن نقول في الصلاة "يا أبانا": علامة على الحب ...

وهكذا تقول هذه النفس "حبيبي لي وأنا له" "كالتفاح بين شجر الوعر، كذلك حبيبي بين " "تحت ظله اشتهيت أن أجلس، وثمرته حلوة لحلقي.." (نش٢: ٣).

إياكم أن تنظروا إلى الله كمجرد جبار يحكم في السماء، بل عليكم أن تحبوه من كل القلب . هكذا علمتنا المسيحية ...

محبة الله هي الأساس ، هي الوصية العظمى . وكل الفضائل، وكل الوصايا، وكل الممارسات الروحية، إنما تنبع من هذه المحبة. ولا توجد وصية منفصلة بذاتها. فكل

الفضائل ما هي إلا تعبير عن حب الإنسان لله، أو نتيجة لهذا الحب..

يقول الرب "من يحبني يحفظ وصاياي" (يو١٥) أما حفظ الوصايا بدون حب، فليس هو عملاً روحياً، وليس هو فضيلة مسيحية. هناك أناس يسلكون حسناً بالمستوى الأخلاقي، أو المستوى الإجتماعي، ولكنهم ليسوا روحيين. سمعتهم طيبة، ولكن سلوكهم الطيب ليس نابعاً عن محبتهم لله .

✠ ✠ ✠

أسباب محبّة النفس للـه :

حب العروس للرب في سفر النشيد، له أسباب عديدة، منها :

١ – أول كل شئ، هو أن حب الله متعتها ولذتها :

تقول له "حبك أطيب من الخمر"، محبة تسكر، تنتشي بها النفس. بل تقول أكثر من هذا "إنـني مريضـة حـباً" ، أي أن محبة الله دغدغت أعضاءها، فلم تعد تحتمل تلك الطاقة الجبارة من الحب الإلهي .

جسـدها أضـعف مـن طاقات الروح، فلم تعد طاقة الجسد تقدر على احتمال الحب الروحي، فأصبحت مريضة حباً ...

إنسان ترتفع درجة حرارة جسده، إذ هو مريض جسدياً، وإنسان ترتفع بالحب حرارة روحـه، فـإذ هو مريض حباً، "مدروخ" من الحب الإلهي. مثلما قيل لبولس "كثرة الكتب حولتك إلى الهذيان يا بولس" (أع٢٦: ٢٤).

هذا الهذيان البولسي المقدس ، نشتهي جميعاً أن نصاب به ...

إنسـان من فرط الحب الذي فيه، يتكلم كلاماً لا يفهمه الناس، ويشعر شعوراً لا يدركه الناس، فيحسبونه يهذي..!

✠ ✠ ✠

مشـكلتنا أن محبة العالم تتصارع مع محبة الله فينا. فالجسد يشتهي ضد الروح، نحن نحب الله، ونلتذ بالعالم، ويوجد فينا شئ من التضاد ومن التناقض ومن الصراع .

أمـا الإنسـان الذي يحب الله حقا، ومحبة الله لذته، فليس فيه صراع ولا جهاد. ولا يتعب في تنفيذ الوصية ، لأنها لذته .

يتغـنى بوصايا الله ، كما تغنى بها داود في مزاميره "وصاياك هي لهجي" (مز١١٩)،

هـــى لذته. سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى. وجدت كلامك كالشهد فأكلته" . واسم الله أيضـــاً حلـــو فـــى فمه، كما نقول "حلو اسمك ومبارك فى أفواه قديسيك، وكما قال داود **"محبوب هو إسمك يارب، فهو طول النهار تلاوتى" (مز١١٩)**. وكما تقول عذراء النشيد "اسمك دهن مهراق"، ونترجمها فى القداس "طيب مسكوب هو اسمك القدوس".

"طيب مسكوب هو اسمك، لذلك أحبتك العذارى" .

العـــذارى هـــى الـــنفوس التى لم تعط ذاتها لآخر، وأحبت الرب من كل القلب، سواء أكانـــت من البتوليين أو المتزوجين. لذلك لقب الكتاب كل الذين يخلصون بخمس عذارى حكيمات .

✠ ✠ ✠

ثانياً : العروس تحب الله ، لأنها لا تجد له شبيهاً بين الآلهة .

كمـــا نغـــنى لـــه فى التسبحة "من فى الآلهة يشبهك يارب، أنت الإله الحقيقى صانع العجائـــب؟!" . إن وضـــعنا الله وسط كل مشتهيات العالم، وكل آلهته، نجده يفوقها. لذلك تقول عذراء النشيد :

"حبيبى أبيض وأحمر ، معلم بين ربوة" (نش٥: ١٠).

الـــربوة هى ١٠٠٠٠ أى إذا وضعت حبيبى بين عشرة آلاف، تجده مميزاً بينهم. متى إذن يتميز الرب فى قلبك عن كل مشتهيات الدنيا، وكل سكانها، وتجده يفوقهم جميعاً .

✠ ✠ ✠

ثالثاً : العروس تحب الرب أيضاً ، لأنه جميل :

"حلقه حلاوة وكل مشتهيات" (نش٥: ١٦). هكذا تقول عروس النشيد للرب. ماذا تعنى بعـــبارة (جمال الرب)؟ تعنى أن إنساناً يسير فى طريق الرب فيجد الباب ضيقاً، والوصية ثقـــيلة، ولـــولا خوف الأبدية ما كان يستمر. فيقول للرب : من أول معرفتى بك، عرفت التجارب والضيقات، وعرفت الصليب وجثسيمانى، وعرفت البكاء والدموع وهكذا لا يرى الرب جميلاً ...

ربـــنا هـــذا ، هـــو شهوة نشتهيها ، ولا نستبدل به شهوة العالم. وكما قال أحدهم "إن القداســـة هى استبدال شهوة بشهوة، استبدال شهوة العالم بشهوة الله" . نشتهى الله وكل ما يحيط به، ونجد فيه لذة وفرحاً. ومعه لا يعوزنا شئ .

مـــا أجمل التأمل فى صفات الله . إنها تفرض محبته فى القلب.. صدقونى لو أنكم لم تأخذوا من سفر النشيد سوى عبارة "كله مشتهيات" لكان هذا يكفى..

إن الله لـــيس ضـــريبة مفروضـــة عليكم، وليس نيراً موضوعاً على اعناقكم، وليس حاكماً جباراً، بل هو كل مشتهياتكم. كله مشتهيات.

لما أحب أوغسطينوس الله، صغر العالم فى عينيه بكل شهواته، ولما أحب بولس الله، قـــال "خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكى أربح المسيح" (فى٣: ٨). وأنت عندما تحب الله، ستموت محبة العالم فى قلبك. قد تعتقد الآن أنه من الصعب التخلص من إحدى الخطايا، لأن محبة الله لم تملك عليك بعد. أما إن أحببته ، فستجد أن الخطية فارقتك بكل سهولة ...

✠ ✠ ✠

رابعاً : العروس أحبت الله ، لأنه راعيها :

يهـــتم بها ، يرعاها بين السوسن ، فى مواضع خضرة ، عند مياه الراحة. يرعاها فى الجنات، عند خمائل الطيب "حبيبى نزل إلى جنته، إلى خمائل الطيب، ليرعى فى الجنات، **ويجمـــع السوســـن"** (نـــش٦: ٢)، كـــلام موسيقى وجميل .. لعلك تقول أين هذه الجنات والسوسن والطيب ، ولسنا نجد سوى صوم ومطانيات وتجارب؟!

لو أحببت الله لأحببت كل هذا ووجدته خمائل من الطيب .

✠ ✠ ✠

خامساً : والعروس أحبت الرب لأنه قوى ، يحرس ويسند ، تشعر النفس فى رعايته أنهـــا محاطـــه بقـــوة عجيبة (نش٦)... إله جبروته ليس ضد الإنسان، وإنما من أجل الإنسان، لحمايته ورعايته..

مـــا أكثر الصفات التى من أجلها نحب الله، لو أحصيناها واحدة فواحدة، ما كان العمر كله يكفى لسردها ...

وبعد ، نود بهذا المقال أن نختم هذه التأملات حالياً فى سفر النشيد .

فهرس

صفحة

مقدمة ٥

مقدمة روحانية النشيد ٧

روحانية السفر ورموزه ٨

هذا السفر هو سفر الحب ٨

الباب الأول : العروس (النفس البشرية أو الكنيسة) ١٧

١ – كم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب (نش٤: ١٠) ١٨

في العهد القديم ١٨

في العهد الجديد ١٩

٢ – أنا سوداء وجميلة [أ] (نش١: ٥) ٢٥

٣ – أنا سوداء وجميلة [ب] ٣٢

٤ – أنا سوداء وجميلة [ج] ٣٩

٥ – أنا سوداء وجميلة [د] ٤٥

كنيسة الأمم ٤٥

٦ – أختى العروس جنة مغلقة (نش٤: ١٢) ٥٠

افتحى لى يا أختى، يا حبيبتى، يا حمامتى يا كاملتى (نش٥: ٢) ٥٠

أختى العروس ٥٠

جنة مغلقة ٥١

افتحى لى / افتحى لى يا أختى ٥٣

يا حمامتى ٥٤

يا كاملتى ٥٥

٧ – شبهتك يا حبيبتى بفرس في مركبات فرعون (نش٦: ١٠) ٥٦

٨ – من هذه الطالعة من البرية (نش٨: ٥) (نش٣: ٦) ٦٣

٩ – من هذه الطالعة من البرية [ب] ٦٩
كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان (نش٨: ٥) (نش٣: ٦) ٦٩
كأعمدة من دخان ٦٩
معطرة بالمر واللبان ٧٠
وكل أذرة التاجر ٧١
أعمدة من دخان / الطالعة من البرية ٧٢
١٠ – ها أنت جميلة يا حبيبتى، عيناك حمامتان (نش١: ١٥) ٧٥
شهادة من الله / ها أنت جميلة ٧٥
عيناك حمامتان ٧٨
١١ – شفتاك يا عروس تقطران شهداً (نش٤: ١١) ٨١
ألوان من شهد الكلام ٨٢
الباب الثانى : العريس (الرب الإله) ٨٧
١٢ – اسمك طيب مسكوب لذلك أحبتك العذارى اجذبنى وراءك فنجرى .. ٨٨
اسم الرب ٨٨
أحبتك العذارى ٩٠
اجذبنى وراءك فنجرى ٩٢
١٣ – حبيبي أبيض وأحمر (نش٥: ١٠) ٩٤
أبيض ٩٤
أحمر ٩٦
١٤ – هوذا تخت سليمان، حوله ستون جباراً (نش٣: ٧) ٩٩
سليمان رمز للمسيح ٩٩
ستون جباراً ١٠١
١٥ – جبابرة متعلمون الحرب قابضون سيوفاً من هول الليل ١٠٥
جبابرة الروح ١٠٥
حاملون سيوفاً ١٠٦
هول الليل ١٠٧
متعلمون الحرب ١٠٨

١٦ – أين ترعى أين تربض وقت الظهيرة؟ ١١١
وقت الظهيرة ١١١
أين ترعى؟ ١١٣
١٧ – أين ترعى أين تربض وقت الظهيرة؟ [ب] ١١٦
أين ترعى ١١٦
أين تربض وقت الظهيرة ١١٩
اخرجي على آثار الغنم ١٢٠
١٨ – خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغار المفسدة للكروم ١٢٢
حياة التدقيق ١٢٤
أمثلة من الثعالب الصغار ١٢٥
١٩ – صوت حبيبي (نش٢: ٨) ١٢٧
متى ؟ وكيف؟ ١٢٩
لماذا صوت الرب؟ ١٣١
٢٠ – هوذا آتٍ طافراً على الجبال (نش٢: ٨) ١٣٣
على الجبال ١٣٣
الباب الثالث : ذكريات المحبة (بين الله والكنيسة وبين الله والإنسان) .. ١٣٧
٢١ – تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل (نش٧: ١١) ١٣٨
أنا لحبيبي ١٣٨
نوعان من الحب ١٣٩
هناك أعطيك حبي ١٤٢
لنخرج إلى الحقل ١٤٣
الاهتمام بخدمة القرى ١٤٥
٢٢ – اجعلني كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك ١٤٦
من جهة الله ١٤٧
من جهة البشر ١٥٠
في معاملات الناس ١٥٥
٢٣ – في الليل على فراشي (نش٣: ١) ١٥٨
مرحلة التخلي وأسبابها ١٥٨
من تحبه نفسي ١٥٩

في الليل على فراشي ١٦٠
٢٤ – في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي ١٦٥
طلبت من تحبه نفسي ١٦٧
من تحبه نفسي ١٦٨
٢٥ – طلبته فما وجدته (نش٣: ١) ١٧٠
التخلي ١٧٠
أسباب التخلي ١٧١
معنى: طلبته فما وجدته ١٧٢
مناسبة أخرى ١٧٣
٢٦ – إني أقوم وأطوف في المدينة (نش٣: ٢) ١٧٥
اشتياق إلى الله ١٧٥
عدم الإحساس بوجود الله ١٧٦
البحث عن الله ١٧٧
في الأسواق ١٧٨
٢٧ – أنا نائمة وقلبي مستيقظ (نش٥: ٢) ١٨١
٢٨ – أنا نائمة وقلبي مستيقظ [ب] (نش٥: ٢) ١٨٦
أنا نائمة وقلبي مستيقظ ١٨٦
٢٩ – حبيبي تحوّل وعبر (نش٥: ٦) ١٩١
فترات التخلي ١٩٥
٣٠ – ذكريات المحبة ٢٠٠
خبرات الحياة مع الله ٢٠٠
أسباب محبة النفس لله ٢٠٢